مانی والمانوية

دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

دار حسان
للطباعة والنشر

ماني والمانوية

دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها

تأليف

جيو وايدنغرين

نقله إلى العربية وقدم له وزاده بالملاحق

الدكتور سهيل زكار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم المعرب

ما من أمر احتل من اهتمامات الانسان في جميع عصور التاريخ حيزاً يعادل الحيز الذي احتلته الديانات والعقائد ، والباحث في آحداث التاريخ بعيدها وقريبها ، يجد دائما حين يبحث عن الأسباب الفعالة لكل حدث مهما كان لونه وعن نتائج هذا الحدث ، يجد الدين والمعتقد لهما أثرهما ، حتى في أيامنا هذه ما تزال الأخبار الدينية تلقى رواجا كبيراً، ولدى استعراضنا لنماذج من التراث الانساني المدون ، لا نكاد نجد أثراً من الآثار مهما كان صلب موضوعه ، إلا وللدين والمعتقد علامات فعالة عليه بوضوح صارخ ، وما دامت الاشارة الى الأدب المدون ، نجد بشكل انساني عام أن الكتب الدينية المحضة وشبه الدينية قد احتلت مواقع هامة وواسعة ، أما بالنسبة للأدب العربي فنجدها تحتل المكان الأهم والأوسع .

وللكتابات الدينية أهلها وأصحاب اختصاص بفرع أو آكثر من فروعها ، ويلاحظ بشكل عام وجود صلة وثيقة بين المصادر الدينية وكتب التاريخ ، فالباحث في التاريخ الاسلامي يعثر على مواد إخبارية خطيرة في المصادر الدينية ، إنما على الرغم من وجود هذه الصلة ، فانه مع التطور الشامل الذي آلم بعلم التاريخ ، باتت الديانات والعقائد موضوعاً من موضوعات فروع البحث التاريخي وفنونه ، فكما أن هنالك كتبا تبحث في شيء من التاريخ السياسي، وأخرى في التاريخ الاقتصادي وثالثة في التاريخ الاجتماعي ، ورابعة ، وخامسة ... ، هناك الآن

كتبا أوقفها أصحابها على بحث ما في تاريخ عقيدة من العقائد أو ديانة من الديانات بشكل عام أو محدد ٠

وهذا الفن على قدمه في الأداب الأوربية الحديثة والمعاصرة لم يظهر بعد في آداب اللغة العربية ، وما تزال الكتابات العربية ـ إن وجدت ـ تعالج موضوعاتها وفق الطرائق الموروثة في عرض الفكرة والرد عليها ، حسب ما نجده في كتب الملل والنحل ٠

إن البحث في تاريخ الديانات والعقائد ، تنطبق عليه شروط البحث التاريخي بشكل عام ، فالباحث التاريخي ينشد معرفة ما حدث بشكل حيادي وعلمي كامل ، دونما اصدار للأحكام أو سواها ، وهكذا يتحدث الباحث في تاريخ ديانة من الديانات عما حوته هذه الديانة وعن مجرى احداث حياتها ، وهو هنا قد يتحدث عن العلاقات بين هذه الديانة وسواها ، لكنه يتجنب اصدار حكم من الأحكام في أن يقول مثلا هذا كفر وذاك إيمان أو ما يشبه هذا من عبارات ٠

ليس هناك من ديانة من الديانات إلا ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة ، ماضية حاضرة ، بالعرب والمسلمين ، لهذا إن البحث في تاريخ الديانات على أساس موضوعي هام جداً بالنسبة للقارىء العربي ، لكن يلاحظ أن أدوات البحث في هذا المجال مع الأجواء الصحيحة غير متوفرة للباحث العربي وما أظنها ستتوفر في مستقبل قريب ، لهذا إن المخرج هنا يكمن في اللجوء الى الترجمة ، وهذا ما أخذت به ، إنما مع عمل اضافي ٠

ويوجد في مكتبتي العديد من الدراسات في ميدان تاريخ الأديان ، وقد وقع اختياري على كتابين منها ، أولهما الكتاب الذي أقدم له الآن ، وموضوع الثاني تاريخ الديانة الزرادشتية ، ووقع اختياري على هذين الكتابين لارتباط محتوياتهما ارتباطا مباشراً بحوادث تاريخ العرب

والاسلام ، خاصة الجزء العباسي المبكر منه ، وهذا الميدان هو ميدان اختصاصي ، ثم هو الميدان الأكثر أهمية بالنسبة للقارىء العربي ٠

فمع المعرفة العلمية العظيمة التي يمكن تحصيلها من هذين الكتابين ، خاصة كتابنا الأول هذا ، إن نشر هذين الكتابين يثير مشكلة، كان ينبغي أن تثار منذ زمن بعيد، تتعلق في توجيه دراسات تاريخ العرب والاسلام والبحث عن المؤثرات ومصادرها ٠

لقد وُجه الباحث في تاريخ العرب والاسلام ، منذ بداية عهد الاستشراق وحتى الآن ، الى البحث عن المؤثرات في ميدان الاسرائيليات، فكم من القضايا المرتبطة بالفرق والأحزاب الدينية ، وجهت في هذا الاتجاه ، وأضرب مثلا للتوضيح يتعلق بقضية كربلاء ومقتل الامام الحسين ـ عليه السلام ـ فلقد قيل بأن المسألة في جوهرها تشبه دراما الفداء والصلب ، وراج هذا التفسير الموجه وبات كل باحث من الباحثين يجول ويصول حسب امكاناته في هذا الميدان ، حتى بلغ الخيال ببعضهم حد القول بأن كارثة كربلاء حكاية اتفق على اخراجها بهذا الشكل منذ البداية ٠

ومثل هذا التوجه غير مقنع تنفيه الدراسات العلمية والمواد الموثقة الواردة في كتابنا الذي نقدم له ٠

قد يكون هناك أسبابا تتعلق بخدمة أهداف الصهيونية في هذا التوجيه ، سيما وأن معظم رجالات الاستشراق كان من اليهود وهذه نقطة على أهميتها لن أقف عندها ، فهي ليست بيت القصيد لدي الآن ، الذي استهدفه هو التقويم العلمي ، سيما إذا علمنا أيضا أن عقيدة الفداء والمخلص لم تعرفها اليهودية قبل السبي البابلي ، وأن اليهود أخذوها عن « الزروانية » ثم جرى تطويرها بعدما أغنيت بالأفكار الغنطوسية لبلاد بابل وشمالي بلاد الرافدين ٠

في أثناء قيامي بأبحاثي في تاريخ العرب والاسلام وقفت طويلا عند

قضية « رجعة الامام بعد وفاته » وأكثر من ذلك عند موضوع المهدي المنتظر إماما كان أم مسيحا ، لأنه حين عودته سيأخذ دور « المُخَلِّص »، وبحثت في عقائد عرب ما قبل الاسلام ، فوجدتهم لم يعرفوا لا الفداء ولا « المُخَلِّص » كما أن البحث في السيرة النبوية وفي دلائل النبوة ، يبين أن النبي « محمد ﷺ » جاء بشيراً ونذيراً ليبلغ رسالات ربه ، ولم يأت ليقوم بعمل الفداء أو بدور « المُخَلِّص » ٠

لقد شهد العصر العباسي المبكر نشاط غالبية الفرق على ألوانها وقربها من الاسلام وبعدها عنه، وبما أن الدولة العباسية صناعة أعجمية خراسانية ، لقد دارت أحداث العصر العباسي حول خراسان ، وظلت الخلافة العباسية حية حتى جاءها الغزاة المغول عبر خراسان فقضوا عليها ، لهذا إن الاتجاه نحو خراسان للبحث عن المؤثرات هو العمل العلمي الصحيح ، وفي خراسان والمشرق يجد الباحث عدداً كبيراً جداً من النحل مع ثلاث ديانات رئيسة هي : البوذية والزرادشتية ، والمانوية ، لذلك رأيت من الضرورة بمكان اخراج دراسة عن كل واحدة من هذه الديانات ، ووقع اختياري أولا على الديانة المانوية ثم على الزرادشتية لسبقهما بالأهمية ولأن ما لدي حولهما يعد أفضل ما جاء في بابه ، في حين أن الشرط لا ينطبق على البوذية ٠

وقد قدمت العمل أولا بالديانة المانوية ، لما شغلته حركات الزندقة من أدوار في أوائل العصر العباسي ، فالزندقة كانت وراء معارك كلامية عقائدية واجتماعية عنيفة لارتباطها مع حركات الشعوبية ، وهي صاحبة التأثير الأول في نشوء حركات الزهد الأعجمي ، وفي أعمال الدعارة واللامبالاة الأخلاقية وما تبعها ، ذلك أنها كعقيدة نظرت الى الجسد نظرة لا مبالاة ، فكانت المحصلة إما إغراق في الزهد الأعجمي السلبي ، أو في الدعارة والمجون بلا حدود ولا ضوابط ٠

ليس بي من حاجة للحديث هنا عن أي جانب من جوانب الديانة

المانوية، فهذا هو موضوع الكتاب، ولا الاشارة الى المزيد من أمثلة التأثير فهذا ما سيتبينه كل قارىء ويكتشفه ، بل الذي أود أن أبينه هو أنني وجدت التعامل مع نص الكتاب أثناء ترجمته في غاية الدقة والصعوبة ، فهنا أنت لا تعطي المعنى العام بل إن لكل كلمة مكانها ومعناها ، وبذلت في هذا السبيل غاية الجهد وكنت أبحث دائماعن المصطلح الأنسب والأكثر مواءمة ، وخلال العمل كله واجهت مشكلة التسمية ، فمؤسس الديانة اسمه ماني، والديانة تبعا لهذا كان من المتوجب تسميتها بالمانوية فهذا هو الاشتقاق الأصح ، ومع ذلك فقد وجدت غالبية العلماء المسلمين الأوائل يطلقون عليها إما اسم المانوية أو المنانية ، والأخير هو الذي كان أكثر شيوعا ، إنما لماذا؟لم أجد الجواب، ونظراً لاعتماد التسميتين ولكون « مانوية » هي الأصح لغويا فقد اعتمدتها فهذا المتنبي يقول في احدى قصائده :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

ورأيت أثناء عملي بالكتاب أن الفائدة منه ستكون أكبر في الحاق بعض الملاحق به ، وهكذا عدت الى مصادر لدي عربية وغير عربية ، فأقدمت على ترجمة بعض النماذج من الكتابات المانوية الدينية ، ثم استخرجت بعض النصوص العربية التراثية الموضحة ، فأعدت ضبطها وألحقتها بالكتاب ٠

يخيل لي أن محاولتي هذه محاولة رائدة ، أرجو أن أكون قد وفقت فيها ، وأرجو الله تعالى أن يمكنني من انجاز بقية الذي قد خططت له ، وكلي رجاء وأمل في أن يجد القارىء العربي الفائدة المرجوة ، والله من وراء القصد وبيده التوفيق والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالحق من عند الله الواحد الأحد ، و « زهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » ٠

دمشق ٢٤ ربيع الأول ١٤٠٥ / ١٧ كانون أول ١٩٨٤٠

الفصل الأول

خلفيـــة مـــاني

الوضع السياسي في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة ـ الوضع الثقافي في بـلاد الرافدين والمناطق المجاورة ـ الوضع الديني في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة

ـ الوضع السياسي في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة :

كانت بلاد الرافدين ، في بداية القرن الثالث للميلاد ، مؤلفة مـن مناطق متنازعة سياسيا ، واقعة كل منها تحت مؤثرات ثقافية متضاربة ، وعقائد متنافسة ، حولت جميعها البلاد الى مركز للصدام فيما بين كـل من الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، وبالتالي الى منطقة مواجهة بين الثقافتين الهلنستية والفارسية ، وحقل صراع بين ديانتين رئيستين مع مجموعة من عقائد وممارسات عدد من الطوائف، والمقصود بالديانتين هما : المسيحية التي ستكون عقيدة رسمية للرومان ، والزرادشتية التي قدر لها أن تشغل دوراً مشابها في إيران ، ذلـك أنهما كانتا المتنافستين الروحيتين الرئيستين .

وكـان الفرثيون الفرس قـد انتزعوا بـلاد الرافدين مـن أيدي السلوقيين في حوالي عام /١٥٠/ ق.م ، وقد عاش سلطانهم في حالة نزاع وكانوا على شفير الهاوية عندما ولد ماني بطل هذا الكتاب وموضوعه ، مع ذلك كانوا ما يزالون الأسياد الرسميين لبـلاد الرافدين ـ وبـدأت امبراطوريتهم الاقطاعية بالتفكك الى سلسلـة من الدويلات الصغيرة ، وحدث في صيف عام /٢١٦/ م وهو العام الذي ولد فيه ماني ، أن قـام

الامبراطور الروماني كاراكلا بحملةجاس فيها خلال أعالي بلادالرافدين بدون أن يواجه مقاومة تذكر ، وقد منح اغتياله من قبل ماكرينوس ـ مفتش الحرس البريتوري [الحرس الامبراطوري] الفرثيين فترة راحة قصيرة ، ثم ما لبث ماكرينوس نفسه أن تكبد هزيمة في صيف العام نفسه على يدي أرطبان الخامس آخر أباطرة الفرثيين الذين حكموا وسط ايران ، وذلك قرب حصن نصيبين الثغري ، وأجبر ماكرينوس على طلب السلم ، ومع ذلك فان أيام الدولة الفرثية باتت آنذاك محدودة إذ قُدِّر لأسرتها الملكية التي انحدرت من جد اسمه « أشك » أن تزول ليحل محلها أسرة عرفت باسم الأسرة الساسانية ٠

فقد حقق أردشير ـ وهو أحد أفراد الأسرة الساسانية النبيلة ـ لنفسه سلطانا على منطقة « فارس » وذلك اعتباراً من سنة ٢٠٨ م ، ثم ما لبث أن ألحق الهزيمة بأرطبان في معركة حاسمة ، إنما بعدما اعترفت به الأقاليم المجاورة ، واستطاع عن طريق هذا النصر المبين ، وبوساطة سلسلة من الحملات ، أن يبسط سلطانه على ايران الشرقية الى حدود الهند الشمالية الغربية ، وتجدر الاشارة هنا الى أن قرابته من الأسرة الاشكانية (أرساسيد) الملكية الزائلة عن طريق الزواج قد سهل عليه الأمور ، وضمن له تأييد وولاء معظم الاقطاعيات الفرثية القوية ٠

وحقق أردشير مكاسب هامة في الغرب أيضا ، غير أنه لم يلاق سوى نجاحات طفيفة في اندفاعه نحو ميديا وأرمينية ، ثم تمكن من الاستيلاء على شمالي بلاد الرافدين ، (متجنبا المناطق الرومانية) ودخل منتصراً الى سلوقية طيسفون [المدائن] العاصمة الامبراطورية الفخمة ، وبذلك غدت سيادته على الأقاليم الفارسية أمراً لا يقبل الجدل ، لا سيما بعد تتويجه امبراطوراً ٠

وكان آنذاك الاسكندر سيفيروس ـ آخر حكام الأسرة السيفرانية ـ

يحكم روما ، وقد روعت هذه المدينة في عام / ٢٣٠/م عندما علمت آن الحاكم الفارسي الجديد يقوم بحصار مدينة نصيبين ، ذلك أن الأجـزاء الشمالية الغربية من بلاد الرافدين [الجزيرة] كـانت تحت السيطرة الرومانية منذ أيام الامبراطور تراجان ، وردت روما ، لكن بعد عامين ، وكانت النتيجة غير حاسمة ، ولهذا لم يكن من الممكن الحفاظ على الوضع إلا لفترة وجيزة ، وهكذا عاود أردشير الهجوم عـام ٢٣٧ ـ ٢٣٨ م ، واستولى على كـل من حران ونصيبين ، فتعرضت جبهة الفرات للخطـر الجسيم لهذا تـم أحياء دولـة أسروين Osroene الاقطاعية مع مدينة الرها عاصمة لها ، وذلك بغية ضمان سلامة حدود هذه الجبهة ، وبالفعل تمتعت هذه الدولة باستقلال نسبي لفترة من الزمن ، وقـام آردشـير بتسمية ابنه الأمير شابور أميراً مشاركا له في السلطة ، ونجم عن هـذا التعيين تجديد هائل للنشاط العسكري في تلك المنطقة ، واستولى شابور على مدينة الحضر ، التي كانت محطة هامة لقوافل الصحراء ، وذلك بعد مقاومة عنيدة ، وتجدر الاشارة هنا الى أنه ليس من المؤكد تاريخ هـذا الاستيلاء ، وهل تم أثناء السلطة المشتركة أم بعدهـا .

وواجه ارتقاء شابور للعرش الامبراطوري (ربما تـم تتويجه في عام ٢٤٢م) روما بعدو أكثر خطورة وأقوى شكيمة من أردشير ، وعرفت تلك الفترة من تاريخ روما باسم فترة الأباطرة العسكريين ، فقد خلف القادة العسكريون بعضهم بعضا بسرعة في اعتلاء عرش الامبراطورية ، وكانوا في الغالب من أصل بربري ، وكان الساعون الى العرش يختفون بعد فترة وجيزة من بلوغهم سدة السلطة ، ورافق الاضطراب والفوضى الداخلية إهمالا للحدود الامبراطورية ، وغالبا ما عهد بالدفاع عن هذه الحدود الى الجند الفوضويين الذيـن خرجوا على القواعد العسكريـة المحكمة ، وكان بينهم للفيالق السوريـة سمعة سيئة بشكل خاص نظراً

لحياة البذخ وانعدام التوافق، وقد كان فيلق غاليكا الثالث أسوأ الفيالق على الاطلاق ، ونظراً لتمركز هذه الفيالق وسط منطقة أنطاكية المترفة كان لها آثار لا أخلاقية مربكة ٠

وبقي مجرى الأحداث المعقد مجهولا الى أبعد الحدود ، حتى ما قبل فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية ، عندما تم اكتشاف نصب رستم ، وهو اكتشاف رائع ، عثر فيه على النقش التذكاري الذي خلد ما أنجزه شابور ، وقد ألقى نص هذا النقش أضواء كافية على ما كان قد حدث ٠

ومع أن الامكانات والتطورات لم تكن مواتية فاننا لا يمكن أن نعتبر جهود الامبراطور غادريان الثالث ضد شابور فيروز مخفقة تماما ، ونلاحظ من جهة ثانية أن خليفته فليب العربي قد التمس تحقيق الصلح مع شابور ـ فيروز بعد هزيمته على يديه سنة ٢٤٤ م ، قرب حدود جبهة الفرات ، وسمح بمعاهدة الصلح التي عقدت لروما بالاحتفاظ بالأجزاء الشمالية من بلاد الرافدين مع أرمينية الدنيا، وخيبت هذه المعاهدة آمال أرمينية العليا ، التي كانت مستقلة وحليفا مخلصا لروما حتى ذلك الحين ، وكان حكامها من أصل فرثي يحملون لقب كسرى ، وتمكن شابور بالتدريج من تحقيق نفوذ مهيمن داخل هذه البلاد بوسائل لم تكن أرقى من التآمر لاغتيال حكامها الأكاسرة ، ثم قام في حوالي عام ٢٥٢ م باحتلال البلاد عسكريا ، ولا شك أن فقدان الحماية لروما من هذا الجانب كان فيه احباط وتهديد خطير لها ٠

وكانت المحن العظمى في طريقها الى الظهور ، فبينما كانت أرمينية مستقرة لشابور ، لم يضع هذا الامبراطور الوقت ، بل قام بالمبادرة بالهجوم على أراضي بلاد الرافدين الشمالية ، ولم تستطع الاشتبكات الصغيرة التي قامت على الحدود الفارسية الشرقية أن تعيقه عن الاستيلاء على نصيبين في عام ٢٥٤ م وعلى دورا ـ أوروبوس الواسعة الشهرة في

سنة ٢٥٦ ، وكانت هذه المدينة مركزاً دفاعيا هاما على خط جبهة الفرات ، وشهد عام ٢٦٠ م ملك الملوك يلقي الحصار على الرها مما أجبر الامبراطور فاليريان على اتخاذ قرار بمحاولة التفريج عن المدينة، والالتحام بالعدو ، وكان هذا القرار قراراً مصيريا ، وكانت أعداد القوات الرومانية أدنى ، وقد مكنت خصومها من تطويقها ، وتم أسر الامبراطور بينما كان يحاول إنقاذ الموقف عن طريق المفاوضات الشخصية مع شابور ، وقيل بأن هذا تم عن طريق الخيانة وذلك حسب محتويات المصادر التقليدية ، وربما كان ذلك وربما لم يكن ، ذلك آن عبارة Dolo أو Per Froudem تتشابهان دائما في الروايات الرومانية ، ومهما يكن الحال ، فان القادة الكبار ، وولاة المناطق ، والشيوخ ، وعدد كبير من الضباط ذوي الرتب العالية قد وقعوا بالأسر كما وقع الامبراطور في قبضة شابور ، ثم إن الجيش الذي كان مؤلفا من عناصر من جميع أنحاء الامبراطورية قد انحل ، وتمت عمليات استسلام جماعية ، ولقد كانت أكبر كارثة ابتليت بها أدوات الحرب الرومانية ، الى درجة آنها كانت أكبر بكثير من هزيمتها في كرّه(١) .

وكان انتصار شابور في الرها مقدمة لفتحه شمال سوريا ، وقد نصب في مدينة أنطاكية التي كانت عاصمة المنطقة خائنا اسمه مريادس امبراطوراً منافسا لامبراطور روما ، ولم يكتف شابور بهذه المنجزات ، بل انتهز الفرصة فأرسل فرسانه لشن الغارات في الشمال ، والشمال الغربي ، وهبط هؤلاء الفرسان الى كبدوكية ، وكليكية ، وليكونية وبونتوس ، ومن المحتمل أن بعض أرتال الفرسان وصلت الى غاليشيا ، هذا ولا يسعنا هنا إغفال الهجمات التي تمت على كبدوكية وبونتوس ، وانطلقت من أرمينية لصالح قوات شابور مما يجعلنا نرى أن شابور لم

(١) في معجم المدن الكلاسيكية هي مدينة في بلاد الرافدين قتل قربها كراسوس .

يستهدف من توسيع نشاطاته في هذه الحملة مجرد إثارة الاضطراب خلف الخطوط الرومانية وكسب الغنائم الوافرة ، بل طمح الى بسط نفوذه المطلق على أقاليم آسية الصغرى ، التي كان لدى سكانها ـ وخاصة النبلاء ملاك الأراضي ، والاقطاعيون ـ بعض الجذور الفارسية والميول منذ أيام الدولة الأخمينية •

فلقد كانت كبدوكية وبونتوس ، وكوماجني فيما مضى كيانات فارسية سياسية ، وكان الرومان قد فصلوا هذه الأقاليم ودمجوها في امبراطوريتهم ، والآن توفرت الفرصة أمام ايران الساسانية لتظهر بمثابة وريث للأخمينيين ولتقاليدهم العظيمة ، ويتضح مقدار خطورة حلم شابور في الاستيلاء الدائم على هذه الأقاليم من خلال سياسته الدينية، ونستقي معلوماتنا بهذا الصدد من نقش اكتشف منذ ما يزيد على أربعين سنة ، وهذا النقش وإن عاد الى عصر شابور بيد أن هذا الملك العظيم لم يكن صاحبه ، بل كان صاحبه يسمى كرتير وكان صاحب مقام رفيع جداً في الديانة الزرادشتية ، وقد قدر لكرتير هذا أن يتدخل بطريقة مصيرية وحاسمة في حياة ماني ، وقد شغل في عهود حكم خلفاء شابور منصب (موبذموبذان) وهو صاحب السلطة العليا في المسائل الدينية ، وهو المؤسس الحقيقي للديانة الساسانية الرسمية ، وقد كان رجل دين يتسم بالقوة والطموح والدهاء ،ونقطة ضعفه الوحيدة ـ استناداً للأساليب المتبجحة التي صيغت بها لغة النقش إذا صح الاستنتاج ـ هو أنه كان فيه خيلاء شديدة •

ويروي كرتير ـ الذي كما هو واضح كان برفقة شابور أثناء حملته ـ كيف أنه لم يكتف باعادة الحياة والنشاط الى المعابد المهدمة في الأقاليم المفتوحة ، بل أسس معابد جديدة في أماكن لم توجد فيها المعابد [الزرادشتيه] من قبل، ونحن نعرف من خلال استعراضنا لتاريخ أرمينية

أن الفرس قد أقاموا مراكز زرادشتية عندما اطمأنوا الى سيطرتهم على الأقاليم التي احتلوها ، فقد احتاج اخضاع الأقاليم المحتلة الى استيعاب عقائدي أيضا ، ويظهر التطبيق الصارم للعقيدة في هذه الأحوال نية شابور في جعل هذه الأجزاء السابقة من الامبراطورية الأخمينية تحمل الصبغة الفارسية ، لا سيما وأن هناك احتمالات بوجود أقليات فارسية معتبرة بين سكانها ، فقد بقي المجوس من أتباع الديانة الزرادشتية بعد مضي قرنين أقوياء في هذه المناطق الى حد كان كافيا لابداء مقاومة شديدة لادخال الديانة المسيحية ونشرها بينهم ٠

ومن ذلك لم تترجم خطط شابور الى وقائع محققة في آية بقعة ، فقد شهدت أيام الخريف الأخيرة لعام ٢٦٠ م انسحاب جيشه الى بلاد الرافدين ، وليس بامكاننا أن نناقش هنا الأسس العسكرية الصرفة لاخفاقه ، إنما من الواضح أن العديد من الأسباب قد أسهمت في اتخاذ الملك العظيم لقراره ، ولا شك أنه كان للمعارضة المتزايدة التي قادها عدد من القادة المحليين الموالين للرومان مع طول خطوط الاتصال ومصاعب الامداد المتلاحقة ، والمخاوف من حملة تتم في فصل الشتاء والتي هي بالضرورة يمكن أن تسبب الخسائر لسلاح الفرسان ، مع خيبة الأمل من الموقف السلبي لسكان الأقاليم « المحررة » وأخيراً الأحوال المتقلقلة على الحدود الفارسية الشرقية كان لكل ذلك آثاره على الملك العظيم في إقناعه بالتخلي عن مشاريعه المتنوعة ٠

ولا يعني هذا أننا نقول بتخليه تماما عن مشاريعه في ذلك الزمان والمكان ، بل على النقيض من ذلك فقد استمرت الحرب طوال فترة حكم شابور على الرغم من أنه لم ينجم عنها أية نجاحات حقيقية ، ومع ذلك، فمن المهم أن نتذكر أن الأمور بدت في حوالي منتصف القرن الثالث وبدا كأنما حكومة الملك العظيم سيمتد ظلها ليشمل جميع منطقة الشرق

الأوسط ، ولقد كان لهذه الحقيقة أبعد الآثار وأهمها على طريقة نشر تعاليم ماني ·

الوضع الثقافي في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة

استمر التنافس بين بلاد فارس وروما على المستويين الثقافي والسياسي ، وبالطبع استخدم الرومان اللغة اللاتينية لأغراض قيادة الجيش والادارة العسكرية ، واستخدموا اللغة الاغريقية لأغراضهم المدنية وفي النواحي العقلية ، وعليه تمتعت الاغريقية بمركز سام في كل مكان من الشرق الأوسط ، وكانت خلال القرون الثلاثة الأولى لانتشار المسيحية أداة ووسيلة التعبير التي اعتمدها المؤلفون الأكاديميون والفلاسفة والأدباء ، وكان النفوذ الهلنستي فعالا لا تحده الحدود السياسية ولا توقفه ، وحدث أن استولى الفرثيون على بلاد الرافدين وضموها الى دولتهم في حوالي سنة /١٥٠/ ق·م ، وبعملهم هذا ورث ملوك الأسرة الاشكانية الكبار موظفي الامبراطورية السلوقية ، وكانت النتائج ـ بناء على المدونات المتوفرة ـ الاحتفاظ باللغة الاغريقية للمسائل الادارية وللنقوش على النقود ·

ولعل أكثر الأدلة مكانة وأهمية هو الرسالة التي أرسلها الملك أرطبان في سنة ٢١ ـ ٢٢ م الى اثنين من موظفيه ونوابه في سوسة ، في إقليم « خوزستان » ، فقد كان أولهما كبير الكتاب ، وهو منصب خاص اقتبس من الادارة السلوقية ، وكان الثاني « أصبهبذ » [قائداً للجيش] ومؤكد أنه حمل الاسم الفارسي المتداول « فرهات » بينما حمل الأول الاسم الاغريقي « أنتيخوس » ، وقد أوضح الامبراطور الفرثي بلغة اغريقية متدفقة ما ينبغي عمله حول انتقاء الموظفين المحليين ، وكانت صياغته للعبارات متطابقة مع الأسلوب الاصطلاحي الذي تطور منذ أيام خلفاء الاسكندر ·

وهنالك أمثلة أخرى من سوسة على الحيوية المستمرة للغة الاغريقية خلال هذه الفترة داخـل حدود الامبراطوريـة الفرثية حيث محتويات العديد من النقوش وهي تدل على أنه كان لأفراد أسرة البلاط والحاشية أسماء اغريقية ، وذلك بالاضافة لتكلمهم اللغة الاغريقية ، ويستخلص من هذه النقوش ما يشير الى أهمية تعلم الاغريقية، وعلى النقوش الهامة تلك التي تعالج مسائل تكريس العبيد من إناث وذكور لخدمة الربـة « نانا » التي اعتبرت ربة الخصب ٠

وتمتعت الاغريقية بهذه المكانة ليس في مدينة سلوقية الاغريقيـة فحسب، بل في العديد من المستعمرات الاغريقية ، مثل مدينة « أرتيمسيا Artemisia في أسفـل بـلاد الرافديـن ، التي تشهـد على مـدى قـوة النفوذ الهلنستي في داخل الدولة الفرثية ، ولسوء الحظ أن معارفنا حول هذه المناطق التي نطقت بالاغريقية ما تزال محدودة ؛ لأن أعمال السبر الأثري لم تمارس فيهـا إلا بشكل ضئيل جداً ، ومـع ذلك فان مدينـة دورا ـ أوربوس ، تقدم لنا فكرة هامة عن الحياة التي كانت موجودة هناك ، فهنا أيضا تمتعت الاغريقية بمركز مهيمن وذلك على الرغم من توفر مدونات أخرى وخربشات جاءت بالبهلوية والتدمرية ، مع وثيقة قانونيـة كتبت بالسريانية ، وأن محتويات الوثائق والمدونات جميعـا تشير الى الأساس الشرقي الواسع لسكان بلاد الرافدين ٠

ويظهر هذا كله ، بشكل مدهش ، السلطة النشيطة الفعالة ، التي حافظت عليها اللغـة الاغريقية والأفكار الهلنستية في بـلاد الرافدين والمناطق المجاورة ، خـلال العصر الفرثي ، فقـد كان سحر الحضارة الاغريقية قادراً على اظهار نفسه بطرق عديدة وبوسائل كثيرة ، بينما كان التأثير البابلي قد تضاءل بشكل ملحوظ بحلول القرن الأول لما قبل الميلاد ، وربمـا استمر هـذا التأثير على شـكل اجراءات وممارسات

محدودة ، وخاصة في مراكز التعليم القديمة التي استمرت في اعتماد اللغة المتأصلة القديمة · كل هذا بصرف النظر عن حقيقة أن اللغة الآرامية قد حلت محل البابلية ، وغدت اللغة الشائعة في الاستخدام منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ومهما يكن الحال فقد تم أحيانا تهجية البابلية بأحرف اغريقية أثناء استخدامها ، وذلك وفق الطريقة التي تم بها ادخال الأبجدية الآرامية في وقت مبكر وللأغراض نفسها ، ذلك انه من المشكوك فيه وجود أي استخدام للحروف المسمارية بعد بداية التاريخ المسيحي ، وينبغي أن نتذكر هنا في التاريخ السلوقي المبكر قام الكاهن البابلي المعروف باسم بيرسوس Berossos ، بتدوين النصوص المقدسة باللغة الاغريقية ليضمن حفظها للأجيال المقبلة ·

ومعروف أن الثقافة الهلنستية هي نتاج التمازج بين الاغريقية والشرق ، وعليه فان آداب بلاد الرافدين في هذه الفترة لم تكن اغريقية صرفة أو اغريقية فقط ، وانما هناك أسس راسخة وجيدة للاعتقاد أنه كانت هنالك بعض الأعمال الأدبية دونت باللغة السريانية ، وذلك شروعا من القرن الأول بعد الميلاد نظراً لبقاء بعض النصوص المنمقة التي حفرت على شواهد القبور وحجارتها · هذا وإن النقوش التي اكتشفت مؤخراً في المناطق المجاورة لمدينة الرها تعود الى زمن لاحق ، وهو القرن الثاني أو الثالث للميلاد ، وهي ذات اعتبار موضح للتطور الثقافي في الأجزاء الشمالية من بلاد الرافدين بشكل خاص ، وتعد بينها رسالة « مار بارسيرابيون » الوثيقة الأكثر قدما ، والتي يمكن تسميتها بكل دقة ووصفها على أنها رسالة أدبية ، وهي رسالة يمكن التثبت من تاريخها ، وتتألف من أمثال سائرة من الـ Stoa الشعبية ، وفيها مقطع من قصيدة لم يقتف أثرها بعد ·

وتنوعت أشكال المدونات الملكية في الرها ، من تاريخ مبكر ، وقد

جاءت علـى شكل حوليات ، كما تـم التعرف في دورا ـ آوروبوس الى وثيقة قانونية هامة ، تحتوي على مصطلحات فنية مهنية كاملة التكوين ، تشهد على صفاء اللغة ، وبات مؤكداً أن قصة « أبجر » المشهورة كانت متداومة باللغة السريانية ، قبل أن ينقحها المسيحيون ·

وكان الناسك (العارف) ابن ـ ديصان شخصية بارزة في القرن الثاني ، وباعتبار أنـه كان فيلسوفا ومؤرخا وعالمـا بأنساب الشعوب وفلكيا وشاعراً ومنافحا قويا عن المسيحية وماهراً في الجدل فقد شغل منصبا فريداً في بلاد الرها ، ويمكن أيضا عزو نفوذه وسمعته في الدوائر الملكية لدولة « أسروين » ليس لذكائه الثاقب وغير الاعتيادي فحسب بل لخبرته المذهلة في الرماية التي كانت الرياضة المفضلة لدى الفرثيين · هـذا ويمكن تحديـد تاريـخ أغنيـة اللؤلؤة المكتوبة كلماتها باللغـة السريانية من الفترة نفسها ، وتعكس خلفية هذه الأغنية بشكل ثابت البنية الثقافية والاجتماعية والجغرافية للامبراطورية الفرثية ، فهي مليئة بالكلمات والعبارات المستعارة من اللغة الفارسية ، ولولا اعادة ترجمة بعض التعابير والتلميحات الى اللغة الفارسية الوسيطة لما آمكن فهم العديد من تفاصيلها إلا بشق الأنفس ·

ويمكن القول أن هذا التقدم الأدبي الآرامي الذي بات آكثر نشاطا وحيوية منذ ما يدعى باسم« الآرامية الامبراطورية » في أيام الأخمينيين كان مسؤولا عن تطور لغة أدبية سريانية متسقـة ، حسبما اشتقت من اللهجة المتداولة لفظا والمكتوبة في الرها · ومن المهـم آن نبين هنـا آن وثيقـة دورا ـ أوروبوس القانونية لا تظهر آيـة انحرافات آو خروج ملحوظ عما اصطلح على تسميته بالرهاوي ·

إن ارتقاء اللغـة السريانية الى سوية آصبحت فيها اللغـة الأدبية الأولى في الاستخدام في بلاد الرافدين آمر ينبغي آن يقدر حق قدره كي

نفهم السبب الذي دفع ماني ـ بصرف النظر عن أصله الفارسي كمؤسس لدين جديد ـ الى الاعتماد على اللغة السريانية ذات الصبغة الرهاوية عندما أراد نشر تعاليمه في دياره ووطنه •

ـ الوضع الديني في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة :

كان الخلاف في المعتقدات الدينية داخل المناطق التي تكلمت الاغريقية والآرامية في هذه الفترة ، واضحا تماما ، وعبرت بلاد الرافدين عن شخصيتها وأظهرتها من خلال عدد واسع من الطوائف والفرق ، وشاركت الطبقات العليا لكل من الفرثيين والساسانيين في عقائد الفرس القومية بشكل رئيسي ، وبرز هذا بشكل جلي في تقديس الربان : مثرا وآناهيد ، وذلك ضمن ظروف تجددت ثانية أثناء تقديس الرب « زروان » ، والعقيدة الزروانية هي موضوع سيتكرر ذكره باستمرار في هذه الصفحات ، ومما لا ريب فيه أن الزرادشتية المحضة قد تمتعت بتأييد قوي بين صفوف الفرس من سكان بلاد الرافدين ، تماما مثلما منحت طائفة الكهنة المجوس المتنفذة ، ولاءها للزروانية •

وكانت التجمعات اليهودية سمة بارزة للريف البابلي منذ العهود القديمة ، وقد واصلت هذه التجمعات نشاطها الدعوي وأعمال التبشير لديانتها ، فربحت عدداً من المتحولين الى ديانتها لبرهة من الزمن حتى من بين أفراد الأسرة الفرثية الحاكمة في « أديابين » ، ومكن نفوذ اليهود هناك وفي الرها وبابل أيضا من نشر العهد القديم والتقاليد اليهودية ، وجعلها معروفة على نطاق واسع قبل ادخال الديانة المسيحية •

وكان ما يزال هنالك أنصار للديانة البابلية القديمة ذات الظلال المتنوعة من الايمان ، فقد جرت عبادة الربات والأرباب المحليين مثل عشتار إربيل ، لسنوات مديدة ، ومع ذلك كان التغيير الذي لحق

بشخصيتها واضحا، وهكذا حكم بالاخفاق بلا رحمة على الأديان المحلية، وكثرت الاشارات في الأيام المقبلة ، الى تفرع عقيدة خاصة متميزة ، عن العبادة القديمة للأرباب المعبودة من بين النجوم ، ويعود الفضل هنا الى النقوش السريانية المكتشفة في المناطق المجاورة للرها ، فمنها نتعرف الى أن صور وأشكال العبادة البابلية المتأثرة بعقيدة العرفان (الغنطوسية) بدأت تتخذ بالتدريج أشكالا أكثر تجديداً • ومن الأهمية بمكان اكتشاف الحركة التوفيقية السريانية ـ الاغريقية فيها إذ نجد أن التمازج بين المصطلحات الفنية واستعارة بعضها من الاغريقية ممتع جداً ومفيد ، فهنا نجد كلمات مستعارة مثل Bolos أي البرد ، و Hula أي المسألة ، و Namosa (الناموس) أي الشريعة أو القانون ، ومثل هذه التعابير قد ازدادت أهميتها في الفترة اللاحقة •

وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار بعض الطقوس السورية مع اتباعها في كل من بلاد آشور وبابل ، فقد أظهرت أعمال السبر الآثاري في دورا ، أن الفيالق الرومانية ذات الأصل السوري مع القوات السورية الاحتياطية ، قد بقيت مخلصة لعقائدها ، متمسكة بطقوسها المتأصلة حيثما وجدت •

وكانت بلاد بابل الجنوبية ملاذاً مفضلا لدى عدد من الطوائف ذات الخلفيات البابلية ـ السريانية ، واليهودية والمسيحية ، وخير نموذج نستشهد به هو طائفة « المندعيين » التي سيأتي ذكرها مراراً ويقال عنها الكثير فيما بعد •

وأخيراً لم يكن المسيحيون بطيئين في الحصول على موطىء قدم لهم في بلاد الرافدين الشمالية [الجزيرة] فقد كانت الرها مركزاً للبعثات التبشيرية ، ومنها انتشرت المسيحية الى الشرق والغرب ، فوصلت الى بعض الأقاليم الفارسية الصرفة [مثل اقليم أديابين ثم الى خوزستان

ففارس] وذلـك في حوالـي عـام /١٠٠/ م ، وبالمناسبـة يلاحظ آن المسيحية قد أظهرت أيضا العديد من التنوعات المتجانسة ٠

ومن المحتمـل أن اليهودية دون غيرهـا من الديانات ، والحركات الدينية كانت قد فقدت زخمها السماوي في بداية القرن الثالث للميلاد، وكانت المسيحية قد أظهرت نفسها من قبل على أنها المنافس المهيمن في بلاد الرافدين الشمالية ، إنما بسمة يهودية قوية، وبذلك حققت غالبية التحولات اليها بين صفوف اليهود ، وتعتبر الأسطورة السريانية حول أعمال الرسول « أداي » مصدراً فريداً للمعلومات حـول البيئة التي تطورت فيها الديانة المسيحية السريانية ، كما أن الترجمات السريانية للعهدين القديم والجديد تعتبر ثمينة جداً في اظهار الصلة القريبة بين الرها وموطن المسيحية ، وإن ما يسمى برواية بيشيتا للعهد القديم له علاقة وثيقة بالترجمات الآرامية ـ اليهودية للعهد القديم ، والمعروفة باسـم « الترجوم » لقربهـا من اليهودية أو لوضوح الروح اليهودية ـ المسيحية التي يمكن تلمسها فيهـا ، هـذا ولكل من الديانـة اليهودية والعهد القديم مكانة معتبرة بالنسبة لماني والمانوية ، إنما بمعان سلبية تماما ، وهي ستجري مناقشتها فيما بعد ٠

واعطيت المسيحية منذ بدايتها في الرها وعلى الفور دوراً روحيا غنطوسيا واضحا من جانب ابن ديصان وأتباعه ، وهذا هو السبب في أن كلمة مسيحي اعتبرت هناك بشكل رئيسي على آنها تعني الديصانية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجدت طوائف مرقيونية مزدهرة وهم أتباع مرقيون ، وهـو عالـم لاهوت غنطوسي كبير ، وكانت معظم هذه الطوائف في أعالي بلاد الرافدين ، وخاصة في الرها ، ولهذا لم تكن مهمة الأسقف ربّـُله سهلة على الاطلاق في طرد قوى الديصانية والمرقونية ، وذلك في بداية القرن الخامس م ، وثبت أن مصاعب الكنيسة ومشاكلها مع هاتين الطائفتين طويلة استمرت حتى العهد الاسلامي ٠

ومن المفيد والمثير في الوقت نفسه معرفة أن هذين الزعيمين الغنطوسيين البارزين ـ أي مرقيون وابن ديصان ـ قد ترعرعا في أجواء فارسية متشددة ، فقد ولد مرقيون داخل حدود مملكة بونتوس الفارسية في ميناء سينوب في آسية الصغرى ، ولم يكن لابن ديصان ارتباطاته الوثيقة مع بلاط الرها الذي هو في حد ذاته قد نبع من الحضارة الفرثية فحسب، بل كان له ارتباطات مع اقطاعية أرمينية التي حكمها الفرثيون، فهو الذي كتب تاريخها ، هذا وتستحق روابطها الفارسية التعليق بشكل خاص ؛ لأنها يمكن أن تفسر المؤثرات الثنوية التي ظهرت في انماطهما العقائدية ، وعليه يمكن اعتبارهما من حيث المنشأ والمظهر من البشائر الدالة والمقدمة لظهور ماني ، فقد كان لكل منهما تأثير قوي عليه ، وتبدي انتقاداته اللازعة والساخرة لهما الحاجة الماسة التي شعر بها لتبرئة ذمته من دينهما ولاعلان استقلاله عنهما ٠

ولدينا بعض المدونات عن مذهب العرفان (الغنطوسي) السرياني المبكر هذا ، لكن ليس أكثر من بعض أعمال ابن ديصان التي آنقذها علماء الكلام واللاهوت ، وقد حفظت بشكل غير مباشر ، ومن آهمها قطعة فيها قصيدة عن نشأة الكون ، وقد ورد نصها في كتابات الكاتب السرياني موسى بار ـ كيفا ، كما وصلتنا قصيدة ابن ديصان المشهورة بعنوان « حوار حول القدر » غير أن ما وصلنا منها خلو من آي آثر للتفكير الغنطوسي ٠

وهناك مصدر آخر أكثر غنى وفائدة حول النظرة الغنطوسية المبكرة للمنطقة الناطقة باللغة السريانية ، وهو أعمال الرسل ، وهو عبارة عن عمل أبوغرفاوي معروف ، أو بالحري منتشر تحت اسم الرسول توماس، وهدفه عرض صورة مشرقة لنشاطه التبشيري في المناطق الشمالية الغربية من الهند ، وهو شديد التغلق ، وواضح الفائدة حول الفكر الروحاني

لدى الفرثيين ، وعلى العموم نلاحظ أن العناصر الغنطوسية قوية جداً وواضحة المعالم في هذه السيرة الرسولية،وهي مثل سائر الأعمال المشابهة تتبع مصطلحات وأسلوب روايات العصور القديمة الى حد أنه اعتقد فيما مضى أنه من الممكن أن تكون ذات اتجاهات مانوية محضة ، بيد أن أعمال التحليل الأكثر دقة قد أظهرت أن مقاطعها النثريـــة بالاضافة الى القصائد المقحمة فيها ، والأجزاء المتعلقة بالطقوس الدينية ذات تنوع غنطوسي لا علاقة له البتة مع المانوية، مع أنها من بعض الجوانب متقدمة عليهـــا •

ومن وجهة النظر هذه نجد أن أغنيـــة اللؤلؤة الشهيرة هي الجـــزء الأكثر أهميـــة ، وقـــد قـــال ف. س. بوركت FC burkitt ، وهـــو مـــن أعظم الخبراء بالأدب السرياني : إن سمة هذا الأدب الأساسية هي بعض المرونة والتوسط ، ومع ذلك فهو يعترف أن هذه القصيدة (التي قـــدم لها ترجمة انكليزية رائعة) هي شيء مستثنى •

وموضوع القصيدة[1] هو أن أميراً فرثيا نـــزل الى مصر تحقيقـــا لوصية والديه، للحصول على لؤلؤة كان يحرسها تنين مخيف ينفث السم، ونظراً لخشيته من سكان هذه الأرض الغريبة حاول عبثا إبقاء هويتـــه سرية ، وبينما كان مقيما في أحد النزل قدمت إليه وجبة دسمة أنستـــه مهمته ، وجعلته يغط في نوم عميق ، وسمع أبوه الملك على الفور بخبر الحادث المؤسف هذا ، فقلق كثيراً ، وطلب عقد اجتماع لأعيان مملكته مع أمرائها بغية رفع مذكرة تحذير وتنبيه الى ابنه ، وقد ختم ووقـــع عليها أصحاب الاقطاعات في مملكته ثـــم هو نفسه مع الملكـــة ، وخطت الرسالة على قطعة رائعة من الحرير ، فأخذت شكلا مدهشا يشبه شكل النسر الذي يمكن لصوته المرتفع أن يوقظ الأمير النائم ، ودهش الأمير

(١) انظر نصها في الملاحق •

واستيقظ فقرأ الرسالة بسرعة ، فماهد نفسه مجدداً على العودة الى بيته وأسرته بعد إنجاز مهمته ، وتمكن بتلاوتــه لتعويذة من سحــر التنين المخيف فأخذ اللؤلؤة، وبدأ رحلة العودة، وعندما وصل الى حدود موطنه، قابل اثنين من حفظة الذخائر الملكية يحملان ثــوب الأبهة الخاص بــه والذي تحتم عليه خلعه قبل رحيله ، وكان والداه قد وعداه أن يعيداه إليه بعد أن يكون قد أنجز مهمته ، ولدى وقوع نظر الأمير على الثوب لم ير فقط نفسه منعكسة عليه ، بل وجد أنه ما يزال يناسبه • لقد كان هو وثوبه اثنان في العدد ، لكنهما كانا شيئا واحــداً في الواقع ، وأخبره الشق الثاني من نفسه ، أي الثوب ، كيف أن نموه قد حافظ على نسبة التقدم مع أعماله العظيمة ، وارتدى الأمير ثوبه الفخم ، وتابع مسيره ، بعدما استقبله الأصبهبذ [حاكم منطقة الحدود] بكل حفاوة وتبجيل الى أن وصل بلاط ملك الملوك •

ولهذه الحكاية الشرقية الغريبة ، والنابضة بالحيوية ، خلفية فرثية صرفة ، فهذا ما يوضحه فحص تفاصيلها ، ولهذا السبب وحده ، وعلــى أساسه فقط يجب إلحاقها بالفترة التي سبقت ظهور ماني ، وعليه فــان الاقتراح القائل : إن الأمير يرمز الى ماني غير وارد إطلاقا على الرغم من أنه لاقى مثل هــذا الاعتبار من قبل ، ذلــك أن البيئة الاجتماعيــة والجغرافية واللغوية للقصيدة هي بيئة فرثية • فتتابع المقومات والملامح يوحي بوجود محيط إقطاعي ثم إن التصريح الواضح والمحدد حول دعوة الملك لأمراء وأعيان الدولة الفرثية يزيل تماما أي احتمال في أن هــذا العمل قد تم أيام الحكم الساساني لبلاد فارس ، وهو العهد الذي شهــد ظهور ماني •

وتوضح أغنية اللؤلؤة التي نظمت قبل العهد المانوي طبيعة الأحوال الثقافية للعالم الذي أطل عليه ماني ودخله ، وسنشير مراراً خلال مراحل

سير هذا الكتاب الى هذه القصيدة لأنها تزودنا بمفتاح ثمين لفهم الشخصية الحقيقية والملامح الأساسية لمذهب العرفان (الغنطوسية) ٠

وكما سبق بنا القول فان « أعمال توماس » تبين بوضوح العناصر الغنطوسية ، فمثلا نجد أن الصلوات النذرية التي تسبق إنجاز الرسول لعملية التعميد وتناول القربان المقدس قد مثلتا ظاهرتين ذواتي نتيجة واحدة بالنسبة للمسيحيين السريان ، فمنذ البداية نجد أن التعويذة تخلص الانسان لفترة قصيرة ، وتدفع عنه أرواح العذاب والمرض الشريرة، غير أنه لا يتخلص ولا ينجو منها تماما إلا بالتعميد، فبالتعميد تتم تقييد قوة الشياطين ، وبالتعميد فقط يتخلص الانسان من الاثم وبالتالي من المرض، لأن المرض وفق الآراء السامية ينتج عن القوة التي يمارسها الشياطين على الانسان المذنب ٠

ويتبع تناول القربان المقدس عملية التعميد دائما ، وعليه فان المُعمَّد حديثا قد عرج الى السماء وشارك في ثمار شجرة الحياة ، وكان هذا هو المسيح نفسه الذي اعتبر وجسده ثمرة الحياة ، ويقول إبراهيم ــ أبو الكنيسة السريانية ــ في إحدى تراتيله المكرسة للمعمدين حديثا (تراتيل عيد الظهور : ١٣/١٧) : « إن الفاكهة التي لم يذقها آدم في الجنة ، موضوعة الآن بابتهاج في أفواهكم » ويتطابق هذا الرأي مع أعمال توماس (الفقرة : ١٣٥) حيث يسمي القربان المقدس باسم « دواء الحياة » ٠

واعتبر الدهن بالزيت في بعض المناسبات على أنه ذو فعالية مساوية، وعليه يبدو أن الماء لا يعتبر في « أعمال توماس » عنصراً هاما للتعميد ، كما أن الزيت قد ربط أيضا مع صورة الجنة ، لأن الغنطوسيين رأوها ترمز الى الزيت من شجرة الحياة ، وتقول الصيغة الغنطوسية المحفوظة في أصل Contra Celsum VI, 27 ما يلي : « كنت مدهونا بالزيت المضيء لشجرة الحياة » ٠

إن الارتباط بين التعويذة والتعميد والقربان المقدس قد جرى وراثته ، فالصلة مع الدين القديم لبلاد الرافدين واضحة تماما من خلال التطبيق المحكم القائم بين المسيحيين السريان لهذه الاجراءات المقدسة ، وخاصة في نصوصها الغنطوسية ، إذ تصبح الصلة الروحية واضحة عند كل التفاتة نحو المصطلحات المناسبة ·

وتعتبر بلاد بابل الجنوبية المنطقة التقليدية للطوائف الغنطوسية المعمدة ، ولا يوجد أي شيء عرضي حول الحركات الغنطوسية المعمدة التي كانت قد تأصلت هناك ، ويمكن القول إن هذه التعاليم استمرت دون انقطاع منذ العهود المبكرة للسومريين وحتى الأزمان المعاصرة ، ففي عهود السومريين بدأت في مدينة أريدو الواقعة على الخليج العربي عبادة ارتبطت مع « أيا » ـ وهو رب سماوي كبير ـ مع برجه السماوي وزوجته « دامكينا » وابنه « أسري لودو » (وهو الذي عرف فيما بعد باسم مردوك) ، وقد شغلت فيها أعمال « الغسل أو التطهر » دوراً هاما كوسيلة لانقاذ المرضى من سلطان الشياطين وشفائهم ، كما كان الزيت الذي عرف باسم « زيت الحياة » أيضا عاملا هاما في مجموعة الطقوس ، واتخذ الرب الكبير « أيا » شخصية مخلص الانسان الذي تعذبه شياطين المرض ، وكان بالنسبة للمشاركين في العبادة فوق جميع الممجدين في النصوص الدينية المقدسة ، ففي الجوانب الايجابية لهذه النصوص أمل العابدون بضمان الحياة بأكلهم عشب الحياة أو ثمرة شجرة الحياة ، أو أن يرش عليهم ماء الحياة ، أو أن يشربوا هذا الماء ، وتورد النصوص كيف شرع جلجامش في البحث عن عشبة الحياة ، وكيف صعد « آدابا » الى السماء حيث قدم له الطعام مع ماء الحياة ، وكيف مُسح بالزيت وألبس الثياب الفخمة ، وكانت هذه الطقوس في الواقع طقوسا جرت في العادة بمناسبة تتويج أحد ملوك سومر، وواضح فيها أن الانسان العادي

قد أمل في أن يشارك فيها في نهاية الأمر ، والمهم أن ملحمة جلجامش قد انتهت بتشاؤم تام ، صحيح أن البطل قد وجد عشبة الحياة، لكنه فقدها، وأخفق بالتالي في جلبها الى رفاقه ليأكلوها ، ومهما يكن الأمر فاننا نعلم أنه كان في بلاد الرافدين ما يمكن تسميته « طوائف صوفية » ، لم يخب أملها في ضمان بقاء « الحياة » أبداً ٠

ومن الواضح أن حركات « التعميد » في بلاد بابل الجنوبية ، كانت فروعا ناشئة عن المجموعات الصوفية الشرقية القديمة التي وضعت في صلب أعمالها التعبدية : تعويذة أولية ضد الشياطين ، فغسلا (وضوءاً) مقدسا ثم صلاة جماعية ، إنما إذا كانت بلاد الرافدين قد آنتجت الممارست الدينية في اطارها الطقوسي ، فان بلاد فارس هي التي آعطت معنى تأمليا عميقا لهذه الطقوس بالذات ، وواضح هذا في حالة « المندعيين » وهي طائفة « معمودية » صغيرة ما زال لها مؤيدوها، خاصة في جنوب العراق ، ولا يتجاوز عددهم خمسة آلاف ، وهم لا يزالون يعيشون في الدرجة الأولى ـ كما عاشوا في الماضي ـ في البطاح المليئة بالمستنقعات الواقعة حول شط العرب٠ إن «المندعين» المعاصرين هم أحفاد انحدروا من الطائفة « المعمودية الغنطوسية » التي كانت موجودة آيام ماني،وقد حافظوا بايمان على كتابات طائفتهم المقدسة وعلى معتقداتها ومظاهرها وأساليب عملها الروحية، لكن متى نشأت عقيدة هذه الطائفة؟ تلك موضع خلاف ، لأن أدبها لم يدون إلا بعد الفتح العربي لبلاد الرافدين ، وقد ذهب بعضهم الى القول بأن عقيدة « المندعيين » قد تطورت في فترات متأخرة من تطور المانوية ، وأن نقاط التشابه « الغنطوسية » بين الحركتين ما هي إلاّ أدلة تظهر اقتباس « عقيدة المندعيين » من المانوية ٠

ولا شك أن هذا الرأي قد جرت صياغته بسرعة بالغة ، ذلك آن نصوص التوسل والدعاء لدى « المندعيين » يمكن عزوها ـ على آساس عمليات تحليل الخطوط واللغة ـ الى عام آربعمائة بعد الميلاد ، فهي

مكتوبة على ألواح رصاصية، وهي تحصي أسماء أرباب «المندعيين» ثم تقدم سلسة لغالبية الأفكار العقائدية لديهم ، خاصة تلك التي لها صلة وثيقة بالموضوع · وتقودنا الأدلة المستخرجة الى الاعتقاد بأن العقيدة هـذه كانت متطورة تماما في عام ٣٥٠ م ، إنما لا يزال هذا التاريخ يضعها قرنا من الزمن بعد قيام ماني وتبشيره بديانته ، لكن هذه النقطة ليست الوحيدة أمامنا للاعتبار ، فقد كان « المندعيون » قد نالوا هذه التسمية تمشيا مع كلمة التسمية في الآرامية الشرقية للغنطوسية ، وهي « مندع » أو « مندعي » ، لكن المندعيين أنفسهم أطلقوا على أنفسهم في العادة اسم « ناصُرَائي » وهي ـ وهذا أمر غريب حقا ـ عبارة تعني المسيحيين أيضا ، ونجد في الانجيل (متى ٢/٢٣) وصف عيسى على أنه « نازُرَيوس » (وتستخدم الترجمات السريانية عبارة ناصُرَايا) وقد فسرت على أنه كان من الناصرة ، ومع ذلك فقد أدرك آن عبارة « ناصرائي » ليست الصيغة الطبيعية الناشئة اشتقاقا عن « ناصرة » ولم يفقد التوليد أيا من فعاليته ، ذلك أن « المندعيين » لم يعبروا مطلقا عن أكثر من الكراهية الشديدة للمسيحيين ، وسموهم دائما « مسيحيين » ولم يسموهم قط « ناصُرَايا » وهي التسمية التي أطلقوها على أنفسهم ، وإذا أردنا أن نفترض أنه كان بامكانهم أن يختاروا كنيتهم من المسيحيين، الذين كانوا يسمون في الشرق الأوسط بشكل لا ينكر باسم « ناصرائي » فان هذا الافتراض لا يمكن الدفاع عنه ، ذلك أن نقش كرتير في « نقش رستم » الذي سبق ذكره من قبل قد عدد غير المؤمنين بالزرادشتية ، الذين تباهى « موبذ موبذان » في أنه اضطهدهم ، وميز في الذكر بين المسيحيين و « الناصرائي »، ويمكن تحديد تاريخ هذا النقش بسنة ٢٧٥ م تقريبا، وبناء عليه يمكن القول إن المسيحيين والناصرائيين قد وجدوا في ذلك التاريخ داخل حدود الامبراطورية الساسانية بمثابة آتباع طائفتين اعتبرت الامبراطورية الفارسية كلا منهما عقيدة مختلفة عن الأخرى ، وتتوافق هذه الأوضاع مع حقائق أخرى فيما يتعلق بلفظ « ناصرائي »،

فقد وجـد ـ مثلا ـ طائفـة مسيحية ـ يهودية تحت اسـم « نصرؤي » ولا شك أنه كان لدى «المندعيين» العديد من التقاليد اليهودية، وأظهروا العديد من الآثار التي توحي بأصـل فلسطيني · وبالرغم مـن وضوح أس كون هذا التوتر هرطقيا برمته ولم يكن « تقليـدأ ملتزما » فـان تفاصيل عديدة تشير الى شكل غنطوسي يهودي ـ سامري، وإن مخطوطات البحر الميت المكتشفة حديثا كانت مفيدة وفعالة في كشف أجزاء متعددة وأصيلة من المعلومات ·

ومن ناحية أخرى فقد اعتبر « الديصانية » أنفسهم مسيحيين ، في حين أن الكنيسة الرئيسة وصمتهم بالهرطقـة ، ولـم يسبب هـذا أي اختلاف بالنسبة لهم ، لادعائهم منذ البداية في الرها لاسم المسيحيين، وقد نجحوا في تكييف أنفسهم على هذا الشكل ، وذلك في وقت جرى فيه دعوة أتباع الكنيسة الرئيسة باسم « بالوتيتيين » نسبة الى أسقفهم « بالوت »، ولا شك أنه كان للجماعات المسيحية المتنوعة تشكيلة واسعة من التسميات المشابهة لـ «ناصرائي» كما فعلت الجماعات الغنطوسية اليهودية المنبثقة عن الاقناع المعمداني الواقع تحت التأثـير الغنطوسي ، والذي يمكـن بوساطته ربـط أصـل الديانة المسيحية ، والى هذه الدرجـة ، كـان « للمندعيين » الحق التاريخي لجميع مظاهـر التسمية بـ « ناصرائي » التي عنت كما يبدو شيئا يشبه الملاحظة أو الاعتراف ، ومن المحتمل أن عبارة « ملاحظة أو اعتراف » تشير الى مماشاة أو مسايرة الحركات ذات الاستخدامات المعمدانية المميزة ·

وعلى هذا فان تفسير أصل تكون « المندعية » لا يثير أية مصاعب ، وذلك عندما يؤخذ بالحسبان أصلها اليهودي وتراثها الرافدي [نسبـة الى بلاد الرافدين] في الممارسات المعمدانية ، ويبقى هناك [كمـا سلفت الاشارة] موقف عنطوسي تأملي فقط في المظهر الخارجي « للمندعيـة » يمكن عزوه بشكل رئيسي الى عناصر ايرانية ، ومن الناحية اللغوية نجد

أن ضم هذه العناصر الفارسية بعضها مع بعض مسألة سهلة ، فلقد كان العلماء يدركون منذ زمن طويل أن الكتابات « المندعية » المقدسة تحتوي على مصطللحات عديدة وأسماء أشياء من اشتقاق فارسي ، ومهما يكن الحال فان الفحص الدقيق للكلمات المستعارة هو تطور جديد نسبيا ، والاختلاف فيما بين الصيغ الفرثية الوسيطة والفارسية الوسيطة أمر حاسم ، ففي كثير من الحالات تكون صيغة الكلمة إما فرثية، أو أن الكلمة لا تشاهد إلا في الفرثية ، وعليه تحدد نسبتها ، هذا وإن التباين بين لهجات الفرثية الوسيطة والفارسية الوسيطة واضحة تماما الى درجة يمكن فيها تحديد الأصل اللغوي بثقة تامة ، فقد كانت الفرثية الوسيطة هي اللغة الرسمية لامبراطورية أسرة أرساسيد (الاشكانية) وهي قد رقت الى المنزلة العالية مع هذه الأسرة وذوت معها وزالت ، وخلفها وحل محلها الفارسية الوسيطة وهي لغة أباطرة الأسرة الساسانية العظام ، حيث كان موطنهم الأصلي هو اقليم فارس ، وفي مواجهة العدد الضخم من الكلمات المستعارة من الفرثية الوسيطة في الكتابات المندعية ، نجد أن ذلك يعني أن هذه الكلمات آقتبست قبل أن تصبح الفارسية الوسيطة هي اللغة الفارسية المهيمنة أدبيا ، ذلك أنه من الصعب التخيل أن اللغة الفرثية كانت قادرة على بذل درجة مشابهة من النفوذ على بلاد الرافدين بعد سقوط الدولة الاشكانية (أرساسيد) • وعلاوة على ذلك فان تكرار الكلمات المستعارة من الفارسية الوسيطة في المدونات « المندعية » نفسها يؤكد حلول التأثير الساساني محل التأثير الفرثي ، وعليه يؤكد التحليل اللغوي وجود المندعية وكتبها في هذه الأزمان المبكرة مع الاستلهامات الكبيرة التي حصلت عليها من المصادر الفرثية ، وهذا يقدم معياراً زمانيا هاما •

ويتواءم الدليل اللغوي تماما مع التوجيه الذي أعطته محتويات اكلتابات المندعية المقدسة ، وكان المفهوم الفارسي الأكثر تطوراً بسهولة

هو الفكرة القديمة لعروج الروح الى السماء ، فوصفها في « أبني شاد » Upanishads هــو الوصـف ذاتــه في الكتابــات الزرادشتيــه ، والمندعية والمانوية ، ونجدها في المندعية قد حظيت بشيء من التمجيد بقربان معمداني مقدس ، وهو ما يسمى بقداس الأموات الذي يأخـذ الميت فيه نصيبا ويشارك فيه ، وتتوضع نصوص هذا القداس الأساسية في صميم المعتقدات المندعية ، وسواء أتم تطبيق أساليب النقـد الأدبي المباشرة أو أساليب البحث التاريخي فاننا نجد أن هذه القصائد تنتمي بشكل واضح الى الأجزاء الأقدم من العقيدة المندعية،أما المفاهيم الأخرى المستقاة من ايران فهي : بقاء الشياطين حول الجثة ، والعودة الى خزانة الأرواح ، وثواب الأعمال الفاضلة ، واللقاء مع صورة الروح ، وتسليم الرداء والتاج ، والجلوس على العرش المعد في السماء ، والاستقبال من قبل رب الأرباب ، وتعتبر فكرة « الخلاص عن طريق المخلص » ـ التي هي مفهوم غنطوسي قائـم في صلب المندعية والتي تدور حوله عقيـدة النظام كله إيرانية .

والشيء البارز الأهمية في تحديد تاريخ بدايات الكتابات المندعية المقدسة هو حقيقة أن العديد مـن الكلمات المستعارة والصيغ المتبنـاه تشير الى عالم اقطاعي فرثي ، فاللغة اللاهوتية للديانة المندعية ببساطتها تستلزم قطعا وجود تركيب اقطاعي للمجتمع ، ذلك أن بعض التعابـير مثل : معلم خـاص ، أو قرابـة أبويـة بالرعاية والتربية ، مع بعض العبارات الدلالية مثل : تابع ، ومؤيد ، وصديـق ، وأخ ، وتلميـذ ، جميعها جزء لا يتجزأ من الخلفية الارستقراطية الاقطاعية الفرثية ، وقد تطلبت الفرز للذكر والاستخدام ، ويلاحظ في هذه الكتابات آنها غالبا ما ترمز للمخلص وتصوره مسلحا نفسه ، وشاداً حزامه على وسطه قبل القفز الى الأعماق لمباشرة القتال مـع قوى الشر ، ويعكس شـد الحزام بشكل تام حالة التابع الذي يرتدي حزامه ويشده بنفسه قبل الشروع في أداء المهام المعهودة إليه ، هذا ويمكن أن نأخذ أيضا وصف القتال من آنه

وصف لما جرت عليه العادة الفرثية (انظر ما يلي ص : ٤٩ ، ٨٣ ٠٠٠)

ومن العوامل الأخرى التي تشير الى التأثير الفارسي مسالـة مفهوم التعميد بالماء والنار ومعمودية الجسر ، فهي تتوافق بشكل محكم مـع الطقوس الفارسية ، والأفكار الميثولوجية ، ولا بد مـن الاشارة الى أن هذه الظاهرة لم تتعرض بعد لتحليل كاف ، ولم يتم سبرها بشكل دقيق ، خاصة فيما يتعلق بأصلها،إنما من الواضح أن طقوس التعميد المندعية تشير بوضوح الى بعض الآثار الفارسية ، وهذا هو الحال أيضا في طقوس قداس الموتى ٠

وخلاصة الأمر ، إن مما يثير الانتباه ، هو السمة الايرانية الشديدة الوضوح في المندعية ، وعليه ينبغي تصنيف هذه العقيدة ضمن اطـار ما يسمى النمط الايراني لمذهب العرفان [الغنطوسي] ٠

وبناء على هذا ، ومن خـلال دراستنا للكلمات المستعارة ولأصول المندعية ، نجد أنفسنا مقودين نحو خليفة فرثية ، ويؤكد هـذا المواد التراثية المندعية التي نشرت حديثا ، والمتعلقة بشكل خاص بتاريخهـا المبكر ، فقد جـاء فيها بأن أرطبان الملك الفرثي ـ الـذي لسوء الحظ لا تتوفر معلومات أوسع عنه ـ قد شغل دوراً حاسما في تأسيس الطائفة، وتستطرد هذه المواد التراثية لتربط كل من المندعية والشخصية الرئيسة في العقيدة ، وهـو يوحنا المعمدان بجبال ميديا ، وذلك قبـل انتقـال المندعيين الى بلاد بابل ٠

وكما سلف بنا القول إن العلاقة التأريخية بين المندعيين والمانوية ، كانت موضوعا للمناقشة الحادة ، ورأينا الآن أنه يجب وضع المندعية في الفترة الفرثية ، لأن جميع قضاياها وما يتعلق بها ، يشـير الى أوضاع تتوافق معها زمنيا وتعاصرها ، وهذا ما يجعلها أقدم من المانوية ، هذا وهناك دليل آخر داعم لا يمكن دحضه فقد تم اكتشاف أنه تحت بعض المزامير المانوية المقدسة المكتوبة باللغة القبطية يوجد نمط لـه مظاهر غنطوسية مميزة،وذلك عن طريق استخدام بعض المفاهيم والصيغ الدينية

الطبيعية القديمة ، وهذا قد وجد في شكل رافدي حقيقي ، وقد أصبح نمطا أدبيا ثابتا ومميزاً في وقت سبق منتصف القـرن الثالث للميلاد ، ولقد وجد المانويون ذلك في الكتابات المندعيـة فضمنوه في كتاباتهـم الخاصة ، لأنه لا جدل حول وجود نصوص مقحمة ومدموجة بدون تغيير في داخل مجموعة من المزامير المانوية القبطية ، كما هو الحال في مزامـير توماس التي تحوي نصوصا تصدفها في الكتابات المندعية، وتظهر أخطاء الترجمة والعجز عن الفهم من قبل المانويين في جميع أرجائها أن الصيغة المندعية كانت المثل المحتذى به في كل منحى ·

ولا يبقى هناك أي مكان للشك حول أسبقية المندعية زمنيا للمانوية، ويؤكد استخدام الطائفة المانوية للكتابات المندعية المقدسة ، أنها ـ أي المندعية ـ كانت موجودة في حوالي ٢٥٠ بعد الميلاد ، وإن وجود العـدد الكبير من الكلمات الفرثية المستعارة مع التقاليد الفرثية المحضة (على سبيل المثال ما تعلق بالملك أرطبان) ترجع بهذا التاريخ وتعود به الى حوالي سنة ٢٢٦ م ، لا بل إنها توحي أن عام ٢٠٠ م هو الاحتمال الأكثر مواءمـة ، ويمكن أن نضيف الى هـذا ـ دون الدخول بالتفاصيل ـ أن الأبحاث الأخيرة حول الصلة فيما بين المندعية وطائفة قمران في منطقـة البحر الميت ترجع بتاريخ المندعية الى فترة ما تزال أبكر ، حتى ربما الى الأيام التي سبقت قيام المسيحية ، والمهم أنه يفي بغرضنا البرهان على أن المندعية كانت موجودة في حوالي عام ٢٠٠ بعد الميلاد ·

وكانت الأشكال المتنوعة للدين القومي الفارسي ، وخاصة تبجيل الرب مثرا ، ذات أهمية رئيسة في بلاد الرافدين والمناطق المجاورة لها ، وكان هذا ، فوق كل شيء، صحيحا فيما يتعلق بالطبقات الفرثية العليا، وانعكست سيطرة مثرا الاستثنائية أيضافيالمدى الذي انتشرت فيه عبادته فيما وراء الحدود الفارسية،حتى أصبحت طرائق ممارسة طقوسه تعرف باسم « الطقوس المثراوية » وهذه الطقوس ذات صلة بموضوعنا لأنهـا مورست في الفترات الفرثية في كل من دورا وأوروك في جنوب بلاد بابل·

ولم تكن هذه الطقوس التـي مزجت بعناصر رافديـة ذات سمات فلكية (عبادة النجوم) الأدلة الوحيدة على مكانة المثراوية السامية ، ثم إن تبجيل مثرا كان ملحوظا بشكل خاص في كل من أرمينية وبلاد فارس الشمالية الغربية ، وبالفعل كانت ميديا الدنيا وميديا العظمى المراكز الأساسية لعبادته ، فهناك تركزت السلطة الدينية العليا وتمثلت بسيطرة طائفة المجوس الكهنوتية القويـة التي رست في أيديهـا سلطة البت في المسائل الدينية ، وعمل رجال الكهنوت المجوس أنفسهم في دورا بمثابة كهنة لمثرا وربطوا أنفسهم ـ كما يبدو ـ مع العبادة المثراوية في بـلاد الرافدين وفي آسية الصغرى أيضا ، وأخضعوا بهذا التصرف أنفسهـم لتأملات النظام التوفيقي ٠

ونالت عبادة مثرا تقديراً أوفى في المناطق الايرانية الصرفة، وبصورة خاصة وواضحة في إقليم ميديا ، فهناك نعم مثرا بمنزلة سامية في التفسير « الزرواني » ولاقى قبولا لدى طائفة الكهنوت المجوسية لميديا ، وهـي الطائفة التي كانت مسؤولة عن الدين القومي الفارسي ، هذا الديـن الذي كان فيه « زروان » هو الاله الأكبر ، وقد كان إلها للزمن وللقضاء والقدر ، وممجد جداً لتدخله في مجالات الشؤون البشرية ، وكان ابنه أهورامزدا هو الذي حارب أهرمان الذي مثل قوة الشر، وفي ساعة الحسم وقف « مثرا » بينهما موقف الوسيط ، فعلى « مثرا » الذي شغل دور الوسيط القادر بين الخير والشر كان الاعتماد لتخليص الانسان ، وهكذا ارتبطت فكرة تخليص الانسان التي تعتبر الفكرة المحوريـة في الديـن الفارسي بشخصية مثرا ، وكان مثرا في ايران بالذات هو دائما المخلص، ولذلك أحرز لقب « بوزَكَ » ، واشتملت النزعة الزروانية العقائدية على ربة هـي بمثابـة رمز للأم ، وكانت تسمى في بـلاد فارس باسم « آناهيد »، وقد حظيت بمكانة مبجلة جداً ومتميزة خلال الفترة الفرثية هذا وسنلتقي بهؤلاء الممثلين للنظام الزرواني ، من جـديد في التراث

الأدبي للمانوية في ايران الوسيطة ، وسنرى آنذاك كم كانت أهميتهم عظيمة بالنسبة لديانة ماني ٠

إن وجود الغنطوسية « اليهودية ـ الايرانية » في شمالي بلاد الرافدين ، وفي الأجزاء الشمالية الغربية من ايران كان بمثابة نقطة انطلاق لما يسمى بالغنطوسية السيزية Sthiam ، وهو أمر أصبح ظاهراً بجلاء أكبر ، وذلك بسبب النصوص القبطية التي اكتشفت مؤخرا في نجا ـ حمادي في مصر ، ونلاحظ أنه فيما يتعلق بالأفكار المرتبطة بالكون أن الغنطوسية اليهودية ـ الايرانية هذه هي قد اعتمدت في مواقفها بصورة كلية على أرضية ايرانية ذات ميول نحو المظاهر الزروانية ، وذلك بالاضافة الى انغماسها في جميع أنواع التأملات النورانية ، ولقد حفظ لنا بعض مفاهيم هذه الحركة في « تاريخ زقنين » وهو كتاب مسيحي سرياني ، هذا وقد شغل القضاة الاسرائيليون خاصة شيث واينوخ دوراً بارزاً في تلك المسألة وذلك على اعتبار كونهم أنبياء سماويين ، وهكذا ينطبق الحال على آدم أبي البشر ، فهو صاحب مكانة عظيمة ، حتى أننا لنجده في احدى الكتابات المتأخرة المعتمدة على تقاليد سيزية قديمة تحمل اسم « كهف الكنوز » يشغل الدور المحوري ، هذا وسيكون هناك مناسبة قادمة [انظر ص ٧٣ المقبلة] لذكر هذا النمط الغنطوسي ثانية ٠

إن الخلاصة السابقة ـ على الرغم من أنها لم تستنفذ أبداً المواد الاخبارية الغنية المتعلقة بالخلفية التاريخية ـ قد سعت على الأقل نحو رسم الخطوط العريضة للأحوال الدينية التي كانت سائدة بالصورة التي كانت فيها وهي ذات نتائج حاسمة بالنسبة لماني وابداعاته الروحية للمانوية ٠

الفصل الثاني

حياة ماني

الشباب والعمل الدعوي الأول ـ النشاط التبشيري ـ الأيام الأخيرة

ـ الشباب والعمل الدعوي الأول :

عاش في حوالي عام /٢٠٠/ بعد الميلاد ، أمير فرثي اسمه فتق ، كان من أصل أشكاني ، عاش في مدينة همذان عاصمة اقليم ميديا ، وكان متزوجا من سيدة حملتاسم مريم، وهي تسمية يهودية ـ مسيحية، وكانت مريم تنتمي الى أسرة كمسركان ، وهي أسرة أمارة من أسر الدولة الفرثية ، كما انها كانت فرعا من فروع الأسرة الاشكانية الحاكمة للامبراطورية الفرثية ، وهي الأسرة التي قدر لها أن تشغل دوراً بارزاً في تاريخ أرمينيا ، وعليه فان الدم الملكي الأشكاني الذي أسهم به الأبوان قد سرى في عروق الابن الذي كتب لمريم أن تلده ٠

وغادر فتق همذان ، واتخذ مقراً له في طيسفون ـ سلوقية ، وهي العاصمة الامبراطورية الفخمة ، وغالبا ما تنتقل الاقطاعيون الكبار وتناوبوا السكنى بين مقراتهم الريفية ، والقصور الفخمة في العاصمة ، هذا ويبدو أن انتقال فتق من موطنه اقليم ميديا كان بصورة دائمة ، ومن الواضح أن اهتماماته قد تركزت على الدين بشكل مطلق ، فقد كان مثل العديد من أترابه ، باحثا عن الله ٠

ويخبرنا أحد المصادر العربية أنه عندما كان في « بيت الأصنام » وكان فتق يحضر كما يحضر سائر الناس ، فلما كان في يوم من الأيام ،

هتف به من هيكل بيت الأصنام هاتف : « يا فتق لا تأكل لحما، ولا تشرب خمراً ، ولا تنكح بشراً ، تكرر ذلك عليه دفعات في ثلاثة أيام ، فلما رأى فتق ذلك لحق بقوم كانوا بنواحي دستميسان معروفين بالمغتسلة » [الفهرس للنديم ط٠ طهران: ٣٩١ ـ ٣٩٢] هذا ولا نعرف نوع الهيكل الذي يصفه النص العربي ويسميه بيت الأصنام ، فمن المحتمل أن هذه التسمية تتطابق مع « بيت بتكري » وهي عبارة سريانية وردت في حكاية جوليانوس ، وأطلقت على المعابد الوثنية في سورية ، أو لعلها تتطابق مع عبارة « بوت ــ خانه » وهي عبارة تطلق في الفارسية الجديدة على المعبد البوذي [بيت بوذا] ، هذا وليس من المستبعد أبداً أن المقصود هو « المعبد البوذي » لأنه من المحتمل كثيراً أنه كان هناك مقر ارسالية تبشيرية بوذية في بلاد الرافدين منذ أيام الامبراطور أزوكا ، ومهما يكن الأمر فقد حملت مريم بعد فترة وجيزة من حادثة بيت الأصنام بولد سمته ماني ، هذا ويمكن تحديد تاريخ ميلاد ماني على أنه حدث في الرابع عشر من نيسان لعام ستة عشر ومائتين للميلاد ٠

وبالطبع نجد أن الأسطورة المانوية ، قد زخرفت هذا الحدث بكل أنواع البشائر الاعجازية الرائعة ، فمن المفترض مثلا أن أم ماني قد علمت عن طريق الرؤى والالهامات بما قدر لابنها من مواهب وعظمة مقبلة، زد على هذا أنها رأته يصعد به الى السماء ثم يهبط منها ، وهذه المسألة الأخيرة هي الناحية التي تستبق قيام التقاليد الغريبة المتعلقة بصعود ماني الى السماء (انظر ما يلي ص ١٠٩ ٠٠٠)

ونظراً لتنوع الروايات حول تحديد مكان ولادة ماني ، بات من المحال الوصول الى نتيجة حاسمة ، وتبعا لروايته هو كما حفظها لنا الامام البيروني [الآثار الباقية : ٢٠٨] فانه ولد في « قرية تدعى

مردينوس من نهر كوثى الأعلى » من بلاد بابل الشمالية ، وأكد ماني هذه الرواية ، وقال بأن مولده حدث بالفعل في بلاد بابل ، وذلك في قصيدة شهيرة ، وصف بها ذاته فقال :

إنني أنا الرسول الشكور

المبعوث من أرض بابل

أما الفهرس ، وهو مصدرنا العربي فيروي : « ثم إن آباه آنفذ فحمله الى الموضع الذي كان فيه ، فربي معه ، وعلى ملته » وبمعنى آخر أبقى فتق ولده الى جانبه وعلمه دينه ٠

ماذا كان هذا الدين ؟ استناداً الى الظروف لا بد آنه كان دين المغتسلة لا غير ، وتتوافق عبارة « المغتسلة » العربية مع تسميتين وردتا لدى الكاتب السرياني ثيودور بار ــ قونيه ، وهما « منقضي » و « حلي ــ هواري » وتعنيان على التوالي : « الذين يطهرون أنفسهم » و « حلل بيضاء » ، وفي حين يتطابق التعبير الأول مع عبارة « المغتسلة » العربية ، فان التعبير الثاني ينسجم تماما مع عبارة « سفيد ــ جامغان » وهو لقب أطلق على طائفة فارسية ظهرت فيما بعد ، ومهما يكن الحال، يلاحظ أن العديد من طوائف الكهنوت قد استخدمت الأردية البيضاء (مثل : البراهميون ، المندعيون ، المجوس ، والكهنة السريان في دورا ــ أوروبوس) ٠ وعليه يصعب أن تلفت هذه التسمية انتباهنا آكثر ، ومع ذلك فمن الواضح تطابق المعنى والجوهر بين [الذين يمارسون الغسل » و « الذين يطهرون أنفسهم » ، وهذا يستلزم ضمنيا وجود طائفة معمدانية ، وتروي الكتابات القبطية المانوية كيف آن آحد الحواريين سأل ماني عن الكائنات السماوية التي يقدسها « أهل الفطرة » فأجابه ماني مشيراً الى الحياة الأولى ، والحياة الثانية ، وبلا شك الى

الحياة الثالثة أيضا[1] [النص لسوء الحظ مفتت في هذا المكان] ومن المؤكد أن هذه التعاريف موجودة بدقة في الأدب المندعي القديم ، والمعنى بها : الكائنات البدائية السامية الثلاثة ، وعليه يقودنا تصريح ماني مباشرة الى المندعية ، وبفضل التواؤم الذي يميز كل من الميثولوجيا المندعية والمانوية ومظهرهما الغنطوسي العام وطقوسهما الدينية والعديد من تعابيرهما المتخصصة يمكننا أن نفترض بكل ثقة ان فتق قد انضم الى طائفة المندعيين في بلاد بابل الجنوبية ، وأن ماني نشأ وترعرع في وسط هذه الطائفة المعمدانية ·

وتواجهنا هنا بعض العقبات : لقد فرض على فتق الالتزام ببعض مظاهر الزهد والتقشف ، وهي : الامتناع عن تناول اللحوم ، وعن شرب الخمر، وعن مباشرة النساء· والمندعية كما هو معلوم ليست من حيث المبدأ عقيدة تقشف ولكن يلاحظ أن الكتابات المندعية تردد في أماكن مختلفة مواعظ ضد الجشع والسكر والشبق ، وهناك تحذير خاص ضد استهلاك الخمر الذي يؤدي الى الفسوق ، لذلك من الواضح أنه كان لدى المندعية نزعة شديدة نحو الأخذ بمنهج حياتي متقشف وعفيف ، وفي هذا الوسط ، وضمن هذه الظروف ترعرع ماني ، ولذلك فان استنتاجنا هو الاستنتاج نفسه الذي توصل اليه البحث الحديث ، والذي يقول : نشأ ماني في جنوبي بلاد بابل ، في وسط طائفة غنطوسية معمدانية هي بلا شك الطائفة المندعية ، وهناك تلقى بوضوح مؤثرات كانت حاسمة بالنسبة لمستقبله ·

ولما تم لماني اثنتا عشرة سنة أتاه الوحي للمرة الأولى ـ يذكرنا هذا بيسوع البالغ من العمر اثني عشر عاما في الهيكل ـ وكان هذا سنة

---

(١) انظر النص القبطي بين الملاحق ·

٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، ويروي الفهرس بأن الوحي أتاه : « من ملك جنان النور » والمقصود « بملك جنان النور » في المصطلح العربي المانوي هو « الله ـ رب الأرباب » ، وقام كائن سماوي بنقل الوحي الى ماني ، وهو ملاك يسميه النص العربي « التوم » وهي عبارة مأخذوة من الكلمة السريانية « توما » أي « توأم » وتتوافق هذه العبارة مع كلمة Sais القبطية الواردة في المدونات المانوية المصرية ، وكان محتوى رسالة الرسول السماوي لماني « اعتزل هذه الملة ، فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة ، وترك الشهوات ، ولم يئن لك أن تظهر لحداثة سنك » .

وبناء على ذلك هجر ماني الطائفة المعمدانية التي كان قد التحق بها ولازمها حتى تيك الساعة تمشيا مع ارادة والده ، هذا ويروي ثيودور بار ـ قونية بأن تلك الطائفة المذكورة آنفا ، لم تكن قادرة على التساهل معه ؛ لذلك تخلصت منه .

وأطلقت عبارة « توأم » على « القرين » السماوي للنبي ، فمن خلال نزوله من السماء جرى تكليفه بتبليغ رسالة النبوة ، ولقد كان نهج التفكير هذا ايراني المنشأ ومعروفا في الغنطوسية بشكل عام ، وهو سيشغل ـ فيما بعد ـ دوراً هاما في الأفكار الاسلامية .

وتذكر النصوص القبطية أنه تم منح ماني المعرفة الكاملة عند تبليغه بنبوته ، وتروي عنه قوله : « في هذه السنة نفسها عندما كان الملك أردشير على وشك التتويج نزل الفارقليط الحي، وكلمني [للمرة الأولى] وأباح لي معرفة السر المحجوب عن عصور وأجيال بني البشر ، السر العميق والعالي ، سر النور والظلام ، سر الصراع ، والحرب والحرب الماحقة ، كل هذا أباحه لي » .

وتبع هذا ، على نفس المنوال ، ذكر جميع النقاط الأساسية للعقيدة المانوية التي يفترض أن ماني تلقاها في فترة الوحي وبسببها ،

وينهي ماني روايته بقولـه : « وهكذا أباح الفارقليط لي وعلمني كل ما كان وما سيكون » ٠

وبناء على ما سبق جاء اسم الرسول السماوي هنا « الفارقليط الحي »، وتذكر المصادر الغربية أن ماني قد وصف نفسه بالفارقليط الذي بشر به عيسى في الانجيل ، هذا ولا يمكن الطعن بهذا الادعاء بناء على ما تقدم، بيد أنه كيف يمكن القول عندئذ أن ما يسمى بالتوأم الذي يأتي ماني هو ذات ماني العليا تماما؛ لأن الفارقليط الحي ـ الذي هو روح القدس ـ هو كالتوأم نفسه ؟ ويقول يوديوس في De Fide [الفصل ٢٤] : «ادعى ماني أنه شيء واحد مع توأمه روح القدس » ٠

وفي جميع الأحوال حتى وان كان ماني قـد خاض غمـار تجربة طبيعته المشتركة مع حامل الالهام السماوي عندما كان في الثانية عشرة من عمره فان الوقت لم يكن قد حان بعد بالنسبة له ليظهر بوضوح بين الناس ٠

وبقي ماني يعيش في عزلة تامـة ، وذلك تنفيذاً لأوامـر الرسول السماوي ٠ واستناداً الى التطورات اللاحقة يمكن الحكم أنه أمضى فترة الاعداد هذه في دراسة الآداب المقدسـة التـي كانت آنذاك متداولة في حضارة بـلاد الرافدين ، وفي التأمل في جميع مـا درسه ، ولا بـد أن هذا التأمل وهذه القراءة قد أنضجتا قناعاته ٠ ومهما يكن الحال تـم الآن اكمال المرحلة لاعداده وتطوره الديني ، وهي المرحلة التي يمكن أن نسميها المرحلة المندعية ٠

وأخيراً وصل التفويض المنتظر ببث الرسالة الى العالم ، وصل الى ماني في سنة ٢٤٠ ـ ٢٤١ م ، فيومها قال الملك له :« عليك السلام ماني، مني ومن الرب الذي أرسلني إليك واختارك لرسالته ، وقد أمرك أن تدعو بحقك ، وتبشر ببشرى الحق من قبله ، وتحتمل في ذلك كل جهدك » [الفهرس ط ٠ طهران : ٣٩٢] ٠

وهكذا فان رسالة الملاك هي التي عينت ماني رسولا ، وتتناوب عبارة « المبعوث » ـ في الاغريقية Apotolos ـ مع اصطلاح « رسول » لتشير الى عبارة « نبي » والنبي هو الانسان الذي يكلف بالنبوة من قبل الله إما في السماء أو على شكل وحي رباني ـ دائما بشكل مكتوب في الشرق الأوسط ـ وبعد تكليفه يبشر برسالته للناس على شكل عقيدة ٠

وتمشيا مع نصيحة الملاك ، أعلن ماني عن نبوته ، الى والده والى أعضاء آخرين بارزين في أسرته، وضمن إيمانهم به وتحولهم الى عقيدته، ونستخلص من هذا الخبر أن والد ماني قد احتفظ بالصلة مع آنسبائه وأقربائه، وكان هذا ضروريا لأنماني كان قادراً منذ البداية ـ اعتماداً على تلك الوسيلة ـ على نيل الدعم الفعال ٠

ومع ذلك فان نشاط ماني الاجتماعي العام لم تكن بدايته في بلاد الرافدين ـ كما هو متوقع ـ بل في الهند ، ويخبرنا هو عن ذلك بقوله في نص جاء باللغة القبطية : « بدأت التبشير في السني الأخيرة بحكم الملك أردشير ، فقد أبحرت الى بلد الهنود، وبشرت بينهم بأمل الحياة، واخترت هناك نخبة جيدة » ٠

لقد ذهب ماني الى الهند بسفينته ، كما ذهب الرسول توماس من قبل ، وهو حين فعل ذلك ، كان كما هو مرجح مطلعا على حكاية هذا الرسول ، ولربما هي أوحت له القيام برحلته ، ومن المحتمل أن رحلته لم تذهب به أبعد من إقليمي مكران وتوران الفارسيين اضافة الى المناطق الشمالية الغربية من الهند وقندهار (أي الى المناطق التي تألفت منها باكستان) ، فقد كانت الأقاليم الشمالية الغربية من الهند واقعة منذ ذلك الحين ، أي في حوالي سنة/ ١٣٠/ق.م تحت النفوذ الفارسي الشديد، وبشكل أدق تحت النفوذ الفرثي ففي هذه المناطق لربما كان ماني قادراً ـ على الأقل بين الأوساط العليا ـ على جعل نفسه مفهوما بالتعبير عما

كان يريده بلغته الفرثية الأم ، ومع أن هذه المناطق قد خضعت في القرن الأول لانتشار المسيحية الى حكم الأسرة المعروفة باسم الأسرة « السيزية » فان عدداً من الأمراء الفرثيين كانوا يحكمون هناك منذ أمد بعيد وكان من بينهم الملك « غندوفار » الوارد ذكره في أعمــال القديس توماس ، ويعتبر « كانيشاكا » الرجل الأوسع شهرة بين أفراد الأسرة السيزيــة ـ الهندية ، فهو معروف في التاريخ على أنه كان المحامي الأعظم عــن البوذية • ومن المحقق أن البوذية كانت قوية في الأجزاء الشمالية الغربية من الهند مع أقاليم فارس الشرقية ، وذلك منذ آزمان سحيقة ، ونتيجة لهذا لا بد أن ماني قد احتك عن قرب بعالم هذا الدين الذي كان ما يزال آنذاك مليئا بالنشاط والحيوية التبشيرية ، ولقد كان للبوذيــة أعمق الآثار عليه ، ويمكن رؤيــة ذلك بوضوح ، وبشكل خاص في تنظيمــه لكنيسته ، وفي الأساليب التي اعتمدها للتبشير بعقيدته بين العامة مــن الناس •

ويبدو أن نائب الملك المسمى كوشان ـ شاه لم يكن في ذلك التاريخ سوى أخ لشابور ولي العهد نظراً لأن اسمه كان فيروز •

ولم يقدر لنشاط ماني في الهند أن يدوم طويلا ، ولم يكن عليه أن يمكث هناك فترة تزيد عن السنة ، فقد جاء في روايته قوله : « في السنة التي توفي فيها الملك أردشير، وأصبح ابنه شابور ملكا وخليفة له،أبحرت من بلاد الهنود الى بلاد الفرس ، وسافرت من بلاد فارس الى بلاد بابل ، الى ميسان وخوزستان •

وهكذا عاد ماني الى بلاد فارس بسفينة أيضا ليعبر كما يبدو الى إقليم ميسان ، هذا ولربما أمكن تثبيت تاريخ الحادثة الغريبة التاليــة التي وقعت لماني ، كما ورد ذكرهــا في الأسطورة المانوية ، أثناء هــذه الرحلة فقد جاء : « وفضلا عن ذلك كان لشابور ـ ملــك الملوك ـ أخ

يسمى مهرشاه ، كان أميراً على إقليم ميسان ، وكان عدواً شديداً لرسول النور الرائع ، وكان قد غرس بستانا جميلا جداً ، وكبيراً للغاية ، الى حد أنه لم يكن له شبيه ، وعرف رسول النور آنئذ آن وقت الخلاص قد دنا ، وعليه انبعث فقام أمام مهرشاه الذي كان جالسا وهو شديد الغبطة وسط وليمة قد أقامها في بستانه ، ثم ... الرسول ... نطق ، ثم تكلم مهرشاه مخاطبا الرسول بقوله : هل يمكن أن يكون في الفردوس الذي تتغنى به بستانا كبستاني هذا ؟ وسمع الرسول كلام الكفر هذا .

فأراه بقوته الخارقة جنان النور مع جميع الأرباب والآلهة ، ونسيم الحياة الأبدية ، وبستانا فيه جميع أنواع الغراس ، وأشياء أخرى تستحق أن تذكر ، كان يمكن رؤيتها هناك ، ثم سقط [مهرشاه] على الأرض مغشيا عليه لمدة ساعات ثلاث ، وبقي في صميم فؤاده ما كان قد رآه ، ثم وضع الرسول يده على رأسه ، فثاب الى نفسه واسترد وعيه من جديد ، ولذلك خرّ ــ عندما أفاق ــ على قدمي الرسول ، وأمسك بيده اليمنى ، وتكلم الرسول كما يلي ... » .

ـ النشاط التبشيري :

انتقل ماني ، بعد هذه المحادثة ــ التي سنعود إليها فيما بعد ــ الى إقليم « آشور ستان » أي بلاد بابل الحقيقية ، وانتقل من هناك الى أقاليم ميديا وفرثيا ، ونجح أثناء اقامته في طيسفون في إقامة علاقات مع الملك العظيم شابور ، وجرى استقباله من قبل الملك الجديد ، وحظي بثلاث مقابلات متتالية معه ، وحصل على هذه المقابلات بوساطة فيروز أخ الملك الذي كان ماني قد هداه الى دينه الجديد أيضا ، وتبعا لسيرة ماني كما رواها صاحب الفهرس جرت المقابلة الأولى في يوم الأحد ، أول يوم من نيسان عندما كانت الشمس في برج الحمل ، وتقرر هذه الرواية أن هذا

قد حصل خلال أيام تتويج شابور ، ويشكك بعض العلماء في أيامنا هذه في هذه المسألة ، بينما يؤيدها آخرون ، ويواجهنا هنا سؤال هو : هل كان ماني مشهوراً بما فيه الكفاية للحصول على مثل هذه المقابلة ، والجواب هو بالايجاب على أغلب الظن ، لأنه لو كان لماني مؤيد قوي في شخصية أخ الملك لا يبدو هناك أي مسوغ للشك بالايجاب ·

وكان برفقة ماني في مقابلته الأولى للملك : آبوه ، واثنان من تلاميذه هما شمعون وزكوا (وكلاهما اسمان سريانيان) ، وقدم للملك بهذه المناسبة كتابه الأول « الشابورقان » [أي كتاب شابور] والذي هو ـ بالمناسبة ـ كتابه الوحيد الذي كتبه بالفارسية الوسيطة ·

وتذكر المصادر المانوية أن شابور قد تأثر بعمق برسالة ماني ، ووافق على السماح له بنشر تعاليمه بكل حرية ، وفي كل مكان من الامبراطورية ، ويقول ماني نفسه إن الملك العظيم قد بعث بتوجيهاته الى السلطات المحلية في كل مكان لتقديم حمايتها للدين الجديد ، ويقص علينا في سيرته قائلا:« مثلت أمام الملك شابور ، استقبلني بحفاوة كبيرة، ووافق على أن أتجول في بلاده ، وآن أبشر برسالة الحياة ، وأمضيت كذلك ···؟··· أعواما معه بين حاشيته » ·

ويروي ذكرياته عن مقابلته الأخيرة الحاسمة مع الملك العظيم قائلا: « كان الملك شابور قلقا علي فكتب رسائل توصية ودفاع عني الى جميع الأشخاص البارزين ، بالعبارات التالية : ـ ساعدوه ودافعوا عنه، بحيث لا يخالفه أحد ، أو يعتدي عليه » ·

وقد أكد صحة هذا القول الاسكندر ليكوبولس ، وهو من فلاسفة الأفلاطونية المحدثة ، فأوضح [في الرد على المانوية ٤/٢٠] أن ماني قد عاش في أيام الامبراطور فاليريان ، ورافق الامبراطور الفارسي شابور في حملته ، ثم قال بالعبارة الواحدة : « وقاتل الى جانبه » ·

وهكذا نعلم أن مؤسس الدين قد أمضى عدداً من السنوات بين أتباع الامبراطور ، ويدل معنى كلمة Komitoton التي استخدمها الاسكندر، أن ماني قد انتسب الى أسرة الملك ، وكان واحداً من « الأتباع » الملكيين، ولهذا دلالاته وعلاقاته بالنظام الاقطاعي ، ويعني وجود رباط خاص للطاعة والاخلاص بين ماني وشابور ، وبهذه الأهلية ذهب ماني مع سيده المرتبط به ورافقه ضمن أتباعه في حملته العسكرية ·

وحققت الحملة لشابور نجاحات عسكرية وسياسية باهرة ، وبدا الأمر في عام ٢٦٠ م كما لو أن شابور سيعيد تأسيس الحكم الأخميني في آسية الصغرى ، ويفسر هذا كيف أن (كرتير) موبذموبذان الديانة الزرداشتية في بلاطه قد حصل على سلطات مطلقة من الملك العظيم ـ كما سجلها في نقوشه ـ ليعيد من جديد تأسيس الدين الايراني مع هياكل ناره في الأقاليم المحتلة لآسية الصغرى حيث كان قد سبق لطبقة أرستقراطية إقطاعية ايرانية الاستقرار هناك منذ عدة قرون ، ونعم فيها الرهبان المجوس بموقع سلطوي قوي ، وذلك وفق ما رواه الجغرافي سترابون ·

ولا يمكن تفسير هذه الاجراءات الدينية السياسية ، أكثر من أنها تدل على تصميم من جانب شابور على أن يضم الى الأبد بعض أقاليم آسية الصغرى الى امبراطوريته، خاصة البقاع التي كانت خاضعة للنفوذ الايراني منذ /٥٥٠/ ق.م ·

ومن ناحية أخرى ليس هناك دليل مقنع على أن ما دار في خلده هو إدخال ، أو تقديم ديانة ايرانية محددة كالزرادشتية مثلا ، ذلك أن عبادة النار التي بعثها كرتير كانت هي الطريقة السحيقة القدم لعباده الأرباب الذين يرد ذكرهم في جميع أشكال الممارسة الدينية الفارسية ·

وبما أن كرتير ـ وفق روايته الشخصية ـ قد أشرف بنفسه على تجديد هياكل النار فمن الواضح أيضا أنه كان مع الجنود الفرس خلال زحفهم ، وبالنتيجة كان كل من ماني وكرتير ـ الذين أصبحا متعاديين فيما بعد ـ في حاشية الملك العظيم ومن العدل أن نفترض أن شابور لم يكن قد اتخذ بعد أي قرار بتقديم اعتراف رسمي لأي دين من الأديان كان يمكن أن يقع اختياره عليه في مثل تلك الظروف ، وإذا كان لا بد من إيجاد حل لهذه المعضلة فان المانوية كان أمامها الكثير كيما تعتمد ، لكن وجودكل من كرتير وماني فيحاشية شابور يوحي بأن الملك الساساني قد رغب في إبقاء كل من البديلين تحت تصرفه، وكما سنرى إن دين ماني هو مزيج توفيقي من المسيحية ، والعقيدة الايرانية مع مرتكزات من عقيدة بلاد الرافدين القديمة وفق الشكل الذي اكتسبته من العقيدة المعمدانية الغنطوسية ، وأصبحت المسيحية والعقيدة الايرانية معتادتين على نوع التقوى الرافدية ، لأن التقاليد المحلية مارست نفوذاً قويا بالرغم من أنه كان جامداً في معظم الأحيان ، ولهذا السبب كانت المانوية في وضع مناسب أكثر إشراقا من أي دين آخر بين العالمين الدينيين المتنافسين الروحيين العظيمين ، والمعني بهذا عالما اللاهوت المسيحي والايراني ، كي يندمجا في كيان توحيدي أعلى ، يوضع تحت تصرف السكان الأصليين لبلاد النهرين بدرجة متساوية ، هؤلاء السكان ذوي النتاج الغنطوسي المنبعث من العقائد البابلية ـ الآشورية التقليدية الموروثة ، ولا شك أن هذا كله قد أنبأ عن توفر امكانات فرص هامة .

ولقد امتلك ماني نصيرين وحاميين قويين جداً في بلاط الملك العظيم تمثلا في أخوي شابور : فيروز ومهرشاه إذ كان قد كسبهما الى دينه وحولهما إليه ، هذا من جانب ومن الجانب المقابل كان لعدوه كرتير أصدقاء أقوياء جداً في ظل حكم خلفاء شابور ، وذلك على الرغم من أننا

لا نعرف من الـذي أيده خـلال فترة حكم شابور ، هـذا وبامكاننا أن نستخلص اعتماداً على ما نعرفه عـن الفئات والتجمعات التي ازدهـر نشاطها في البلاط أن كل من طائفة الرهبان المجوس ، رهبان الديانـة الزرادشتية ، وقائدهم كرتير لم يكونوا في عوز للقوة ، فقد توفرت تحت تصرفهم كيفما رغبوا ٠

ومهما يكن الحال فقد قوي الوضع القائم وتمتن خلال الثلاثين سنة التي حكم فيها شابور علما بأن الأمور بدت كما لو أن الفرص كلها كانت مهيأة أمام المانوية لتصبح الديانة الرسمية للامبراطورية الساسانيـة ، غير أنها لم تصبح الديانة الرسمية كما طمح ماني وتمنى ، ولا نعرف الاعتبارات التي أعاقت شابور عن الاقدام على اتخاذ خطوة كهذه، ولكننا نستطيع بكل ثقة أن نقدر حق القدر قوة التقاليد المحافظة التي ورثها من أسلافه ، كهنة معابد النار الزرادشتية في اصطخر ، ففي نقشه الكبير يبزغ شابور من وسط الوصايا والتقاليد الموضوعة للطقوس الروحية لأسرته كأمير زرادشتي تقليدي ، أي زرادشتي بالمعنى التوفيقي المقبول للكلمة في أيامه ، لقد كان هذا هو موقفه الرسمي ، ومن الجائز لنا أن نفترض أن ميوله الذاتية ومشاركاته الوجدانية كانت مع ماني ، فبدون ذلك يصعب تفسير مواقفه المتعاونة معه وتسهيل الحماية والخدمات له ٠

ومع ذلك فقد كان هذا هو الوقت الذي شهد ادخال العملية التـي كانت ستؤدي بشكل تدريجي الى الاندماج بين طائفتي الكهنة المتنازعتين في الامبراطورية، وكان هذا الاندماج هو العامل الحاسم في تأسيس الديانة الزرادشتية الرسمية ، وكانت طائفتا الكهنوت هما : المجوسية ومقرها الرئيسي في « شيز Siz » في ميديـا الدنيا [اقليم الجبـال = العراق العجمي ، حاضرته همذان] ، والهرباد Herbads في إقليم فارس وقـد أحرزت طائفة كهنة المجوس المكان القيادي، وأحدثت في الفترة الساسانية

لممارسة أفرادها دور محاكم التفتيش ضد المسيحية ، والمانوية، والبوذية وبقية الأقليات الدينية الأخرى ، وجلب تأسيس الديانة الزرادشتية معه بشكل فعال إبداع عدد من الكتابات الدينية المقدسة والتشاريع مثل الأفستاك (أو الأفستا) • هذا وليس هناك أدنى شك في أن ممثلي العقيدة الايرانية القديمة قد ابتغوا من وراء إقامة العقيدة الرسمية وإيجاد الشريعة فرض التوقف على نشاط العقائد الجديدة ، اي على المسيحية والمانوية ، ولا شك أن تدوين التراث الديني المقدس القديم وإظهاره يدلان بالفعل على ثورة هائلة في الحياة الدينية والثقافية لبلاد ايران وتصنيف الأفستا يقدمه كنظير منافس متعمد لكتب ماني العقائدية ، وعليه كانت الزرادشتية في حوالي منتصف القرن الثالث للميلادفيموقف الدفاع عن كيانها وتعزيز مواقعها •

أما بالنسبة لماني فقد طور الآن من جانبه تشريعا منظما بشكل رائع أعده بحذر وعناية ، وامتدت نشاطاته التبشيرية وفق خطة مفصلة نحو الشرق والغرب ، وتولى بنفسه ــ كما أخبرنا ــ القيام برحلات جديدة الى أجزاء مختلفة من الامبراطورية ، قال : « أمضيت ••• عدة سنوات في فارس بلاد الفرثيين شمالا حتى « أديابين Adiabene » ، وفي الأقاليم المجاورة لأمبراطورية الرومان •

وكانت أقاليم الحدود التي ذكرها هي مقاطعة « بيت أربائي »،وهو موقع ، كان المكان الرئيسي فيه مدينة نصيبين ، وهكذا جاب ماني ديار الامبراطورية في جميع الاتجاهات مؤسسا جماعات جديدة من الأتباع حيثما رحل ، لكن ماني لم ينشط وحده في الدعوة الى الهداية لدينه ، فقد أرسل أتباعه شرقا وغربا أيضا ، ويصف لنا نص فارسي وسيط (M 216) إثنين من هذه المشاريع ،فنعرف أن ماني كان في Vēh - Ardayser (جزء من طيسفون) عندما نظم هذه الرحلات التبشيرية :•

« وبناء عليه بعث مولانا ثلاثة من الكتب : الانجيل ونصين آخرين، بعثهم الى أدا وأمره بقوله : لا تذهب بهـا بعيداً ، بل ابق حيث أنتِ ، مثل تاجر يفتح مخزنا ، وعمـل أدّا بنشاط عظيم في هـذه المناطق ، وأسس عدداً من الأديرة ، واختار العديد من الصفوة والسماعين، وكتب الكتب ، وجعل من الحكمة سلاحا ، وتصدى للعقائد بهذه الكتب واوجد الخلاص بكل طريقة ، وقهـر العقائد وكبلها ، وتوغل حتـى وصل الى الاسكندرية ··· حيث أنجز العديد من أعمال الهداية والمعجزات في تلك البلدان ، وتقدمت عقيدة الرسول الى داخل امبراطورية الرومان » ·

وهكذا كان ماني قادراً على تحقيق القبول لدينه في مصر ، وهـو ما يزال حيا ، وكانت نجاحات مشاريعه الشرقية ذات أهمية بارزة أيضا، ونظمت هذه المشاريع من اقليم حلوان الذي تحمل حاضرته نفس الاسم، وتقع على الطريق الرئيسي الممتد ما بين طيسفون وهمذان ، ونقـرأ في النص المقتبس آنفا أيضا:« عندما كان رسول النور فيالمدينة الاقليمية « حلوان » دعا نفسه « مارأمّو » أي المعلم ، الذي يعرف اللغة الفرثية قراءة وكتابة ، والذي كان أيضا مطلعا على ··· أرسله مع أخوي الأمير أرطبان ، وكانا كاتبين ، ماهرين برسـم وتزيين الكتب ، آرسلهما الى أبرشهر ، وخاطبهما قائـلا : بورك هذا الدين ، وليتقدم هنـاك بقوة بوساطة المعلم والمستمعين والتبشير » ·

وتظهر أسطورة تدور حول ما وقع لما رأمّو عندما قاومه رب حدود خراسان ، وهي أنـه وصل بالفعل الى خراسان ، ذلـك الاقليم الشرقي الكبير ، ومارس هنالك النشاطات التبشيرية ، وبما آن اللغة الفرثيـة كانت هي اللغة الدارجة فمن الطبيعي أنه كان على مارأمّو أن يتقن هذه اللغة قراءة وكتابة ، وقد عرف إقليم أبرشهر فيما بعد باسم نيشابور ، وقد كشف علماء الآثار الروس هناك عن مدونات فرثية ، وهذا دليـل

على الموقف المهيمن الذي احتفظت به هذه اللغة مع كتابتها في هذا الاقليم الكبيـر ·

ولقد أدى تضمن البعثة التبشيرية على أمير فرثي باسم آرطبان الى الى فرضيات بعيدة المدى، والى الشكوك في أن ماني قد وجه نشاطا سياسيا مباشراً ضد الحكم الساساني في إقليم خراسان الذي هو الوطن الأم للفرثيين ، لكننا نستدرك من جانب أول ما نعرفه عن الملك الساساني شابور وحسن تصرفه تجاه ماني ورعايته له ، فنجد جميع الافتراضات من ذلك القبيل ضعيفة لا يمكن الدفاع عنها ، وواضح من ناحية ثانية أن أصل ماني الفرثي قد وفر له فرصة موائمة بشكل خاص في خراسان اقليم أجداد الفرثيين القدماء ، وأصبح إقليم خراسان الآن مركزاً هاما، ومنطلقا للديانة المانوية للتوجه نحو الشرق الأقصى ·

وبدأ مشروع التبشير الثالث ، بقيادة أدّا أيضا،لكن برفقة أبزاخيا في هذه المرة ، وذلك بالتوجه سنة ٢٦١ ـ ٢٦٢ نحو مدينة « كركابيت سلوك » في إقليم « بيت جرمئي » شرقي الدجلة ، واعتماداً على مدونات الشهداء المسيحيين نستخلص أن هذه البعثة كانت ناجحة أيضا الى درجة أن ذكرى نشاط المانوية ، استمرت حية بعد قرن من الزمن تقريبا ·

وتزودنا الكتابات المسيحية المعروفة باسم « أعمال آرشيلي » ـ على الرغم من أنها تعج بالكراهية والبغضاء ، ومشوهة الى حد ما ـ بصورة حية عن نشاط ماني الخاص ، حيث كان يشاهد بين الناس مرتديا سروالا عريضا وواسعا لونه أصفر يميل نحو الاخضرار، وعباءة خضراء ـ زرقاء سماوية ، وبيده عصا طويلة من الابنوس ، ويحمل تحت إبط يده اليسرى كتابا بابليا · إن هذه التجهيزات والثياب هي بلا تغيير موضحة في صورتين مرسومتين على جانبي شكل نصف دائري بارز في هيكل مثرا في دورا، وهي الأصول الميثولوجية لميثولوجية مثرا، وعليه

فنحن هنا أمام المظهر التقليدي الموروث لكهنة مثرا ، وعليه عندما رآته « الأعمال » مرتديا هذا الزي دعته كاهنا لمثرا · وهناك كتابة هامة نقشت على عملة معدنية جاءت من « شرسين » في جنوب بلاد بابل نقشت بالمندعية ، ومن المحتمل أن قراءتها كما يلي : « ماني المعيَّن من قبل مثرا » وهذه اشارة ثانية للصلة بين ماني ومثرا · إنما هل يجب علينا أن نبني عليها أن ماني قد حصل من الملك العظيم على امتياز ضرب النقود ، وهو امتياز منح بالعادة لكبار حكام الاقطاعات ؟ واذا صح هذا فانه يعني أن ماني قد منح منصبا ساميا في ميسان التي كانت المركز الأساسي والقيادي للحركة المندعية ، ومن المرجح أن لغز هذا النقد « الشرسيني » سيبقى ينتظر الحل ، وستظل القضية بأكملها محيرة · ومهما يكن الحال فمن الواضح أن ارتباط ماني بالمثراوية كان محكما ، وتذكر « أعمال أرشيلي » قيام نزاعات بينه وبين كهنة مثرا ، وتوضح أنه كان بامكانه الاعتماد على دعم قوي وتأييد من مناطق الحدود الأرمينية لايران الشمالية ـ الغربية (قلعة أرابيون الثغرية واسمها الآن إيروان) · ففي هذه الأجزاء تمتعت العقيدة المثراوية بقدسية خاصة ، ومكانة سامية قوية ، وبناء على ما سبق ، وبما أن ماني قد انخرط في هذه المرحلة من حياته الدينية بشكل واضح في ارتباط محكم مع المثراوية ورغب في أن يعتبر ممثل الرب مثرا ، فمن الممكن تسمية هذه المرحلة باسم المرحلة المثراوية ·

هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد مما نستخرجه من معلومات من رسائل ماني أن ذلك يعطيه مظهراً آخر مختلف تماما ، ففي هذه الرسائل قد مماني نفسه وعرفها في كل مراسلة على أنه « رسول يسوع المسيح » ويوضح هذا أن ماني أخذ في وقت ما فصاعداً في اظهار نفسه ممثلا للمسيح بشكل رئيسي ، وهذه معضلة سنعود اليها فيما بعد

ـ الأيـام الأخـيرة :

ونعرف أكثر قليلا عن حياة ماني ، خلال هذا الجزء الأكثر نشاطا من حياته الدينية ، ولا تصبح المعلومات آكثر تفصيلا إلا قبيـل نهاية أيامـه ٠

فقد توفي شابور في منتصف شهر نيسان من عام /٢٧٣/م ، وخلفه على العرش ولده هرمز الأول ، وفي الحال قدم ماني ولاءه وطاعته له ٠ واتخذ الملك الجديد موقفا نحو ماني ودينه كان فيه من التأييد والحماية والرعاية نفس القدر الذي كان فيه موقف أبيه ، فجدد له كتاب التوصية الذي كان أبوه قد أصدره ، وحصل ماني آيضا على اذن خاص بالتقدم نحو بلاد بابل ٠

ولم يحكم هرمز سوى عام ، فقد توفي الملك العظيم في الوقت الذي كان ماني فيه في بابل ، وخلفه على العرش آخوه بهرام الأول الذي قُدر لحكمه أن يستمر من ٢٧٤ وحتى ٢٧٧ م ٠

وأخذت ماني رحلتـه الى الحوض الأسفل لنهر دجلة ، وقـد زار الطوائف المانوية التي كانت قائمة على طرفي النهر ، ووصل الى مدينـة هرمز ــ أردشير في اقليم خوزستان ، وكانت نيته أن يخرق اقليم مملكة كوشان بحاضرتيها « كابل وقندهار » ، ويبدو أنه شعر بخطر يتهـدد حياته ؛ ولهذا حاول الوصول الى تلك الأقاليم حينما كان قادراً على الاعتماد على الحماية والتأييد منذ أيام أعماله التبشيرية الأولى ، وفي هذه المرحلة بالذات وصله اعتراض على زيارته لأراضي مملكة كوشان، وتظهر هـذه التطورات في المقـام الأول مـدى معرفة الموظفين الملكيين واطلاعهم الجيد على تحركات ومشاريع سفر الشخصيات السامية ، وفي المقام الثاني أن ماني أحرز منصبا عاليا بما فيـه الكفاية لخضوعه الى

رقابة شديدة من قبل السلطات العليا ، وذلك تقليداً لعادة اخمينية ونمط في الرقابة قديم • ويصف لنا نص قبطي الأسابيع الأخيرة من حياة ماني ، فيقول عندما تلقى ماني الاعتراض الملكي : « رجع لتوه يكتنفه الغضب والأسى ، فغادر هرمز أردشير الى ميسان ، وتوجه من ميسان الى نهر دجلة ، ومن هناك ركب النهر الى طيسفون ، وعندما كان على ضفاف النهر يتابع رحلته حذر أتباعه وأنذرهم بقرب موعد نيله الشهادة ، وذلك بقوله : « انظروا إليّ ، واملأوا عيونكم مني ياأولادي، ففي قريب سيرحل جسدي عنكم » •

وهكذا عاد ماني الى بلاد الرافدين ، وتوجه بسفينته شمالا عبر نهر دجلة حتى مدينة طيسفون ، وانضم اليه بعد قليل أمير من المرتبة الثانية اسمه « بات » كان ماني نفسه قد حوله على يديه الى دينه الجديد ، ونواجه هذا الاسم فيما بعد (حوالي ٣٥٠ م) وهو ينتمي الى إقطاعية أرمينية ، ويتزعم عشيرة « سهروني » ، ولعل مرافق ماني كان جداً لها ، ولعله كان في الواقع ملكا فرثيا صغيراً ، (كما يشير أحد النصوص الى الملك بات الأرمني) • واذا صح أن الأمير المستجيب للدين المانوي كان من أرمينيا ، فسيزودنا هذا الأمر بتأكيد جديد حول الارتباطات المانوية مع مناطق ايران الشمالية الغربية •

وأصدر بهرام الأول ، الملك العظيم الجديد ، أوامره الى بات كيما يحضر مع ماني • لكن يبدو أن شجاعته خانته ، ولهذا تحتم على ماني أن يقوم وحده بهذه الرحلة المصيرية الأخيرة • واتخذ طريق الرحلة التي سلكها ماني قبل وصوله شكل قوس عريض ، ووصل يوم أحد الى بيلافاذ ، المدينة السكنية الفخمة ، ويبدو أن وصوله قد أحدث اثارة عظيمة •

وتذكر وثيقة فرثية مفتتة أن « الموبذكرتير تشاور مع المعاونيين

الذين عملوا في خدمة الملك ، وكانت أفئدتهم مليئة بالحسد والخداع » ؟ وتجعلنا هذه الرواية نعتقد أن كرتير قد تحالف مع أعيان المملكة الذين جرى وصفهم بالمعاونين • ويفيد هذا آن اتحاداً للمصالح الدينية والعسكرية السياسية قد قام في البلاط ، وأنه ربما كان المسؤول الأول عن سقوط ماني •

وتؤكد النصوص القبطية على أن الكهنة المجوس قد قاموا بالخطوة الأولى عن طريق قائدهم ، ربما بتقديم شكوى ، وربما بشكل عريضة اتهام ، رفعوها الى الملك، وكان على عريضة الاتهام سواء آكانت مكتوبة أو شفوية أن تمر عبر سلسلة من القنوات المتنوعة ، وذلك تقيداً بنظام وقواعد موضوعة وثابتة ، « لقد ذهب الكهنة المجوس ورفعوا شكوى الى كرتير، وأخبر كرتير بدوره الموبذ، وذهب كرتير والموبذ معا فأخبرا موبذ موبذان ، وأخبر موبذ موبذان الملك بدوره ، وعندما سمع الملك بهذا •••• بعث خلف مولاي واستدعاه » •

ويثبت هذا النص حقيقة أن كرتير لم يكن بعد في منصب سام يمكنه من اللجوء مباشرة وبنفسه الى الملك في هذه المسألة ، فقد كان هنالك موظفين أعلى منه وهما الموبذ ، وموبذ موبذان اللذان لا نعرف عن أعمالهما إلا القليل • المهم أن موبذ موبذان الذي كان قريبا من الملك ، نقل الاتهام اليه ، وجاء في الاتهام : « بشر ماني بمبادىء تعارض شريعتنا » ذلك أن العقيدة الزرادشتيه التي كانت معترفا بها رسميا ، والتي قام على تطبيقها الكهنة المجوس عرفت دائما باسم « الشريعة » • واعتبرت مثل هذه التجاوزات ضد العقيدة الدينية لدى العدالة الساسانية اللاحقة اساءات ضد الرب ، وكان الموت عقاب مرتكبيها ، ومن المحتمل أن هذه كانت هي الحال أيضا في الفترة الساسانية المبكرة •

ولو كانت الظروف التي أمر فيها ماني بالمثول أمام الملك موائمة لما اتخذت جلسة السماع ــ وهو تعبير أكثر مواءمة من عبارة مقابلة ــ سبيلا عاصفا حقا ، ولحسن الحظ إن معرفتنا بالأحداث ومعلوماتنا عما دار كاملة تقريبا ، وذلك من خلال نصين وردا في الايرانية الوسيطة والوثائق القبطية المانوية ، علما بأن كلا منهما لسوء الحظ مفتت ، ونقرأ فيهما : « أتى [ماني ٠٠٠٠] [لمقابلة الملك بهرام] بعد أن [دعا]ني أنا نوهزاداك المترجم ، وكوشتائي [الكاتب ؟] وأبزاخيا الفارسي ، وكان الملك جالسا الى مائدته لم يغسل يداه بعد ، ودخل عليه رجال من بلاطه وقالوا له : أتى ماني ، وهو واقف عند الباب ، وأرسل الملك رسالة الى مولانا قال فيها : تريث قليلا حتى أستطيع القدوم اليك. وجلس مولانا الى جانب الحارس ؟ حتى غسل الملك يديه ، لأنه كان عازما على الذهاب الى الصيد ، وتوقف الملك عن متابعة الأكل ، وقدم واضعا احدى يديه على الملكة سكان والأخرى على كرتير بن آرطبان ، قدم الى حيث مولانا ، وكانت كلماته الأولى التي خاطبه بها : لا مرحبا بك ، ورد عليه مولانا قائلا : لماذا ، هل اقترفت أي اثم ؟ فقال الملك : لقد أقسمت على ألا أدعك تبقى في هذه الأرض ، ثم انفجر غاضبا ، وخاطب مولانا بقوله : عجبا ، ما الحاجة اليك ، فأنت لا تشارك في الحرب ، ولا في مطاردات الصيد ، لربما تكون مفيداً لمهارتك في تركيب العقاقير أو في الطب ، لا ، حتى هذا لا تحسنه ، وأجابه مولانا : لم أقترف بحقك أي ذنب ، لقد قدمت لك ولأسرتك كثيراً من الفوائد والمنافع ، وحررت أعداداً هائلة من عبيدكم من الشياطين والأرواح الشريرة ، وكثيرين هم الذين سببت قيامهم من فراش المرض فشفيتهم ، ولكم خلصت آناسا من الحمى ، أما الذين كانوا على حافة الهلاك وأعدتهم من جديد الى الحياة ، فأكثر من أن يحصون » ٠

إن الشخصيات التي كانت الى جانب الملك العظيم وماني ، وشاركت في هـذا المشهد ، هي في المقـام الأول رفـاق ماني : المترجم نوهزاداك والكاتب كوشتائي ، وأبزاخيا الفارسي ، ولقد عرفنا الاثنين الأخيرين من هؤلاء على أنهما التابعين الموثوقين من قبل ماني ، فقد كان أبزاخيا برفقة أدّا في رئاسة البعثة التبشيرية الى « كركا بيت سلوك » ، وكان كوشتائي هو من وقع مع ماني على رسالـة الى سيسنيوس ، وهـو أول خلفاء ماني في رئاسة الديانة المانوية ، ومن المدهش حقا أن نجد ماني يرافقه أحد التراجمة ، ومع ذلك فان هذا لا يعني بالضرورة أن ماني لم يكن بامكانه أن يتكلم اللغة الايرانية ، فنحن لا ندري منذ البداية هل جاء حضور نوهزاداك بمثابة مترجم أم صديق لماني ورفيق ؟ إذا كان حضوره كمترجم فعلينا أن نتذكر هنا آنه على الرغم من آن ماني قد أوقف كتابه الشابروقان على الملك شابور الأول وكتبه بالفارسية الوسيطة فان هنـاك خلافا بين كتابة هـذه اللغة والتحدث بهـا ، ومن المحتمـل أن ماني الفرثي الأصل كـان بامكانه التحدث بشكل سـليم باللغة الفرثية الوسيطة ، ولم يكن بامكانه التحدث بنفس درجة الصحة باللغة الفارسية الوسيطة . هذا ويبدو من جهة ثانية أنه مستبعد جداً احتمال أن يكون الملك العظيم غير قادر على فهم اللغة الفرثية الوسيطة، وهي لهجة وثيقة الصلة بالفارسية الوسيطة ، وذلك الى حد احتاج فيه ماني الى مترجم في هذه المقابلة الحاسمة .

وفي المقام الثاني لقد ورد ذكر مجموعة من آتباع الملك ، وهؤلاء وجدوا بحكم وظائفهم لانجـاز واجباتهم كحجاب وغلمان ، آمـا الملكة سكان والمدعـو كرتير بن أرطبان ، فقد وجدا في هـذه المناسبة بسبب صلتيهما الوثيقة بالملك ، هـذا ويرد ذكر كرتير هـذا في نقش سابور الكبير الحجم في « كعبة زرادشت » ، وهو ليس كرتير موبذ موبذان كما

افترض سابقا • أما الملكة سكان فقد كانت زوجة للمدعو سكان شاه الذي كان أصبهذ لمقاطعة « سكستان » وهي مقاطعة جرت ادارتها في أوائل العصر الساساني من قبل أقرباء وثيقي الصلة بالملك ، هذا ومن الواضح أن هذه الملكة قد حظيت بعناية خاصة من بهرام ، وهي ستكون فيما بعد زوجة لبهرام الثالث حفيد بهرام هذا •

وتضخم النصوص القبطية وصف هذا المشهد بترك بهرام يتساءل في النهاية : لماذا أتى الوحي الى ماني ، ولم يأت للملك العظيم ؟ وحار ماني في ايجاد الجواب ، وارتبك ولم يجد سوى قوله : إن هذا حدث بإرادة الله •

وانتهت الجلسة الصاخبة بتذكير ماني بهرام بأعمال الرعاية والاحسان التي نالها من كل من شابور وهرمز ، وختم مقالته قائلا : « أفعل بي ما تراه » •

وبناء على ذلك أمر الملك بتقييد ماني بالاغلال ، فوضعت ثلاث سلاسل حول يديه ، وثلاث أخرى حول عقبيه ، وواحدة حول رقبته ، وربطت الأغلال ، وأخذ الى السجن • إن هذا النوع القاسي من التكبيل بالقيود معروف من سجلات الشهداء المسيحيين ، ولقد آمضى في تلك الحالة الأيام الممتدة مابين التاسع عشر من شهر كانون الثاني والرابع عشر من شهر شباط من عام ٢٧٦ م ، أو حسبما يذكر تقرير آخر : من الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني الى السادس والعشرين من شهر شباط ٢٧٧ ، ووفق قاعدة شرقية قديمة كان ماني قادراً خلال هذه الأيام الستة والعشرين أن يرى حوارييه ويتكلم معهم • ولما شعر ماني باقتراب نهايته أعطى أتباعه المقربين توجيهات خاصة ومناسبة ، وقد قام مارأمو ــ الذي كان حاضراً لدى اعطاء ماني لتوجيهاته هذه بنقلها الى صلب الديانة المانوية فيما بعد ، ثم خارت قوة ماني الذي كان في

الستين من عمره،، ولم يعد بامكان جسده ـ الـذي أضعفـه الصيام ، وأضناه الكبت أن يتابع تحمل الاغلال الثقيلة ، فانهار في اليوم الرابع من شهر « شاه ريفر » ومـات « فصعد من جسده في الساعـة الحاديـة عشرة الى مساكن جلالته في عليين ، وحضر ذلك راهب مانوي اسمه عزاي واثنان من الصديقين » ٠

وانتشر خبر موت ماني بسرعة متناهية في أرجاء مدينة « بيت ـ لابات ، وتجمع الناس في جماعات كبيرة ، وأمر الملك العظيم بغرز مشعل محترق في جسد ماني ليتيقن فيما إذا كـان زعيم الديانـة البغيضة ميت بالفعل ، ثم مزقت جثته، وقطع رأسه ، وعلق فوق باب« بيت ـ لابات »، ثم قام فيما بعد الأتباع المخلصون له بدفن البقايا الفانية في طيسفون ٠

الفصل الثالث

تعاليم ماني

إرسال الانسان الأول وهزيمته ـ عودة الانسان الأول ـ استعادة ذرات النور ـ اسطورة إغواء [الحكام] الأراكنة

ـ إرسال الانسان الأول [القديم] وهزيمته :

يجعل أوغسطين في احدى المناقشات التي دارت مع المانويين فاوست ينطق بالكلمات التالية : « انني أبشر أن هناك عنصرين رئيسين هما : الرب ، والمادة ، فأعزو كل ما هو شرير الى المادة ، كما أعزو الى الرب كل قوة خيرة كما هو لائق به » ٠

ويتصرف فاوست هنا بمثابة تلميذ مخلص لماني ؛ لأن عقيدة العنصرين الأساسيين: الرب والمادة قد قامت في محور نظام ماني الديني، ويمكن لهاتين المادتين الأبديتين اللتين لم تخضعا لأية عملية خلق أن تستمرا باسم النور والظلام، أو الحقيقة والكذب، وبالتالي يمكن اعتبار المفاهيم المجردة للحقيقة والنور على أنها كائن هو الرب ، في حين أن الكذب والظلام ـ أي المادة ـ لم يلتقيا بشكل مطابق في تسمية مجردة فحسب ، بل يمكن تجسيدهما على أنهما « أمير الظلام » ٠ ومع ذلك فهذا لا يعني أن المانويين قد اعترفوا بوجود إلهين ، ويقول فاوست بخصوص ذلك : « لم يكن هناك أبدأ اسمان لالهين في تفسيراتنا ، فنحن نعترف بوجود عنصرين رئيسين نسمي أحدهما : الرب ، والآخر : المادة ، أو كما أقول عادة ، وبشكل مألوف : « الشيطان » ٠

ويساوي هذا الرفض لمنح العنصر الشرير ـ أي المادة ـ اسم الرب، بالطبع ازدواجية ذات نوعية تامة ـ كما أشار الى ذلك فرديناند كرستيان

بور منذ مائة وخمسين سنة مضت ـ واعتراف بأنالعنصر الخير أسمى من الشر وهو مسؤول عن حجب المنطق • ومن الواضح تماما ـ كما آكـد بور ـ أن ماني قد اتخذ الثنوية الايرانية القديمة نقطة انطلاق ، وقد قامت هذه على أساس فكرة الصراع المستمر بين قوتين رئيستين همـا : « أ'هرمزد » أو « أهورامزدا » أي « الخير » و «أهرمان» أو «أهرامينيو» أي الشر ، وكان هذان العنصران الرئيسان توأمين [قرينين] ، وكـان عليهما أن يختارا بين الخير والشر ، وذلك في البـدايات الأولى للزمن ، حيث اختار أهرمزد الخير ، بينما اختار أهرمان الشر •

وطبعا تبدو فكرة مثل هذه التوائم السماوية موحية بمساواة أصلية في المنزلة، كما أن هذا لايفتقر الى المساواة إذ يجب إدراك حدود التفسير الواسع المتنوع القائل بوحدة الوجود الكامن وراء «غاثا» لدى زرادشت، والذي تم وفقه إيجاد « أهرمزد » و « أهرمان »، بوساطة مخلوق سماوي بدائي ، هو « زروان » الذي كان إلها زمانيا مكانيا خنثويا •

وأيد الرهبان المجوس الميديون هذه العقيدة الزروانية بقوة فريدة أيام ماني حينما كانت مسيطرة في العهود الأخمينية ، وكان هذا أيضـا الحد الفاصل للدين الايراني ، الذي تصادمت معه الديانة المسيحية في أرمينيا وبلاد الرافدين الشمالية ، فقـد كان كهـان الكنيسة ينتقدون الزروانية ، وذلك عندما هاجموا تعاليم المجوس •

لقد عالجت الميثولوجيا الزروانية الرئيسة مولد التوائم السماوية بدقة ، وقالت : إن زروان أراد أن يكون له ابن فقدم الأضاحي لفترة طويلة من الزمن لتحقيق هذا الهدف ، ثم استولت عليه الشكوك فيمـا إذا كان بالفعل سيخلف ذرية له ، وأدى هذا الى حمله بأهرمان الشرير الذي أنجبه في البداية ، وكان أسوداً وكريهـا ، ثم ولد التوأم الثانـي « أهرمزد » وكان جميلا وطيبا ، وبما أن أهرمان قد خلق أولا ، فقـد كان باستطاعته أن يطالب بحقوق البكورة في الارث كله ، وتلقى الكثير

من قوة أبيه زروان على نصف مجالات هذا العالم ، وأصبح ملكا هناك، أي « شاه » وأصبح من ناحية أخرى أهرمزد حاكما مطلقا أي « فاستكس شاه » ومنح من جانبه نفوذاً وسيطرة على النصف الثاني من العالم ، ولذلك فان الانتصار على توأمه سيكون في النهاية انتصاراً له ٠

والى هذا الحد ، نجد أن وجهة النظر الازدواجية الموجودة في تطـور الزروانية والداعية الى وحدة الوجود تخفف من غلواء الثنوية المتزمتة بجعل أهرمان شاه فقط ، وبجعل أهرمزد فاتكس شاه ، هذا من ناحية ، وتقضي من ناحية أخرى بأن يكون الانتصار النهائي لأهرمزد ، وعليـه قدر من قبل أن يكون أهرمزد المنتصر في النزاع بين حاكمي العالم ، وأنه صاحب الأفضلية منذ البداية ٠

وليس هناك من شك أن أهرمان قد اعتبر ربا حقيقيا في هذا النظام الديني ، وليس مجرد شيطان فقط ، وكان الكتاب الاغريق قـد أعلنوا مراراً أن أهرمان لم يكن ربا Theos بل شيطانا Daiman ومع ذلك فان المجادلات المسيحية تؤكد أنه قد نظر اليه بمثابة رب وبجل واعتبر « ربا قادراً في غضبه » كما أن « المثراوية » ، التي كان قد تحقق آمـر ارتباطها مع « الزروانية » منذ وقت طويل قد أكدت ذلك وكرست لـه « المذابح » وقد كتب عليها « الى الرب أهرمان » ، وقدمت الأضاحي على هذه المذابح إليه باعتباره ربا ٠

وبالنتيجة يمكن القول : إن ماني قد وسع نزعة كانت موجودة من قبل في الدين الايراني وكثفها ، لأن المانوية قـد مقتت بشدة الجـدل القائل : إن قوتي الخير والشر كانتا آختين ، وتقول صيغـة الاعتراف المانوية ـ التي سيقال المزيد عنهـا فيما بعد ـ : « لو كنا قـد قلنا إن أهرمزد وأهرمان كانا أخوين أحدهما أكبر من الآخر ، إذاً أعلن توبتي الآن ، وآمل بالمغفرة من الذنوب » ٠

وكان النور العنصر الهـام للمخلوق الأسمى حيث سيطر عليـه ،

واعتقد أنه مادة المخلوق السماوي ، أو بشكل آدق : مادة يمكن فهما ، وهي مختلفة كليا عن العقل أو المادة ، وله ــ النور ــ في الوقت ذاته صفة التجلي ، فقد كان الرب أبو النور المبارك ، وحيث كان عرابا ، فقد سيطر على مملكة النور ، وبينما كانت هذه المملكة في الوقت ذاته مؤلفة من : نور الأرض ، وضوء الفضاء فهي مندمجة تماما ومتطابقة بشكل جوهري مع الاله الأسمى ، لقد كانا متطابقين لأن مملكة النور بأكملها هي في الوقت نفسه جسد الله ، وعلاوة على ذلك تم التأكيد على أن مملكة النور هذه لم تكن إبداعا سماويا بل كانت موجودة منذ الأزل كتعبير صادق عن وجود الله الكائن الدائم الوجود ، فلوكانت نشأت ذرة واحدة في مملكة النور من الفيض أو الابداع لما تم منحها صفة الديمومة ·

ودعا ماني جسد الله الممكن فهمه باسم المنازل[الحدود]الخمسة،وهي الادراك ، والعقل ، والتروي ، والرأي ، والنية ، واعتبرت نشاطات العقل هذه على أنها تشكل جوهره وثماره ، وإن مصطلح «الدار» موجود في البحوث التأملية اليهودية الأولى ، وفي النصوص المندعية ·

ونصب الاله على عرشه في مملكة النور ، وآحاط نوره به ، كما أحاطت قوته وحكمته به أيضا ، وقد مثلت هذه السمات الثلاثة ثلاث صفات مختلفة له، وشكلت معه مجموعة رباعية وجدت مراراً في التراتيل المانوية كما ظهرت أيضا في مصدرنا العربي الفهرس ·

وشكلت السمات الثلاثة لطبيعة الله فيض وجوده، فيض تم إعلانه في مفهوم « الله » ، ووصفت هذه الوحدة الأخيرة الكاملة الى جانب السمات الثلاثة كوجود فردي ، وهي طريقة خاصة للحساب ظهرت مراراً بمثابة مبدأ خاص في النظام الديني « الايراني ــ الهندي » كان ممكنا بوساطتها إضافة مجموع الأجزاء كجزء قائم بذاته الى بقية الأجزاء ، آو حتى مواجهتها ككمية مستقلة تماما ، كما أنه ظهر بمثابة مبدأ كان له أصل هندي ــ آري ، وسيتضح فيما بعد أن هذا المبدأ قد شغل دوراً أساسيا في

المانوية ، وهكذا كان لله أربعة جوانب ،كما كان ذلك في تعاليم ماني،وقد سمته صيغة شجب إغريقية : « رب العظمة ذي الوجوه الأربعة » .

وهكذا نجد أن هذا المفهوم للكائن الأسمى كاله ذا وجوه أربعة وقد اتصل بالطريقة الأكثر احتمالا وقربا من الصورة الزروانية لله ؛ لأن زروان كان بالفعل كائنا إليها ذا أربعة وجوه ، كما أن الارتباط التاريخي هنا هو حقيقة ثابتة بين المانوية والزروانية ، ومن الجلي أن هذه الصلة أكثر وضوحا بالطبع في النصوص الايرانية المتوسطة حيث يظهر « الله » في اللسان الفارسي المتوسط واللغة الصغدية باسم « زروان » وتتخذ المجموعة الرباعية المظهر التالي :

الفارسية المتوسطة		الصغدية	الزروانية
زروان	الله	Zrw,	زيروان (زمان)
روشن	النور	Rwysuy,K	النور
زور	القوة	ZRw	القوة
وهيه	الحكمة	Yrb' Ky	الحكمه (اكسرات)

وكانت مملكة النور مترامية الأطراف وغير محدودة على ثلاث جهات : الى الشمال ، والى الشرق ، والى الغرب ، وقد تلاقت مع الظلام في الجنوب ، وكان نطاق سلطان إله العظمة ـ كما دعاه ماني عندئذ ـ محدوداً في هذه المرحلة .

ولقد ساد السلام والانسجام المطلقان في مملكة النور، كما تم وصف جمال الاله المكلل بالورود بأقوال جزلة ، ووقف آمامه اثنا عشر فصلا جميعها مغطاة بالورود أيضا ، وقد غطته بمزيد من الورود والأزهار ، ودعيت هذه الفصول باسم أبنائه ، وقد جرى توزيعهم بأن قام ثلاثة أرباب منهم في منطقة سماوية محددة ، وذلك ضمن مخطط ذي مجموعات ثلاثية أربع تتوافق من جديد مع النموذج الرباعي،وتم دفع ريح لطيفة

واهبــة للرخاء عبر المناطق السماوية حيث جرى الرحيق باستمرار من خلالهــا ٠

وتباينت حالة مملكة الظلام تباينا تاما وحاداً مع تناسق ووئــام مملكة النور ، حيث ثار سكان عالم المادة ، ودفع بعضهم بعضا الى هنــا وهناك، وكانوا دائما يركضون باستمرار، وأدت حركة الدوران وعدم الاستقرار هذه فيما مضى الى ديمومة عدو الظلام نحو الحافــة القصوى للملكة ، حيث ارتكز الظلام على النور وعندما لمح الشيطان وآعوانــه مملكة النور استبد بهم شوق عنيف الى هذه المملكة السامية الرائعــة ؛ ولهذا أوقفوا نزاعاتهم وتشاورو بعضهم مع بعض حول كيفية التسرب الى وسط النور ومن ثم الاندماج به، وأعدوا أنفسهم وسلحوها استعداداً للهجوم ، وانقضوا من الأسفل على مملكة النور ، فأصبحت بذلك محاطة بالتهديد والاضطراب الخطير ٠

وتحتم الآن على ملك النور وإلهه أن يخرج عنصمته المهيب ورقوده الذاتي وعن فيض وجوده « لكي يدافع عن نفسه وعن مملكته ، حيث يجب عليه أن ينتقل من وجود التأمل الى وجود العمل » ٠

وكــان بور قــد لفت الانتباه الى الأصل الايراني لموضوع النزاع الميثولوجي الــذي سيظهر بشكل أكثر وضوحا في الكتابات البهلويــة : « بنداهشن وزاتسفرام » كما أن الفقرات المناسبة الموجودة هناك ذات ملامح زروانية صرفة ، فقد تم صدور إلههم الأسمى واشتقاقــه مــن زروان الخنثى الذي مارس أثناء عملية الخلق دور الأب والأم، وواصلت الكتابات قولها : إن أهرمان الذي جاب عالم الظلام وصل في إحدى المرات الى النور ولمحه ، وعند هذا خرق عالم النور من الأسفل بصحبة الجماعات المسلحة من شياطين الظلام التي استدعاها، ومع ذلك فان موضوع النزاع نفسه كان أقدم بكثير من تاريخ تدوينه في هذين المصدرين ، فقد روى

المؤرخ الكلاسيكي بلوتاخ أثناء اقتباسه من مذكرات الكاتب ثيوبومبوس كيف هاجم أهرمان مع شياطينه العالم العلوي ، وكيف اختلط بذلك : الخير مع الشر وفق وجهة النظر الزروانية التي شهد بصحتها كتاب الحكمة Menokixrat المكتوب باللغة الايرانية الوسيطة وهي تقول: إن العالم كان على شكل بيضة ، وذكر بلوتاخ هذا أيضا ٠

ومن ناحية أخرى كان الاله ـ الكائن الأسمى ـ نقيا ؛ ولذلك لم يكن « أهلا للصراع والنزاع » ، إذاً ماذا كان عليه أن يعمل ليحبط قوة الشر ؟ لقد استدعى « أم الحياة » ويلاحظ هنا أن ماني لم يستخدم قط تعابير مثل « يخلق » بل استخدم دائما فعل « يستدعي » مثلما جرى استخدام كلمة « قيرا » باللغة السريانية ، ومثلما استخدم المندعيون الاسم نفسه بهذا المعنى الخاص، ثم إن تسمية « أم الحياة » تذكر بحقيقة الحياة الأولى والحياة الثانية، وعلى الأرجح الحياة الثالثة، وهي تسميات ظهرت مرتبطة مع « الطهارة » ، وهي الحركة الغنطوسية التي انبثقت عنها المانوية نفسها ، ويتطلب التشبيه بشكل موائم أن يكون هنالك « أب للحياة » وعوضا عن ذلك هنالك « إله العظمة » جرى ذكره بمثابة كائن أسمى في النصوص المتبقية للتقاليد السريانية ، وهنا لا يمكن فقط تخمين الصلات في الخلفية مع المفاهيم الرافدية التي شغلت الحياة فيها دوراً رئيسا بل أيضا مع التقاليد الايرانية حيث توجد بعض الاشارات الغامضة الى الحياة الأولى، وذلك في المواعظ المسجوعة العائدة لزرادشت، وتتطابق أم الحياة في النظام الزرواني عند مستوى ديني صرف مع الآله الأنثوي القائم الى جانب زروان ، والمسمى على الأرجح باسم « اكسواشيزغ » الذي يبدو من المحتمل أن الالهة العظيمة أناهيد تحتجب وراءه ٠

وبعد ما تم استدعاء أم الحياة الى الوجود استدعت بدورها الانسان الأول المعروف باللغة السريانية باسم « نشاقداما يا » ، وهي عبارة تعني

حرفيا « الانسان القديم » الذي كان من ناحية أخرى هو « آهرمزد » في التقاليد الايرانية ، أي ابن « زروان » الرب ذو الوجوه الأربعة ٠

إن نظرة لهذا الثالوث: « إله العظمة، وآم الحياة، والانسانالقديم» تظهره للوهلة الأولى أنه تمثيل « للآب والأم والابن » ، ولا تظهر هذه المجموعة فقط في الدين الشرق أوسطي بشكل عام ، بل تظهر في آغنية اللؤلؤة السريانية بشكل محدد ، حيث يصور الابن المخلص على آنه الشباب ، أو الأمير الشاب ، وكان هذا هو النموذج للمخلص المانوي في مظهره الرمزي للشباب ، كما أن النصوص المكتوبة باللغة الايرانية الوسيطة قد تحدثت عن « الابن الحنون » Nazug Zadag أو استخدمت الكلمة الفرثية « كومارا » وهي كلمة دخيلة من اللغة السنسيكريتية ، تعني « الشاب المراهق » وهي تعني في الدين الهندوسي « الشباب » أو « إله الحرب » الشاب المسمى « شاندرا » ٠

وقد ألحت احدى القصائد الموجودة بينالمزامير القبطية إلحاحا خاصا على مهمة المخلص باعتبار كونه محاربا شجاعا ، ورأته بشكل رئيسي في ضوء المنتصر الذي انتصر على قوى الظلام بسبب جلده وجرآته ، ومع ذلك استلزم وجوده وجود سمة أخرى له وهي سمة المعاناة ؛ لأن مخلص الانسان الأول لم يحقق انتصاره إلا بعد هزيمة ظاهرية فقط ٠

لقد ارتدى الانسان الأول درعه وشرع بالقتال معقوى المادةوالظلام والشر، وتكون درعه من خمسة من عناصره النورانية،لم يشكل مجموعها درعه فحسب بل شكل أيضا جوهره وذاته الحقيقية وروحه ، ولذلك يمكن وصفها بشكل رمزي على أنها « أبناؤه الخمسة » ، وقد بذل الجهد خلال عملية انتقاء مجموعة متنوعة من الرموز للتعبير عن علاقة كانت في الحقيقة صعبة ومستحيلة فعليا ، ولا يمكن تحديدها داخل إطار صيغة منطقية ، وعرفت العناصر النورانية باللغة السريانية باسم « زيواني » وهي : الهواء ، والريح ، والضوء ، والماء ، والنار ٠

وهزم الشيطان (أمير الظلام) وحشوده الانسان الأول ، وسلبوه درعه ، أو وفق ما ذكرته رواية رمزية أخرى : التهمت الشياطين أبناءه الخمسة .

ومع ذلك كانت هذه الهزيمة مقدمة للانتصار فقد اعتبرت طوعية إذا جاز التعبير إذ نـزل الانسان الأول بمحض إرادته الحرة الى عالـم الظلام والمادة ، وسمح بتبديد عناصره النورانية، وكانت نيته أن يصبح بذلك سما قاتلا للمادة : لقد التهم الظلام العناصر النورانية ، وقـدم لنفسه بفعله هذا مادة ذات اختلاف جوهري كانت لا تطاق ، كما أنها لم تفتقر الى التشابيه الأخرى وحصل هنا كما يحصل مع القائد الذي يضحي بطليعة الجيش ويقدمها لقمة سائغة لعدو متقدم لكي ينقذ الجزء الأساسي من جنوده ، أو باستعارة عبارة ريفية : مثل الراعي الذي يتخلى للذئب عن شاة من قطيعه كي لا يخسر القطيع كله ، وبالطريقة نفسها ضحى الانسان الأول بروحه لشياطين الظلام، وسمح لها أن تلتهم أبناءالخمسة .

ومع هذا فقد كان ما حدث ضربة مروعة ، فكثيراً ما اتخذت المزامير والتراتيل المانوية موضوعا لها الحالة المخيفة التي وجد الانسان الأول نفسه فيها ، فقد وقع في هوة عميقة كانت أعمق بكثير من هوة المادة إذ سلب من درعه النوراني ، وصعقته الضربة ، وأحاطت بـه الحيوانات المفترسة والشياطين المخيفة ، وقيدته ، وباتت مستعدة لأن تلتهمه .

« وصحا الانسان الأول من غيبوبته، وأطلق دعاء تكرر سبع مرات ، وعندها : استدعى إله العظمة مخلوقا ثانيا ،

الى حيز الوجود

إنه صديق النور ، الذي ،

استدعى البناء العظيم Ban Rabba الذي

استدعى الروح الحية .

وتقدمت الروح الحية نحو حدود الظلام مع أبنائها الخمسة الذين استدعتهم ، وأطلقت من ذلك المكان صيحة مدوية الى الانسان الأول المحتجز تحت الأرض والذي أجاب بدوره بهتاف مدو ، واعتبرت هذه « الدعوة »،وهذه «الاستجابة» على أنهما شخصيتان سماويتان مقدستان وتعرف « دعوة » و « استجابة » أو بشكل أدق « ما تم استدعاؤه » و « ما تم إجابته » باللغة الايرانية الوسيطة ، ب Xrostag Padvaxtag ، وفي اللغة السريانية « قريا » و « آنيا » وهما ستتحدان وتصعدان الى « أم الحياة » والى « الروح الحية » .

كان الحوار الذي تطور بين « الدعوة » و « الاستجابة » ذا أهمية كبيرة لأنه أرسى أساس الحالة التي تتكرر مراراً ، وفي كل مرة تجد روحا على الأرض ذاتها في ضيق فتطلق صيحة تنشد فيها الخلاص تتلقى هتاف الحرية ، ولقد حفظ الكاتب السرياني ثيودور بار قونية للأجيال أقوال ماني حول هذا ، وما زال بالامكان فهم نبرات صوته في المقطوعة الشعرية الصغيرة حيث يقول :

ثم صرخت الروح الحية بصوت عال
وكان صوت الروح الحية كالسيف الحاد
وقد كشف عن شكل الانسان الأول
وقال مخاطبا إياه :
السلام عليك أيها الممتاز بين الأشرار
يا أيها اللامع وسط الظلام
رب قائم وسط وحوش الغضب
لا يعرف شيئا عن عظمتك
وأجابه الانسان الأول بعد ذلك مباشرة وقال :

تعال مع السلام ، وأحضر ،
أسباب الطمأنينة والسلام ٠
وتكلم معه قائلا :
كيف هي الأحوال مع [آبائنا] آلهتنا ،
أبناء النور ، في مساكنهم ؟

لقد حددت تحية « الروح الحية » التباين بين الوضع الحالي للانسان الأول وبين أصلـه الحقيقي وقـدره ، وأن أول سؤال يـدل على قلق الانسان الأول قد خص بـه أقرباءه أبنـاء النور ، يعني : هـل كانت تضحياته عديمة الجدوى ، أم تم انقاذهم ؟

ـ عودة الانسان الأول (القديم) :

مدت الروح الحية ، التـي كانت بصحبة أم الحياة يدهـا اليمنى للانسان الأول حيث أمسك بها ، وتم انتشاله من أعماق عالم الظلام ، وارتفع عاليا وعاليا مع أم الحياة والروح الحية ، وحلق مثل النـور المنتصر المنبثق من الظلام حتـى تمت اعادته الى جنـة النعيم مسكنـه السماوي حيث كان ينتظره أنسباؤه ٠

كما أنه يوجد وصف آخر في التعاليم المانوية يتعلق بهذه العودة ، فقد جرى وصف هذه العودة في أحد المزامير المكتوبة كما يلي :

كان ابنا للأب الأول ، وكان أميراً ، ابنا للملك ٠

لقد سلم نفسه للأعداء ، وتخلى عن ملكه جميعا ووضعه في القيود
وحزنت من أجله جميع المعاقل والممالك
وتوجه بالدعاء الى الأم الحية فتوسلت من أجله الى رب الخليقة
إنه الابن الوسيم والبريء ، فلماذا فعلت به الشياطين هكذا

ولســوء الحظ هنالك سقط في النص عند هــذه النقطة حيث كان من المفروض أن يكون هنالك وصف لانقــاذ الانسان الأول ، ويستمر النص في نصحه له ليجمع عناصره النورانية المبعثرة قائلا :

•••••• اجمع أطرافك

فلقد أعد الجمال السرمدي مطيته مع المظهر النوراني ليبدأ زحفه •

وأمسكته الأم وقبلته قائلة : « ها قد عدت آيها الابن المنفي » •

أسرع واعبر الى النور ، فلطفك وعظمتك متلهفان الى لقياك •

ومن الواضح أن الوضــع متطابق هنا مــع الوضع الذي شهدناه في اغنية اللؤلؤة ، غير أن بهجة العودة تمت ممارستها هنا ، وذلك عندما يتحد الابن الشاب مع أمه ، كما آن الأثــر العاطفي الجياش والنبيــل بشكل غير اعتيادي أخـَّاذ بهذا التصوير : فالشاب الذي يشرع بالكفاح بشجاعة هو بطل فتى متوقد يرتدي درعا متلألئا ، والهزيمة الفجائية ومرارتها ، والضربة المميتة ، والتنبــه المفزع ـ عندما يدرك حالتــه المخيفة ـ وصيحة النجدة اليائسة ، والرعب في موطنه إزاء مصيره البشع والمشؤوم ثم وصول المنقذ ، والحوار القصــير والرشيق بين المُنـْقِــذ والمُنـْقـَذ والمشهد الحي للعــودة عندما تعانقه الأم وتقبله ، والابــن الوحيد الذي اعتقدت أنه رحل الى الأبد ••• كل ذلك سلسلة كاملة من الأحاسيس الملونة والمسيرة بواسطة هــذه المشاهد المتغيرة بشكل مثير ، وتأثير المشهد الأخــير مثير بشكل لا يمكن وصف وقعــه على مستمعي المزمور ، ويمكن تخيل ذلك اذا فهمت الطريقة التي تم من خلالها نيل اعجاب قلوب المؤمنين بهذه الأغاني المانوية •

ويعتبر موضوع آلام الانسان الأول وتخليصه الموضوع الرئيسي في الميثولوجيا المانوية ، فالانسان الأول هــو المخلـّص ، وهو نفسه بحاجة

الى الافتداء ، فتلك هي العقيدة الغنطوسية « للمخلص المفتدى » ، وأما بالنسبة للمظهر الايجابي والافتدائي للمخلص ، فان النصوص المانوية المكتوبة باللغة الايرانية الوسيطة تستخدم عبارة « واهمان وازورغ » وعبارة « مانواهميد وازورغ » في « الفارسية الوسيطة » ٠ ويشير كل منهما الى« نؤوس العظيم »وهو مفهوم متأصل في الدين الايراني القديم، ووجهة نظر متطابقة مع وجهة نظر ماني وموجودة الى حد ما في « غثا » الزرادشتيه ، وهو دليل يشير بالفعل الى أن النظرية تعود للعهود الايرانية ـ الهندية ، لأنها تتكرر في كتابات « أوبانشاد » الهندية ، بمثابة عنصر في خط « أتمان ـ براهمان » في التفكير الميثولوجي ، ويبرز مفهوم « نؤوس العظيم » في مجموع « الفصول القبطية » ٠

ونتيجة لقهر قوى الظلام لذرات النور ، فقد نشأت حاله من الامتزاج مع الظلام بعد القتال ، وهذا ثانية مصطلح من المصطلحات الايرانية القديمة ، وكلمة « قوميجشن » تعني الامتزاج في النصوص الزرادشتية المكتوبة باللغة الايرانية الوسيطة ، وهي تعني حالة من الحالات عندما يتداخل فيها الخير والشر بعضهما في بعض ، وهكذا تسميها النصوص المانوية المكتوبة باللغة الايرانية الوسيطة : « قوميجشن » أو « أميجشن » وبالطبع ، إن مفهوم المزج بين النور والظلام ، بين الفضاء المفهوم والمادة تشكل أيضا جزءاً من التراث الايراني القديم للمانوية ٠

ومن المؤكد أن فكرة وجود إله قاسي من المعاناة قد كانت عنصراً من عناصر الدين الشعبي الايراني ، وذلك باعتماد هذه التسمية لتلك التطورات التي لا يمكن عزوها الى الزرادشتيه ، هذا ويمكن ايجاد آثاراً ضعيفة لهذه الفكرة على نحو غير مميز في أرمينيا على حافة الحضارة الايرانية ، فقد وجدت عقيدة شعبية تمحورت حول شخصية

اسمها « أرتاوازد » وهذا اسم ايراني صرف ، وهو رمز مثبت للمعاناة ، ويجب أن يضاف الى هذا حقيقة أن العقيدة الشعبية ليست متطابقة مع الدين ، ومع ذلك فمن المحتمل أن الحكايات الشعبية الأرمنية القديمة تردد بالفعل المعتقدات الميثولوجية في هذه الحالة الخاصة ·

وعلى النقيض إن الشكل العاطفي القوي الذي اتخذه موضوع الاله المتألم في المانوية يمكن عزوه بوضوح الى تأثير عقيدة تموز الرافدية ، التي ستتم الاشارة اليها ثانية في وقت لاحق ، غير أن هذا لا يدعو الى انكار أن بعض الأفكار من نوع مشابه كانت موجودة في الدين الايراني ·

ـ استرداد ذرات النور :

وصل الآن سير التقدم الكوني الى المرحلة التي تم عندها إنقاذ الانسان الأول ، وكانت عناصر النور ما تزال في مخاضات الظلام ، وبالتالي فقد استمرت « نفسه وروحه » مكبلتين ومشوهتين ، وقد تطلبتا أن يتم تحريرهما واعادتهما الى عالم النور ، ونفذت الروح الحية هذه المهمة ، وقد دعيت هذه الروح في التعاليم الايرانية باسم « مهريازد » أحيانا ، أي « الاله مثرا » هذا وقد أعطته بعض المصادر الاغريقية اسم « خالق الكون المادي » وهي تسمية موائمة تماما بالنظر الى حقيقة أنه كان ـ بالتعبير الدقيق ـ « خالق الكون المرئي » ؛ لأنه عاقب شياطين الظلام الذين يُدعون باسم « أركون » وسلخ جلودهم ، وصنع السماء منها ، بينما صنع الجبال من عظامهم والأرض من برازهم ·

وتشكل الكون من عشر سماوات وثمانية أفلاك ، ورفع واحد من أبناء الروح الحية السماوات عالية ، وكان اسمه « حامل التالق » ، وهو « صافط زيوا في السريانية و Splenditenns في اللاتينية » ، وقام ابن

آخر بتثبيت الأفلاك الثمانية على كتفه ، وهو « سكالا » و « أطلس » باللغة اللاتينية .

وبدأت الروح الحية مهمة التحرير ، حيث طهرت الذرات النورانية التي لم تكن قد تلوثت ، وصنعت الشمس والقمر منها ، أو فلكي النور كما دعيا عادة ، وحول الذرات التي كانت قد تلوثت بشكل جزئـي الى نجـوم .

وتم اشتقاق هذه الأفكار من علم هيئة ايراني ميثولوجي كان مألوفا لفترة طويلة ، وبسبب أن الكواكب كانت قاسية ، فقد كانت خمسة أيام من الأسبوع قاسية ، ولم يكن لطيفا من بينها سوى يومي الأحد والاثنين .

وبقيت هنالك تلك الذرات التي كانت قد عانت المزيد من مواجهتها مع الظلام ، واستلزم أمر اعادتها وجود اجراء معقد ، وشرع إله العظمة بخلق فيض جديد كانت أهم شخصياته الرسول الثالث، واسمه « ازقادا » باللغة السريانية ، وتعني الرسول Tertius Legutus باللغة اللاتينية ، ويسمى أحيانا باسم « مثرا » في التعاليم الايرانية ، وكان الرسول الثالث أباً للعذارى الاثنتي عشرة للنور ، واللواتي احتللن أمكنتهن على أنهن الاثنتا عشرة علامة لمنازل دائرة البروج .

وتم اختراع قطعة آلية أصيلة ، وهي عبارة عن عجلة كونية ضخمة جداً كأنها كوكب ، وتشبـه ناعورة الماء ، وحددت ذرات نـور للشمس والقمر ، وبزغت ذرات النور المتقدة كعمود من نور يعرف باسم عمود المجد ، وذلك في النصف الأول من الشهر ، واتجه نحو القمر الذي أصبح بدراً بعدما امتلأ وتضخم بذرات النور ، وتم ترشيد ذرات النور خلال النصف الثاني من الشهر من القمـر الى الشمس ، ومن هناك الى جنـة النور . ويقوم وراء هذا كله ــ حسب المعايير العلمية الحديثة ــ مفاهيم ساذجة جداً ، وهي الأفكار الايرانية ــ الهندية القديمة المتعلقة بتطهير

الروح الانسانية بوساطة هذا الصعود الى الكواكب القمرية والشمسية، كما أن فكرة عمود النور الممتد من الأرض الى السماء والمؤلف من ذرات متصاعدة من النور هي مجـرد فكرة قديمة عن طريق المجـرة [درب التبانة] المتشكل من أرواح الموتى المتصاعدة باستمرار نحو سماء النجوم الثابتة ، وقد سيطر هذا التفسير الميثولوجي على العقائد في العصور القديمة بشكل عام ، وبالنسبة لماني فانه في هذه الحالة قد تبنى سلسلة من الأفكار كانت عامة ومتداولة في العصور القديمة ومتأصلة في ايران والشرق الأوسط ٠

ـ أسطورة إغواء الأراكنة [الحكام] :

كان ما يسمى بأسطورة إغواء الأراكنة عنصراً أسطوريا آخر ، لم يستطع أن يخفق في الظهور بشكل كريه الى رجـال الكنسية المسيحيين بشكل خاص ؛ لأنــه قص كيف أبحر الرسول الثالث في مركبه الضوئي ـ أي القمر ـ عبر قبة السماء ، وأظهر نفسه للقوى الشيطانية المقيدة حيث أظهر للأراكنة الذكور جمال أنوثتــه المتألق ، على شــكل عذراء النــور (في الايرانية الوسيطة « كانيغراشن ») وتجلــى الى الأراكنة الاناث في هيئة شاب عار متألق، ولهذا يعرض هذا الاله على شكل خنثى ٠

وحقق نشاط الرسول الهدف المطلوب ، فقد قذف الأراكنة الذكور في أثناء اثارتهم الجنسية العنيفة بذرات النور على شكل نطف سقطت على الأرض ، حيث سمح التراب للنباتات أن تنبعث عند ذلك مع نتيجة أن هذه النباتات استمرت تحتوي على نسبة كبيرة من الضوء (وهذه نقطة ينبغي ملاحظتها) ٠ وأما الشياطين المؤنثة ، والتي كانت حاملة من قبل فقد ولدت ذريتها قبــل حلول الأوان ، وذلك عندما رات جمال الرسول ، وبما أنه تم قذف هذه الشياطين الى الأرض ، فانها قد التهمت

براعم الأشجار ، ومن ثم تمثلت ذرات الضوء التـي كانت موجودة في ذلك المكان ٠

وخلاصة الأمر هي أن الفكرة تستهدف أن تقول أن ذرات النور التي كانت ما تزال موجودة في المادة قد تم توزيعها الى بعض الحدود بين عالم الخضار ، وبين ذرية القوى الشيطانية الى حد ما أيضا ٠

إن نظرة الى عالم الأسطورة الواقع وراء اغواء الأراكنة ستساعـد على فهم هذا الموضوع قبل التعمق في دراسة نظام ماني العقائدي ٠

ويُسمى الرسول الثالث باسـم « ناريسف يزدا » في الفرثية وفي النصوص المكتوبـة باللغـة الايرانيـة الوسيطة ، بينمـا يسمى باسم « ناريسه يـزد » في الفارسية الوسيطة ، وتلك هـي الأشكال الغربيـة الايرانية الوسيطة الأصيلة « لأفستا ناريسه » التي يرد ذكرها في الكتب البهلوية على أنها « نير يوسانغ » ٠

وهنالك جزء في المدونات المتبقية للكاتب ثيودور بارقونية التي تعالج قضـايا الاله نرسيس عندما أعطى « أهرمزد » النساء للأتقيـاء فهربن وذهبن الى الشيطان (أي أهرمان) ، وعندما أحدث « أهرمزد » السلام والسعادة القويمين أعطى الشيطان(أي أهرمان) السعادة للنساء أيضا ، ومـع ذلك فعندما تـرك الشيطان [أهرمان] النســاء يشتهين ما أردن خشـي « أهرمزد » من أن الجماع مـع الصالحين سيكون كما اشتهينه ؛ ولذلك خلق الاله نرسيس ، وهو عبارة عن شاب في الخامسة عشر من عمره (وهو العمر المثالي حسب المفاهيم الايرانية) ووضعه عاريا تمامـا على ظهـر الشيطان [أهرمان] بحيث تشهـده النســوة ويشتهينه وتنشده من الشيطان ، وقد رفعت النسوة أيديهن الى الشيطان [أهرمان] وقلن : « يا أبانا الشيطان أعطنا هبة من الاله نرسيس » ٠

وستتم دراسة هـذا المظهر المثولوجي لهذه الأسطورة عندما تتم دراسة وجهة نظر ماني حـول مسائل الجنس ، ومن المناسب في هـذه المرحلة أن نوجد موافقات ممكنة مـع الميثولوجيا المانويـة : إن الالـه نرسيس المعتبر هنا على أنه إلـه مذكر ـ وليس خنثى ـ يتم عرضـه بواسطة إله على مرأى من المخلوقات المؤنثة التي تعتبر مخلوقات شريرة (تناقض الصالحين) • وبينما يعتبر « أهـرمزد » حـامي الصـالحين « وأهرمان » حاميا للنساء يتم اظهار « نرسيس » عاريا للنساء لاثارة شهوتهن إذ تتغلب عليهن الرغبة بمضاجعته والاتصال به •

إن نقاط التباين هنا واضحة بقدر وضوح نقاط التوافق تماما ، ولسنا بحاجة الى أن نؤكدها ، وقـد ثبت بالمقارنة مـع نص موائم من « البنداهشن» أنه من الممكن اعادة تركيب الميثولوجيا الايرانية الأصيلة وأن نقرر أنهـا كانت زروانية • والشيء المجهول حتى الآن هـو فيما اذا كان ماني نفسه قـد غير التفاصيل في الميثولوجيا الزروانية وتبنـي تفاصيل أخرى ، أو فيما إذا وجدت من قبل ترجمة متطابقة مع النمط المانوي في الزروانية ، وعلى أية حال من الممكن اعادة موضوع إغـواء الأراكنة الى ذلك المصدر بالـذات ، أي الى العقيـدة الزروانية ، التي التقينا بها مراراً من قبل •

هذا وإن حقيقة أن الميثولوجيا المانوية حين افترضت وجود صلـة غريبة بين ذرات النـور والنطف قـد احتاجت الى موجب ليس مفاجئا ، فقد ارتكز ماني نفسه هنا على آراء معاصرة أيضا ، فقد كانت مدارس الطب الاغريقية القديمة تعتقد أن النطف الصادرة عن الحبل الشوكي قد تشكلت من سيلان ملتهب [هو الـ Pneuna] وقامت خلف مثل هذا التأمل الطبي فكرة ميثولوجية ظهرت في الثقافة الايرانية ـ الهندية • وكان الأساس في جميع هذه النظريات هو أن النار هي العنصر الأسمى

في الجسم الانساني ، وبما أن الانسان هو عالم صغير يمثل الكون الكلي فقد افترض أنه مركب من النار والهواء والماء والتراب ، وكانت الروح زفيراً ملتهباً أو An Anina Inblamnate كما يقول شيشرون واعتبرت النطف على أنهـا نوع ملتهب من المـواد ، واعتقد أيضـا آن الشمس والقمر والنجوم هي نوع ملتهب من المادة ، ومن هنا آتت ذاتية الانسان العليا وهي ستعود الى هناك ٠

هذا وليس من السهل القول فيما إذا كان ماني قد اقتبس هذه الآراء من مصادر ايرانيـة أو مصادر هلنستية ، فمن المحتمل آن مثـل هـذه النظريات كانت مألوفة تماما بالنسبة لأتباع مذهب الغنطوسية في حران وهم الذين أعطوا مقداراً وفيراً من الوقت للنظرية والتطبيق الطبي ، ويمكن التسليم على أنها كانت ذائعة في بلاد الرافدين عموما ، وقـد حققت تصديقا وقبولا على أيدي الأطباء الهنود والايرانيين ، فقد كان ماني ابن زمانه في مثل هذه المسائل مثله في غيرها دائما ٠

الفصل الرابع

تعاليم ماني

المقاييس المضادة للمادة ـ الروح بمثابة مركز للفداء ـ الايمان بالآخرة ـ الفلك

المقاييس المضادة للمادة :

لقد طورت المادة في الشخص ذي الشهوة الجسدية خطة تآمرية استهدفت الاحتفاظ بذرة النور التي بقيت لها حتى الآن ، وقضت هذه الخطة : بتركز جزء كبير من النور في خلقة الفرد ، وذلك كقوة موازية للخلق السماوي، ولتنفيذ ذلك جرى اختيار شيطان مذكر اسمه «أشقلون» وشيطانه مؤنثة اسمها « نامارائيل » ، وكيما يتم تمثل ذرات النور التي كانت قد سقطت على الأرض والتي كانت موجودة في اجهاضات الحكام ابتلع أشقلون جميع الحيوانات المخيفة التي كانت مذكرة ، في حين قدمت الحيوانات المخيفة المؤنثة لنامارائيل، وبعد هذا جامع أشقلون نامارائيل فأنجبا آدم وحواء أول المخلوقات البشرية • وهكذا نشأ الجنس البشري ـ بما لا شك فيه ـ من مزيج مقزز للنفس من أعمال آكل لحوم البشر والممارسات الجنسية ، وكان جسد الانسان بمثابة مظهر حيواني صرف للحكام ، وكانت شهوته شهوة جنسية مسيرة له تمشيا مع خطة المادة للانجاب والولادة ، فهذا هو ميراث الانسان من أصله الحيواني ، لكن عالم النور لم يكن قادراً ولا راغبا بترك الانسان تحت رحمة عالم الشر، فتجمع في آدم الجزء الأكبر من النور المحتجز والمتبقي ، وذلك هو السبب في أنه أصبح الموضوع الأول لجهد الفداء من قبل عالم النور •

وجرى بذل الجهد حسب النمط نفسه لافتداء الانسان الأول ، فقد خلق آدم أعمى وأطرش ، وغير مدرك تماما لوميض النور في داخله وذلك استجابة لتحريض المادة ، وكانت تحيط به ضحية من ضحايا الشياطين فقد كان غارقا في سبات عميق وظل كذلك حتى اقترب المخلص منه . ويتم وصف المخلص ، الذي هو اظهار وتمثيل للرسول الثالث ، بشكل متنوع ، فهو يسمى حينا باسم ابن الله ، أو أهرمزد (أي الانسان الأول) أو يسوع النور المتألق أو يسوع المتألق أحيانا أخرى ، وبالطبع إن اسمي « أهرمزد » و « يسوع » ينتميان كل على حدة الى التقاليد الايرانية والسريانية ، ومن المؤكد أنه ابن الله ، والتجسيد المعقول للمخلص داخل اطار النظام ، فهو إما « نؤوس » أو « واهمان » [منواهميد] .

وكان هدفه أن يجدد في آدم « نؤوسه » الخاص به، أو روحه الخاصة به كما يقال في اللغة الشائعة ، فقد أيقظ بدعوته آدم من سبات الموت ، وهزه وفتح عينيه ، وأعاد الحياة إليه ، وحرره من الشياطين التي تلبسته بتعويذة ، وأراه روح النور المحتجزة والمتألمة في كل المادة ، وأظهر له أصله المزدوج ، وكيف أن جسده قد اشتق من قوى الشر وروحه أو نفسه (أي ذاته الروحانية) من عالم النور السماوي، وعلمه المعرفة الفدائية، والمعرفة الروحية ومعرفة ماكان وماهو كائن وماسيكون، والعبارة الأخيرة هي صيغة هندية ــ ايرانية ، نشهدها في الأدب الهندي القديم وتتكرر في التعاليم الزرادشتية ، وأما بالنسبة للبقية فيحمل الوصف السابق حتى مع التفاصيل ، الطابع نفسه وكما هو مبين في إيقاظ آدم (النفس) في الأدب المندعي ، وتقول رواية ثيودور بارقونية :

ثم التفت آدم نحو نفسه وأدرك ذاتها .

ثم قال :

الويل لمن كوّن جسدي .
ولمن قيد روحي .
وللمتمردين الذين استعبدوني .

ويظهر تعبير « المتمردين » في الأدب المندعي أيضا بمثابة تعبير عن قوى الشر المعادية لعالم النور ، حتى أنه تم تبنيه في لغة القرآن وتعابيره (انظر ما يلي ص ٩٤) فهناك سلسلة من المشاهد المتوازنة مثل : دعوة الروح الحية التي أيقظت الانسان الأول ، وايقاظ آدم من قبل ابن الله (يسوع ـ أهرمزد) أو النور الساطع ، والنصح الذي أسداه المخلص لكل روح انسانية مقيدة بأغلال المادة ، كما أن ايقاظ الانسان الأول قد حدث عند المستوى الكوني الأعظم ، وحدث إيقاظ الفرد عند المستوى الكوني الأصغر ، وكان بين المستويين : المستوى الذي تم فيه إيقاظ آدم والذي اتحدت فيه جميع الأرواح البشرية في جهد موحد .

وتشكل المعركة والهزيمة والسبات العميق ، والايقاظ ، والحوار، وعودة الانسان الأول والنفس البشرية بعضها مع بعض سلسلة من الاجراءات تتبع بعضها بعضا كمشاهد في مسرحية طقوسية ، ولقد كانت مسرحية مُثّلت لآلاف من السنين في بلاد الرافدين،وكانت وصفا لفقدان الاله « تموز » ولبعثه من الموت حيث انطلق مثل محارب توجه نحو بلد معاد ، انطلق هكذا نحو الموت وسقط في قبضته ، وبقي في جوف الأرض غارقا في سباته العميق تحيط به البهائم المتوحشة والشياطين ، وذهبت محبوبته عشتار الى الميدان لتنقذه، فأيقظته بدعائه وبحوار جرى بينهما، ثم انتشلته وحررته من سلطان عالم الموت ، وهكذا عاد منتصراً الى عالم الحياة .

لقد مارست هذه الطقوس القديمة نفوذها على وصف عملية الفداء ليس في المانوية فحسب ، بل في المسيحية السريانية أيضا ، كما أن الأديان

التي اتخذت لنفسها مكانا في بلاد الرافدين لم تستطع كليا آن تفلت من تأثير هذه الحضارة الطبيعية المديدة ، وبقدر ما يعني الأمر ماني نجد أن «دراما» تموز قد زودته بنقطة البداية لميثولوجيته الرمزية لعملية الفداء وليس أكثر من ذلك ، فقد أخذ تفسيره لعملية الفداء من تأمل لاهوتي هندي ـ ايراني ، زود هذه الرؤيا الشرقية القديمة للحوادث التي تصل الأوج بعملية الفداء ، بدلالة فلسفية أكثر عمقا ·

أما فيما يتعلق بالتفاصيل فغالبا ما نجد آنه من الصعب الحكم في أي من الصور والرموز الميثولوجية قد صدر عن بلاد الرافدين وأيها ـ في التحليل النهائي ـ قد نشأ في دنيا المعتقدات الهندية ـ الايرانية ، ويكفي أن نسوق بعض الأمثلة لتوضيح هذه النقطة :

وتعلن الـ Maitragna Upamishad (٤/٢) : أن الانسان عندما سلب من حريته أصبح وكأنه في السجن ، وكان محاطا بالخوف الشديد ، كما كان مخموراً بنوبة التضليل مثلما يفعل المُخَدِّر ، وكان آيضا مبهوراً من المعاناة وكأنه في هاوية الظلام قد قهرته ضربة الفسوق وكأنها لدغة أفعى ·

وتظهر جميع هذه الاستعارات الكلامية من جديد في المانوية ، وهي متجمعة ومتغلغلة بشكل جلي في العقائد الرافدية ، خاصة في عقيدة تموز ، وباستطاعتها بسهولة أكبر أن تربح الجولة لصالحها · وعليه لم يكن ماني مبدعا لها فقد وجدت من زمن طويل قبله ، ولربما نالت رموزها العرفانية قبل قرون مضت ·

وتقع المصطلحات التالية مثل : ظلام ، وسجن ، وثمالة ، وإيقاظ مع مصطلحات أخرى مالوفة تحت عنوان المصطلحات الغنطوسية ، لأنه بالنسبة للقدم ولأصل التقوى الغنطوسية ليست هذه التعابير بدون أهمية حيث تظهر هذه المصطلحات في السبيل الأخير للتطبيق الفني الصرف ، في محيط هندي ـ ايراني ، ومن ناحية أخرى نجد أن الأهم من ذلك هو آن

العقيدة الهندية ـ الايرانية تعرض على العالم المادي وجهه نظر تفرض استخداما لهذه اللغة الغنطوسية وبالفعل إن الدين الهندي ـ الايراني يظهر ـ كما هو معترف به ـ على أنه واحد صادر عن عدة ينابيع ، وأنه يهدف نحو تحقيق مفهوم عالمي متشائم لاحتقار وازدراء الوجود المادي ، ويتشوق الى الآخرة والزهد الناشئين عن ذلك ، وفيه حافز عميق لهجر العالم ، وتصبح هذه النزعة الهندية النموذجية الطريق نحو الفداء ، وتسمى باسم Janana Marga أي طريق المعرفة ، لأنها ترتكز على التوضيح الفدائي ، وهي أن الروح الفردية Otnan متطابقة مع العظيم أو براهما ٠

ـ الروح بمثابة مركز للفداء :

إن الشيء النموذجي الذي يعتبر ميزة خاصة في الدين الهندي ـ الايراني هو أنه يجب على هذا التمذهب جعل الروح مركزاً للعملية الفدائية ٠

ويروي كتاب القفا لايا القبطي (الفصول) المؤلف من مائة واحدى وأربعين فصلا ، والذي يعالج صعود الروح بعد الموت ما يلي : « تشاهد الروح مخلصها ومنقذها حالما تكون قد غادرت الجسد ، وتصعد مع صورة سيدها والملائكة الثلاثة الذين معه ، وتمثل بنفسها أمام قاضي الحق ، وتتسلم النصر » ٠

ولنتحدث بشكل أكثر دقة : إن النص السابق مزيج من نصين متزامنين شاملين بشكل متبادل ، وحسبما قال أحدهم : إن الروح تحقق النصر عند صعودها على أيدي شكل مؤلف من ثمانية ، وبرفقته ثلاثة ملائكة ٠ ومع ذلك يؤكد مقطع آخر من القفالايا « أن الاله الخامس هو رمز النور الذي يظهر نفسه في الهيئة ذاتها التي يظهر بها الرسول لكل

روح تغادر الجسد ومعها الملائكة الثلاثة العظام المتألقين ، ويحمل الأول من بين هؤلاء الملائكة جائزة الانتصار في يده ، كما يحمل الملاك الثاني رداء النور ، ويحمل الملاك الثالث التاج والاكليل وتاج النور ، هؤلاء هم ملائكة النور الثلاثة الذين يأتون مـع الشخصية النورانية هـذه ، ويظهرون أنفسهم للفرد المختار وللمريدين ·

إن الشخصية النورانية المسماة في المثال الأخير باسم الاله الخامس هي إظهار نؤوس Nous ، كما جرى تجلية في الرسول ، وهذا إذاً هو الأسلوب الذي تم به تخيل كيف يعمل المخلص الذي خلق اللحم في شخصية يسوع وماني ورسل الله الآخرين ، كما يظهر ملائكة المرافقة الثلاثة من جديد في روايات أخرى ، وتستحق الاهتمام كل من : مواهبها المبينة ، مع جائزة الانتصار ، والتاج ، والاكليل ، وتاج النور ·

وتعني جائزة الانتصار أن تخليص الروح من الجسد يعتبر انتصاراً للمخلوق الجديد على المخلوق القديم، كما يمكن فهم الصراع ضد القديم إما في اطار معنى الصراع المـادي أو في اطـار معنى المحاكمة ، ويترك القرار في الحالة الثانية للقاضي ، وهي دعوى مسوغة دخلت أمام هيئة المحكمة دفاعا عن الروح الميتة ، وهذه مصطلحات رمزية تم اشتقاقها من إجراء قانوني سائد في الشرق الأوسط ·

ومن ناحية أخرى ، إن رداء النور والرموز الباقية تشير تماما الى أصل ثقافي هندي ـ ايراني، وتصف المزامير المانوية المكتوبة في الايرانية المتوسطة كيف تقوم القاعة Tolvar والعرش Gaf والاكليل Pusog والتاج Dedem ، والرداء Podnzam أو Yamag ، بالاستعداد لروح الانسان الصالح بعد موته · ويوضح هـذا مفاهيم آرية قديمة تؤمـن بالآخرة، كما أن الأفكار ذاتها المتعلقة بالقاعة السماوية والرداء والتاج

تظهر في الـ Upunishads [1] الهندية خاصة في الـ Kaositoki Upanishad وقد تحقق البحث الحديث من وجود وصف مطابق تماما في الأدب الايراني القديم خاصة في الـ Vendidad

ـ الايمــان بالآخــرة :

إن الايمان الهندي بالآخرة ما كان له أن يكون إيمانا هنديا حقيقيا لو لم يخصص نصيبا للمخلوقات المؤنثــة الجميلة التي يلتقي الصالحون بها في السماء أو Brahmaloka كما أن دراسة التراتيل المانوية ترينا أنها لم تهمل عذارى الجنة ، ويجب أن نعيد الى الذاكرة أيضا أنه التقى في المانوية الانسان الصالح مع ذاته السامية على شكل عذراء إلهية رائعة رافقته في طريقه الى الجنة، ونقرأ هذا في قطعة صغدية مكتوبة، وتواصل هذه القطعة شرحها قائلة : إنه سيقترب من الانسان الصالح إثر موتــه ما لا يقل عن ثمانين ملكا من الجنس الآخر مزينين بالورود ويحضونــه على التقدم نحو جنة النور ليتذوق السعادة هناك ·

إن أشد اللحظات تأثيراً في جميع المعتقدات الايرانية المتعلقة بالآخرة هي تلك التي يصادف فيها الانسان الصالح المتوفى ذاته السامية علــى شكل فتاة جميلة في الربيع الخامس عشر من عمرها تخبره أنها هي روحه ويتضح هنا تماما أن المفهوم والرمز المانويين هنا مقتبسان من الايمان الايراني القديم المتعلق بالآخرة ·

ودعيت الفتاة السماوية التي تجسد أعمال الانسان على الأرض ، والتي تأثرت صفاتها ومظهرها بهذه الأعمال في النصوص الزرادشتية باســم Kunisn « أي سلوك الميت » كما تم تقديم الذات السامية في

---

(١) مجموعة من الرسائل السنسكريتية الهندية تعالج مسائل فلسفية تتعلق بشكل واسع بالمعارف المقدسة ·

بقايا النصوص بما يعني « سلوكه الخاص » هذا وإن التفاصيل فيهــا دلالات أيضا ٠

ويشغل الرداء الممنوح للروح الصاعدة ـ حسب الرأي المانوي ـ دوراً هاما في النصوص الزرادشتية المكتوبــة بالايرانية المتوسطة ، وفي النصوص الغنطوسية ذات المنشأ الايراني ، وهذا صحيح بشكل خــاص بخصوص نشيد اللؤلؤة ، وبناء عليه يوجد هنا رمز آخر اقتبسته المانوية من الغنطوسية الايرانية ٠

ودعيت أعمال الانسان الصالحــة في اللاهوت الايراني ـ الهندي باسم كنز في السماء، ويفسح هذا بدوره المجال للذات العليا ليتم تسميتها باسمّ خازن ، وبرؤية أن الرداء الفخم هو مجرد رمز آخر لتلك الأعمال، وتستخدم أغنية اللؤلؤة أحيانا وصف « الخَزَ َنَة » عنــد التحدث عــن حراسها ، وتعرف المانوية بعض الصديقين باسم « كنوز الأم المجيــدة » لأن أعمالهم هي الاشراف على الأعمال الصالحة ٠

وخدمت أعمال تقويــم بعض الآراء الشائعة العــائدة للمصطلحات الغنطوسية والمانوية في تقديم المظاهر الرئيسة للايمان المانوي بالآخرة بقدر ما يتعلق الأمر بأرواح الصالحين، وأما فيما يتعلق بأرواح الآخرين فقد كانت عقيدة ماني عقيدة تقمص، ولربما جاء هذا كمسألة استيعاب للبوذية ، مع أنه يجب عدم استثناء تأثير الفيثاغورثية المحدثة ، ومــن الغريب أن التقمص قد دعي في النصوص القبطية بعبارة هي في الاغريقية تعني « إعادة الصياغة أو التشكيل » ، ومن المحتمل أن هنالك وراء هذا الاستخدام للكلمة أفكار ايرانية ـ هندية قديمة حول كون الانسان نتاجا لصانع (حــداد) سماوي يوجب على كل روح أن تملأ بالعزيمة (تصبح فولاذية) خلال النار ، حتى تكون مهيأة لاجتياز عملية الانبعاث الروحي داخل الأتون المشتعل ، وتعالج الحكايات الايرانية القديمة حــول إلــه البرق الموضوع نفسه ٠

ولم يكن الايمان المانوي بالآخرة ـ حسبما تعلق بالفرد وأثر به ـ متطابقا مع المستقبل المعد للعالم بصورة عامة ، والتفسير الـذي يجب تتبعه حول هذه المسألة هـو أن ذرات النور الخالد لم يتم وقفها علـى الأرواح البشرية بل كما تم الذكر من : أنـه كمية الضوء التـي ضلت والتي لم تعـد قـد تم توزيعها في كـل مكان في الطبيعة : في النباتات ، والأشجار ، والفواكه ، وفي المخلوقات الحيوانيـة والانسانية آيضـا ، وربطت المانوية هذه الروح الحية على الدوام مع معاناة وآلام يسوع ، وهو يسوع عنصره أدنى من يسوع المتألق الذي صلب في عالـم المـادة والممتزج مع العالم المادي ، كما اعتبرت الأشجار التي احتوت ـ وفق النظرة المانوية ـ على جزء كبيرمن النور صليبا للمسيح،ويقولفاوست: إن يسوع الذي هو حياة الانسان ومخلصه معلق على كل شجرة ، وإن آلام المسيح وصلبه ليسا سوى مجرد قضية خاصة ، آي لحظة فردية في المسرحية الكونية للمعاناة والفداء صداها والمعبر عنهاهو يسوع الأدنى، وجرى التعبير عن هذا بالطريقة التالية : « إننا نلاحظ في كل مكان سر يسوع المربوط الى صليبـه حيث تظهـر جـروح المعاناة التـي تتالـم أرواحنـا منهـا » .

وهكذا جرى تفسير منحى العالم على أنه منسجم مع المراحل المختلفة لمعاناة إلـه كان هو في الوقت نفسه مخلصه،كما كانت قصة إنقاذ الجنس البشري في الوقت ذاته حكاية لفداء هذا الاله ، لأن الاله واحد مع جميع أرواح البشر .

إن عملية التحرير بطيئة ، ولن تصل الى تحقيق هدفها تماما ، هذا الهدف الذي سيكون إعادة الجمع المتناسق لجميع ذرات النور ، وإعادة اتحادها في عالم النور ، لكن قبل أن يتحقق هذا ستكون نهاية العالم قد حلت ، وستقوم مجموعة من الآلام الشديدة بنشر ذلك الحدث ، وهي من

نوع مشابه تماماً لتلك الآلام المميزة للتأملات الرؤويةللديانتين اليهودية المتأخرة والمسيحية ولايران والشرق الأوسط ، وإن مثل هذه المادة الوفيرة قد أخذها ماني مباشرة مما يسمى باسم « سفر الرؤيا (لوقا : ٢١/ متى : ٢٤ ، مرقص : ١٣) ، ويمكن بوضوح استخلاص جزء من المواد من الأسفار الايرانية ، مثلا تتحدث قطعة تركية مانوية عن أيام الآخرة عندما سيظهر مثرا المزيف الذي يكون الثور مطيته والحرب علامته • وتؤكد مختلف التقاليد الموروثة أن مثرا كان له بالفعل ثوراً يركبه ، ويشير هذا المقطع الى أن الاله مثرا المخلص كان له مثرا مزيف ، وهو بمثابة نظيره الأخروي •

ومن المحتمل أن الحدث المتعلق بمثرا المزيف قد كان جزء مما يسمى باسم « الحرب العظيمة » وهي الدراما الرؤوية الأخيرة التي ظهرت الى حيز الوجود بشكل خاص في المواعظ القبطية ، وكانت عبارة « الحرب العظيمة » اسما قد اقتبسه ماني من المصطلحات الايرانية ، وهي العبارة نفسها التي استخدمت في الأوصاف الرؤوية الزروانية •

وتم التنبؤ بنتيجة هذه المواجهة الحاسمة على أنها انتصار لمعبد الصلاح ـ أي جمع الصالحين ـ كما ستجتمع جماعة المصلين المتبعثرة من جديد ، وسيتم تجديد المعبد ، وانقاذ الكتب المقدسة المعرضة للخطر، واتمام انتصار المانوية « وسيأتي الجيل الجديد ، ويحوز بقوة على ممتلكاته » وسيحضر الملك العظيم ويتولى السلطة ، وسيقدم الجيل الجديد له الطاعة ، وستقوم القيامة إثر ذلك ، وذلك عندما ستجتمع الأرواح أمام العرش ، وسيتم فصل الخير عن الشر ، والغنم عن الماعز ، إذ تستخدم النصوص المانوية بعض الأوصاف الاستعارية للعهد الجديد والمحافظ عليها ، ويعكس كل من الجزئين المتبقيان من الشابورقان والمواعظ القبطية وجهة نظر ماني حول هذا الموضوع ، وتظهران أن

ماني كان منسجما الى درجة كبيرة مع مفاهيم مسيحية حقيقية ، هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فان لقب الملك العظيم مأخوذ من « الهامات هيستاب Hystapes » الرؤوية الايرانية ، وهـي سلسلة من النبوءات كانت منتشرة في الشرق الأوسط في القرون التي انصرمت قبـل ميلاد المسيح ٠

واستطردت العقيدة تقـول : إن يسوع سيحـكم في الأرض لفترة قصيرة من الزمن ، ثـم إن المسيح سيترك مـع النخبة والآلهـة الكونية الحارسة للعالم ، وسيعود معهم الى مملكة النور ، حيث تحصل في النهاية عملية التطهير ، وسيتم جمـع ذرات النور تلك التي ما يـزال إنقاذها ممكنا لتشكل نصبا نهائيا (إن كلمة Andians هي العبارة المستخدمة في النصوص القبطية) حيث سيتم رفع هذا النصب الى السماء مثل عمود ضوء كوني ، وسيتم بعد هذا مباشرة الغـاء القبة السماوية ذاتهـا ، وسيقـذف الملعونون والشياطين وعالم والظلام بعضهم مـع بعض على شكل كتلة بشعة Bolos وسيتم اغراق هذه الكتلة في أعماق آخدود ذي امتداد كوني سيتم عندئذ بصخرة عظيمة ٠

أنهى ماني وصفه لسير العالم بهذه الرؤى الكونية الفخمة ، ووصل بالتالي الى نهاية الطور الثالث ، فقـد اشتمل الطور الأول على وضع الكون قبـل مزج الظـلام والنور ، واهتـم الطور الثـاني بفترة ذلك الاختلاط ، ودل الطور الثالث على فصل العناصر المختلطة ٠ وتعتبر هذه العقيدة ذات الشُعب الثلاثة مـع المبدأين الاثنين عقيدة المانويـة الرئيسة ٠

ويظهـر التقسيم الثلاثي للزمن في النصوص الزرادشتيه ــ البهلوية حيث تحتوي على صيغ : ما هـو كائن ، وما كان ، وما سيكون ، لكن هذا النمط أقـدم من ذلك بكثير وموجـود في سجلات الـ Wpanishad الهندية ، وهو من أصل هندي ــ ايراني ٠

وبتتبع نهاية الكون كما تم تخيلها يمكن الافتراض أن سير العالم سيكون بعودة الأشياء الى الحالة التي كانت قائمة قبل خلط النور والظلام وكأنما كان هذا إرجاعا حقيقيا بالفعل ، إنما على الرغم من التكلم بهذا الخصوص عن ارجاع الطبيعتين يبقى هنالك اختلاف ؛ لأن قوة المادة والظلام لن تكون قادرة بعدئذ على تجديد الهجوم على عالم النور ، وسيواصل كل من مبدئي النور والظلام وجوداً منفصلا ، ومع ذلك ، فان الآراء تتباين حول كمالية عالم النور ، فقد صرحت المدرسة الأولى أن إله النور كان قادراً على استعادة جميع ذرات النور المفقودة، بينما ردت الثانية ـ وقد كانت أكثر تشاؤما ـ بقولها إنه قد تم فقدان جزء من النور الى الأبد ، وكان لذلك الجزء جزء لاحق ليوم الحساب ليشارك الاحتجاز الأبدي للظلام مع المادة • ويقينا أن عقيدة النهاية المزدوجة التي أعلنت المدرسة الثانية عنها تقترب من التشابيه والرموز التي استخدمها ماني • هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى من المحتمل أنه لم يتكلم بوضوح كاف حول هذه النطقة الخاصة •

ـ علم التنجيم :

أقر ماني التعاليم التنجيمية مثلما أقرها العديد من معاصريه ، علاوة على أنه نشأ في بلاد الرافدين وهي بلاد تبجيل النجوم ، وتم اظهار آرائه بطرق متعددة ، وكانت قانونا لأتباعه •

وكما اعتبر ماني الشمس والقمر كائنين طيبين كانا بالفعل الأداتين الرئيستين لاستعادة ذرات النور ، فقد اعتبر بقية الكواكب ومنازل البروج على أنها قوى شريرة وخبيثة • هذا وقد تبنى المندعيون المنحى ذاته باستمرار ، عدا عن أنهم اعتبروا الشمس والقمر بمثابة جزء من بقية الكواكب، وأشاروا لهذا السبب الى «السبعة والاثني عشر» على أنها القوى المدمرة للوجود • وكان موقف الزروانية حول هذه

النقطـة أكثر أرجحـة إذ شغلت الآراء التنجيمية والتأملات دوراً هاما فيها ، كما كان التنجيم وتبجيل النجوم عاملا ثابتا في الثقافة الهلنستيه المتأخرة • ولهذه الأسباب مجتمعة ليس من السهل تمييز المصدر الرئيسي لمانـي ، ومن ناحيـة أخرى يمكن أن يكـون هنالك شـك خفيف في آن الغنطوسيين الحرانيين ، الذين وجدت العقيدة التنجيمية البابلية القديمة ملاذاً في بلدتهم ، قد أدلوا بدلوهم وآسهموا بعض المساهمة •

وهنالك العديد من الأمثلة في تعاليم ماني تـم تدوينها في القفالايا (الفصـول) التـي تعالج علامات منـازل البروج ، وتهتم أولى هـذه الاشارات بتوزيع الاثني عشر منزلا بين عوالم الظلام الخمسة • ومن ناحية ثانية فان المخلوقات الخاصة بمنازل البروج لا توجد داخـل هذه الكواكب ، لكنهـا مسحوبـة ومربوطة بالكرة السماوية أو الدولاب • « وهكذا علينا أن ندرك أنها مسحوبة من عوالم الظلام الخمسةومربوطة بالكرة السماوية ، وأنه قد خصص مخلوقين لكل عالم •

ويقول ماني نفسه : إن هناك مخلوقان لكل عالم من العوالم خاصين بمنازل البروج ، ومع ذلك بمـا أن هنالك اثنـي عشر برجا وخمسة عوالم فعلى التنسيق أن يتبع هذا النمط :

١ ـ القوس والجوزاء ينتميان لعالم الدخان

٢ ـ الحمـل والأسـد ينتميان لعالم النار

٣ ـ الثور والدلو والميزان تنتمي لعالم الريح

٤ ـ السرطان والعذراء والحوت تنتمي لعالم الماء

٥ ـ الجـدي والعقرب ينتميان لعالم الظلام

هؤلاء هم « حكام الشر الاثني عشر » (القفالايا ـ الفصل ٦٩)

ورسم و ـ ستغمان W. Stegemann ـ المتخصص في علم تنجيم العصور القديمة ـ الأبراج المذكورة وفق الترتيب السابق بشكل دائري متوخيا من هذا أن يوضح المعنى ، وسيبدو أنـه قـد نجح عندما قـال : « من الواضح أن هذه لعبة بالمظاهر القطرية والثلاثية والتربيعية والسداسية، كما أن التصنيف متناسق ، وقد أظهر ستغمان ذلك في الرسم التوضيحي المنسوخ في هذه الصفحة ٠

وهاكم هي نتائج التتابع للمظاهر التي نحن بصددها :

١ ـ دخان   قوس + جوزاء   قطري
٢ ـ نـار   أسد + حمل   ثلاثي
٣ ـ ريـح   ميزان+دلو+ثور   + ثلاثي
٤ ـ مـاء   حوت+عذراء+ثور سداسي+قطري

واعتبر التنجيم المعاصر أن القطري والرباعي من بين هذه المظاهر

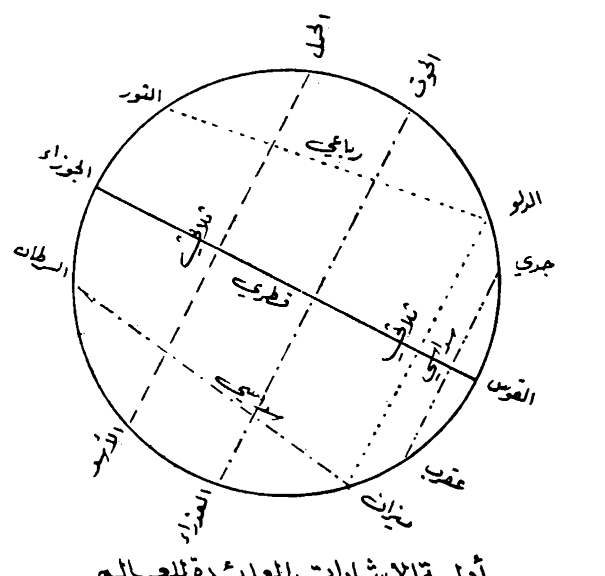

أدلـة الإشـارات العـائـدة للعـالـم

الدخان   النار   الريح   الماء   الظلام

سلبيان ، بينما اعتبر الثلاثـي والسداسي ايجابيين ، ويقـع بالتالـي الثلاثي الايجابي وراء القطري السلبي ثم تأتي الدائرة السلبية ، التي تتبـع بدورها بالثلاثي والسداسي الايجابيين ، والتنافر ناشيء عـن التفاوت بين الرقمين « ١٢ » و « ٥ » ، ويُلحق بترتيب موائم بالقطري السلبي والسداسي الايجابي إذ أن الأخير متقابل مع الأولي السلبي ، وتؤكـد هـذه النزعـة المعاكسة للمظاهر المختلفة تشديد ماني علـى ما يتعلق بالأبـراج حيث يقـول : « إنهـا جميعا متعادية ومتخاصمة بعضها مع بعض » ٠

واستخدم ماني في المقطع الثاني من مقاطع القفالايا (الفصل ٦٨) نظاما انقسم العالم بموجبه الى أربعة أقسام ، انقسم كل منها الى مثلثين متجاورين ، وتم توزيع الاشارات الخاصة بدائـرة البروج حسب هـذا التقسيم الثلاثي كالتالي :

المثلث الأول	الحمل والأسد والقوس	غرب ـ شمال
المثلث الثاني	الثور والعذراء والجدي	غرب ـ جنوب
المثلث الثالث	الجوزاء والميزان والدلو	شرق ـ شمال
المثلث الرابع	السرطان والعقرب والحوت	شرق ـ جنوب

ولحق ذلك هنا قطعة أعطى ماني فيها ملاحظة حول مختلف التكهنات المشؤومة ، لكن الغريب هنا أنه تم تحويل النظام الفضائي الى نظـام زمني ، « فالثلاثيات المشار الى توزيعها المشؤوم في دائرة البروج يصبح تأثيرها نافذ المفعول في بعض الفترات الزمنية » ، ومن المحتمل أن هـذا يحوي الخير للعالم أجمع ٠

وهناك قوائم في الآداب التنجيمية تقوم بخلط الاشارات المتعلقة بدائرة البروج مع التكهنات بحصول كارثة ما ، ويبدو أن ماني قد تبنى

قائمة من هذا القبيل بالنسبة للمثلثات ، وأضاف نظاما زمنيا الى النظام الفضائي « ليس منطقيا تماما » ·

ويتم إظهار الغموض الذي ظهر في تنجيم ماني في تقسيمه الزمن الى فترات أيضا فقد حرف المخطط الى حد ما ، ومع ذلك فان هنغ Hennig الذي عرض المسائل بشكل صحيح قد صرح بدقة تامة قائلا : « لا توجد دعوة لانقاذ ماني لهذا التحريف الثانوي ، فقد قرره بالنسبة لعلم عصره وللفكر العلمي بشكل عام ··· ولم تكن لديه أية رغبة ليكون رجل علم، بل مجرد كاهن » ·

وحاول ماني اقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية ، كما فعل ذلك في حال كل من الديانة البوذية والزرادشتيه ، ويجب التأكيد آنه كان لديه في كلتا الحالتين عينة خاصة في عقله من هاتين العقيدتين ، فقد اعتبر الديانة البوذية هي بوذية ماهايانا (بوذية القرن الأول ميلادي) والديانة الزرادشتيه هي ديانة المجوس الميديين التي عنت الزروانية ، وكانت الديانة المسيحية هي الديانة الغنطوسية خاصة في الشكل الذي أيده ابن ديصان ومرقون ، وعنى عرض رسالته من قبل المسيحية للغرب ما عنته البوذية للشرق ، فقد قامت الامبراطورية الايرانية بين هذين الاقليمين التبشيريين لأن النظرة الزرادشتيه كانت محددة ومقررة بالنسبة لنظامه العقائدي · ومع ذلك يجب الانتباه الى وجود خلاف بين هذه الأشكال الثلاثة ، فبينما تظهر العناصر المسيحية والبوذية ــ العائدة للدين ــ نفسها على أنها قصاصات يمكن فرزها بسهولة ودون ضرر بالنظام لا يمكن مباشرة العمل ذاته فيما يتعلق بالعناصر الايرانية ، لأنها أجزاء أساسية بالفعل ، فبازالتها لا يبقى أي شيء عمليا من إطار آراء ماني وعقائده · فكما سبق ورأينا : إن التركيب الأساسي للمانوية هو تركيب ايراني ، وليس ايرانيا صرفا

بل زروانيا وذلك من وجهة نظر غنطوسية • فقد اعتبر ماني كلا من زرادشت وبوذا ويسوع أسلافا له (الآثار الباقية للبيروني : ٢٠٧) ومع ذلك إن زرادشت وحده هو من يستطيع بالفعل شغل هذا المنصب من بين هؤلاء السلف من حيث كونه ممثلا لوجهة النظر الايرانية ، بينما يعطي الآخران انطباعا أنه قد تم انتقاؤهما لأسباب تكتيكية • وهنالك أيضا سمة خاصة تربط ماني بزرادشت ـ الذي لم تكن شخصيته التاريخية معروفة لديه على الاطلاق ـ وهي روحنة الدين فتلك كانت نقطة الابتعاد عنه في النزعة نحو الأفكار التجريدية المحولة الى آلهة وتبقى أيضا معلقة بشكل دائم بين المجرد والمحسوس ، هذا ومن المحتمل أيضا أن نرى مفتاحا لخلفية ماني في هذه الحالة : لندع جانبا المندعية ـ حيث وجدت هذه النزعة ذاتها ـ فانه من الثابت أن الغنطوسية الايرانية ـ اليهودية في ايران الغربية ـ الشمالية وفي بلاد الرافدين الشمالية قد استخدمت عدداً وطرائق من التعابير وجدت فقط في المندعية والمانوية ، هذا وإن تسمية الاله باسم إله العظمة ، وصيغة الأطوار الثلاثة التي تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل تستحق ذكراً خاصا في هذا المجال •

الفصل الخامس

الكتابـة والأدب المانوي

الكتابة المانوية ولغة ماني ـ الشريعة ـ الأدب غير العقدي ـ الصيغ الاعترافية ـ أدب التراتيل ـ أدب المواعظ ـ مزامير توماس

ـ الكتابة المانوية ولغة ماني :

نعثر في كتاب Acta Archelai الذي هو عبارة عن سلسلة من الأكاذيب المسيحية حول ماني على وصف له وحديث عنه وهو يحمل كتابا بابليا تحت ذراعه الأيسر ، ذلك أن هـذا الكتاب ـ على الرغـم من سمتـه العامة ـ يشتمل على الكثير من المواد الموثقة ٠

وكانت هذه اشارة عادية لكنها معبرة ، ذلـك أن الديانة المانوية كانت بالأصل ديانة كتاب ، وقـد قـدم مؤسسها عرضا مكتوبا حـوى الالهامات التي تلقاها ومن ثم طورها لتصبح نظاما عقائديا شاملا ٠ ، ونتيجة لذلك اعتبرت كنيسته أن من واجبها ومسؤوليتها الحفاظ على التعاليم التي تم نقلها وصيانتها منذ أيام « المولى ماني » ٠

ويشير كتاب Acta Archelai الى كتاب بابلي ، والمعني بهذه التسمية (بابل) بلاد الرافدين السفلى حيث ترعرع ماني فيها ، وأوضح أنها شهدت بداياته وذلك بقوله: « انني رسول شاكر، قائم من أرض بابل » ٠

وعندما يتكلم ماني عن كونه بابليا ، ويتم وصفه على أنه حامل لكتاب بابلي ، فذلك يعني أن لغتـه كانت لغـة آرامية وكذلك كتابتها (وبدقـة أكثر كانت آرامية شرقيـة) ارتبطت عـن قرب بالسريانية

الرهاوية ، وهي اللغـة الأدبية التي تطورت في الرها ، كما أن الكتابة التي استنبطها ماني واستخدمها ـ وهي التي تـم اعتمادها في مناطق الكنيسة الشرقية حتى تركستان ـ قـد تألفت من نموذج من الحروف المكتوبة المتقاربة في الاستواء مع تلك الحروف التي طورت في الرها ، غير أنها رسمت بشكل أقرب الى الصيغة القديمة للخط المندعي • ويقـدم هذا برهانا آخر حول الارتباط التاريخي الوثيق بين المانوية والعقيدة المندعية المعمدانية ، والحقيقـة الواضحة هي أن ماني لم يستفد مـن نموذجي الأحرف الآرامية اللذين كانا مستخدمين على النقود المعدنية ، وفي مقرات الملوك الساسانيين والفرثيين (أو الأمراء في فارس) •

على أية حال يمكن الافتراض أنه منذ آن تبنى ماني خطة محددة للكتابة وطورها لخدمة أهدافه الخاصة فانحروفه المكتوبة كانت معروفة بشكل عام في موطنه الأصلي في بابل الجنوبية، وإنها كانت الأكثر مواءمة ـ فيما يبدو ـ لنشر كتابه المقدس • هـذا ويمكن تسمية لغتـه باسم « اللغة الآرامية الشرقية » ، وهي فـرع لغوي متطابق مـع السريانية الرهاوية الى حد لا يمكن تمييزها فيه عنها ، ونستطيع هنـا أن نفهـم بشكل جيد استحوذاه على الكلام الذي قاله ابن ديصان ورغبة ماني بكل وضوح أن يحل محله ، وذلك كيما يصبح معروفا تماما من خلال هـذه الكتابات المتداولة ، كما أن قطع الشعر المانوي التي احتفظ بها ثيودور بارقونية من الجائز أنه نقلها عن خط ماني نفسه ، فهي منطوقة باللهجة الرهاوية ، وينطبق الشيء نفسه على البقايا الصغيرة من الأدب المانوي المكتشف في مصر ، وذلك على الرغم من عدم وجود آي دليل يبين في هذه الحالة : متى تمت كتابتها ، ومن كتبها ؟ ومع ذلك فان الكتابة والمادة هما مانويتان بشكل قاطع ثابت ، كما أن الانحرافات الطفيفة عن اللغة الرسمية السريانية الرهاوية لا تؤثر على هذه المسألة ، ذلك أن معرفتنا

غير تامة حول اللغة الرهاوية الأولى ، ومن المستحيل التمسك بفكرة آن الكلام المتداول في هذه القطع متطابق عمليا مع اللغة السريانية الفصحى للرهــا ٠

وبناء عليه فان النقطة التي تسترعي الانتباه وتثير التساؤل هي أن اللغة الآرامية التي استخدمها ماني وأتباعه لم تكن اللهجة المحليةللمنطقة البابلية ، أي لم تكن متطابقة مــع الكلام البابلــي الشمالي الموجود في التلمود البابلي ، ولا مع الكلام الجنوبي في الكتابات المندعية ، وهــذا مما يغذي العقل ويدفع على التفكير ، ومن الواضح أنه توجد هنا ثغرة متعمدة في خلفية ماني ، وليس هنالك أي مجال للشك في آن اختيار هذا المؤسس الديني الجديد للغة السريانية الرهاوية قد آملاه عليه حاجته للغة تتمتع بالانتشار الأكبر الممكن ، ذلك آنه بالنسبة لماني ــ كرجــل شرقي ــ لم تتوفر أمامه امكانية استخدام اللغة الاغريقية (فقد كــان يجهلها تماما وذلك حسبما جاء في كتاب Acta Archelai ، لذلك لم يكن ممكنا ــ كيما يحقق أهدافه ــ وجود لغة أكثر مواءمة من اللغة السريانية الرهاوية التي كانت مستخدمةفي الأمور الأدبية والكنسية على حد سواء، وبشكــل متنوع في الامبراطورية الساسانية والأجــزاء الشرقيــة مــن الامبراطورية الرومانية أيضا ، وهكذا تنعكس خبرة مانــي ــ كمبشر وداعية الى حد ما ــ في اختياره لغة لأعماله ٠

الشريعــة :

كتب ماني باللغة السريانية ، واستخدم حروف الكتابة المطبقة في بلاد بابل الجنوبية في القرن الثالث ، ولم يوجد غير عمل كتابي واحــد كتب بلغة أخرى ، حيث تجعل الظروف الخاصة بتأليفه وهدفه الاستثناء والعذر واضحا وبسهولة ٠

أ ـ لقد كان هو المجلد المسمى بالشابورقان الذي أوقفه ماني على الملك العظيم شابور الأول ، وذلك حسبما ذكره البيروني ، وقد احتوى هذا المؤلف المنشور الأول ـ الذي عرض ماني عقيدته فيه ـ على تصور متداخل للكون، وذلك حسبما ثبت صحيحا من الأجزاء المكتوبة بالايرانية المتوسطة المعاد اكتشافها، ويتضمن بشكل خاص تصوراً للايمان بالآخرة، يضاف الى هذا ما أخبرنا به البيروني من أن واحداً من فصوله تحدث عن « نزول رسل الله » ، وبين كيف أن الوحي قد نزل من السماء الى الأرض بتجسيدات مختلفة ، وذكر بوذا وزرادشت ويسوع على أنهم سلف لماني، كما اشتمل الكتاب أيضا على إشارة الى ترجمة حياة ماني فحدد مكان وزمان ولادته ·

إن سبب كتابة الشابورقان باللغة الفارسية الوسيطة على ما يبدو هو كون رجل الدولة الكاهن الداهية هذا قد تمنى لصالح تعاليمه أن يعبر عن احترامه وتبجيله للحاكم الجديد بوساطة اعتماده للغة الفخمة الجديدة التي كانت سمة الأسرة الساسانية ·

ب ـ إن أول ما ينبغي تسجيله ضمن كتابات الشريعة العائدة لماني ـ وذلك بين الكتب التي دونها بالسريانية ـ هو « الانجيل الحي » أو « الانجيل العظيم » ، ومع ذلك لا تكفي القطع المتنوعة التي عثر عليها ضمن المكتشفات الطرفانية(*) لتزويدنا بصورة واضحة عن مكوناته ، ولقد تم بذل الجهود ـ لكن بخطأ تام ـ لمطابقة هذا الكتاب مع كتاب Ardahang الذي يتكرر ذكره فيما يتعلق بالأمور الايرانية ، وقد تم تقسيم انجيل ماني بشكل يتماشى مع عدد الأحرف في الأبجدية السريانية الى اثنين وعشرين سفراً ، وهذه حقيقة أكدتها قطعة صغيرة من نص

★ نسبة الى طرفان Turfan وهو وادي سحيق في الصين ·

طرفاني حيث أعلن فيه عن ذاته « أنه الفارقليط الذي بشر به المسيح ، وأنه خاتم النبيين » • وقد افترض أن ماني قد أعد هذا الانجيل وأودع فيه عقيدته بقصد أن يكون نظيراً بديلا لانجيل عيسى يلغي كل الأناجيل المسيحية المعترف بها ، ومن المحتمل أنه كان يفكر بانجيل مسيحي واحد، وقد تم تنظيم هذا الانجيل وتحريره من قبل تاتين Tatian الذي شغل دوراً بارزاً أثناء حياة ماني بين المسيحيين الناطقين باللغة السريانية •

جـ ـ هناك كتاب آخر حمل اسم « كنز الأحياء » وهذا العنوان يذكرنا بكتاب جنزا Ginza [أي الكنز] المندعي ، ولربما يشير هذا الى وجود صلة في المادة ، وقد نقل البيروني قطعة منه في كتابه عن الهند تتعلق بأحوال سكان مملكة النور(*) ، كما أن هنالك نقولا أخرى كاملة تقريبا يمكن قراءتها عند أوغسطين في كتاب De Natura Boni

وعند يوديوس في كتابه De Fida Contro Manich ، وتصف هذه النقول إغواء الأراكنة ، ويتألف كتاب الكنز هذا من سبعة أسفار على الأقل، وقد عالج الأفكار المانوية حول ماندعوه « الأنتروبولوجي والسايكولوجي »، بما في ذلك تفسير ماني الأكثر تفصيلا لموضوع أن الانسان عالم صغير •

د ـ ويرد ذكر مكتشفات القسم الرابع من مؤلفات الشريعة بمثابة كتب « برامج » ، وكان قد افترض أنه قد تم اقتباس هذا العنوان Pragmateia واستعير من اللغة الاغريقية الى اللغة السريانية ، ولربما كانت محتويات هذه الكتب من النوع الأخلاقي العملي ، إنما لا يمكن أن نقول شيئا محدداً عن طريق التعليق على هذه الكتب ، وذلك لغياب الشواهد المعبرة عن محتوياتها لسوء الحظ ، والذي يمكن قوله إنه ليس لها علاقة مع كتاب الفصول [كفالايا Kephalaia] •

★ البيروني ـ تحقيق ما للهند من مقولة ـ ط• حيدر أباد ١٩٥٨ ص : ٢٩ •

هـ ــ واشتمل كتاب « سفر الأسرار » على ثمانية عشر بابا ، كما حوى هجوما على خلفاء ابن ديصان ، ومن جديد لم يكتشف في هذا المجال أية قطع أو نقول ، كما لا تخبرنا عناوين الأبواب المذكورة في الفهرس سوى القليل ، وذلك باستثناء الأبواب : ١،١٢،١٣ التي عالجت عقائد وتعاليم ابن ديصان ، ويمكن المجازفة بالافتراض أنه قد تم إعداد هذا الكتاب كي يكون ناقضا للكتاب الذي كان منتشراً بين الديصانيين تحت العنوان نفسه •

و ــ هذا ومن ناحية أخرى نحن مطلعون بشكل جيد الى حد ما على كتاب «سفر الجبابرة» وذلك بفضل العديد من القطع الطرفانية المكتشفة فقد تم الآن جمع هذه القطع في مجموع واحد ، وذلك على الرغم من أنها لا تخلو برمتها من بعض الثغرات ، وفي هذا الكتاب أقدم ماني على اقتباس أسطورة شرق ــ أوسطية قديمة هي حكاية سقوط الملائكة ،وهي حكاية كان قد تم ربطها قبل ماني بتقاليد تتعلق بجبار اسمه [عوج ــ Ogia] كان قد عاش بعد الطوفان واشترك في قتال مع تنين ، هذا ونجد في القطع المكتوبة بالايرانية الوسيطة قاتلين للتنين هما : سام وناريمان ، وهما شخصيتان معروفتان في علم الميثولوجيا الايرانية، ومن المحتمل أن ماني استخدم خطة ذات أصل ايراني صرف ومزجها مع خصة سقوط الملائكة كما هو موجود في كتاب « اينوخ » الأول، واستخدام ماني لكتابات اينوخ أمر ثابت ، لأن اينوخ وارد ذكره في«كتاب سفر الجبابرة» كما ويظهر اعتماده على أساطير قاتل التنين الايرانية بضوء مختلف عندما نعلم عن وقوع بعض الأسماء مثل أوهيا Ohia وأخيه آهيا Ahia في بعض القطع الايرانية وبالشكل نفسه باستثناء التنوعات الصغدية الاضافية لـ « ساهم الكوي [القوي] Sahmtlo Kavi وبات ــ ساهم Pat Sahm ، وفيما يتعلق بعبارة « كوي » Kavi إننا نعرف حاليا أنها

تطابقت في أيام الايرانية المتوسطة مع الكلمة السريانية « جبارا Gabbara وهي تساوي الكلمة العبرية gibbar ، ولا تختلف عن الكلمة الاغريقية Ylyas ، وباعتبار أن النقل المانوي ـ الصغدي مثله مثل النقل الفرثي يعيد إنتاج ما يعرف باسم المصطلحات الغربية أو المصطلحات السريانية، فقد تم استخلاص الاستنتاج التالي بصورة طبيعية وهو ان ماني نفسه قد استخدم الاسمين : أوهيا وآهيا في حين أن الروايات الايرانية سام وناريمان أو بات ـ ساهم لم تظهر في النص السرياني الأصلي ، بلكانت مجرد بدائل اعتبرها أتباعه الذين التزموا بتطبيقه بنقلكل كلمة وتعبير واسم الى لغته ببدائل موائمة ٠

ومع ذلك فان بعض الأحوال تتحدث ضد هذا ، وهي في حدا ذاتها ذات فكرة ورأي مقبول إذ يظهر سام مقابلا لشيء واحد في الأدب المندعي السابق لعصر ماني ، كما تظهر شخصية أخرى باسم سامي ناريمان في الفصل الثامن عشر من كتاب R. G. Apocalypse العظيم ، على أنها اسم لواحد من ملوك ايران الاسطوريين ، كما أن الرواية الموجودة هناك هي باشم ناريمان Pasm Nariman سيبدو من شرحها أنه الشكل الصغدي « لبات ساهم » ٠ فمن الملاحظ أن الأسماء الايرانية في السجل المندعي تظهر بشكل عام انحرافات واسعة عن الأشكال الفارسية الوسيطة المستخدمة في ايران الساسانية ، ويكشف وقوع « سامي ناريمان » في هذا السجل مع تفاصيل أخرى رائعة أن التعاليم الأسطورية الملحمية الايرانية كانت متحدة مع التعاليم التاريخية السامية ، وهنا يكون ماني بسبب أصله الفرثي وبسبب ثقافته المندعية قد اتخذ خطوة إضافية على طول هذا الطريق وهو أمر واضح ٠ فللأدب السرياني حكايات تاريخية من نوع توفيقي ملحوظ ، وسيكون غريبا جدأ لو لم تقم وجهة النظر السامية ـ الايرانية التوفيقية هذه حول التاريخ في كتاب ماني بسبب

حركته التوفيقية الواعية ، وفي الواقع لا يمكن لشيء أن يكون أكثر طبيعية من أن ماني لا بد وقد حاول مزج التعاليم التاريخية ـ الاسطورية الايرانية مع وجهة النظر التاريخية المسيحية ـ السريانية ولئن كان افتراضنا صحيحا فان كتاب « سفر الجبابرة » سيندمج دون صعوبة في حركة أوسع للأفكار التاريخية ، وسيكون « سام ناريمان »وبقية الأبطال الايرانيين الأسطوريين قد أخذوا أمكنتهم في الرواية الأصلية في مثل هذه الحالة ، لكن شخصيتي آهيا وأوهيا . ومن المحتمل أن ماني نفسه قد صرح في بداية هذا الكتاب أن هاتين الشخصيتين متطابقتين مع الشخصيتين الايرانيتين المتماثلتين ، وأن الرواية الصغدية هي رواية تسعى لتأكيد هذه العلاقة وبشكل مماثل . فمن الضروري فقط أن نقتبس من كتاب «Clement Recogn ٤/٢٧ ... » حيث يتطابق نمرود مع زرادشت شخصيا ، ويدعى أحيانا باسم زرادشت ، وأحيانا أخرى باسم نمرود ، وتارة باسم نينوس Ninus

ز ـ لم يبق من كتب الشريعة المانوية سوى مجموعة الرسائل التي وصلتنا باللغة القبطية ، وبما أنه لم يتم نشرها حتى الآن ـ أي بعد خمسين عاما من اكتشافها ـ وأذيع أنه تم بالفعل فقدان معظمها لا يعرف شيء ـ في الواقع ـ عن هذه الرسائل سوى عناوينها ومقدماتها . وعلى سبيل المثال تقول احداها : « ما ني رسول عيسى المسيح ، وكوستايوس Kustoios [الحواري] وجميع الأخوة الباقون الذين معي ، الى سيس » ،ونشاهد هنا أن ماني مدرك تماما لسلطته المتأصلة مثله مثل بولس الرسول تماما . هذا ونعرف من مصادر أخرى أن سيس كان خليفة ماني المباشر .

إن الرسالتين المكتوبتين باللغة القبطية واللتين نعرف محتوياتهما لا تحملان اشارات تدل على أنهما من الرسائل المذهبية بل على الأرجح: إن هاتين الرسالتين هما من نوع الرسائل الخاصة التي تتم فيها مناقشة

أمور شخصية، وتنعكس شخصية ماني هنا وتبدو بمثابة الرئيس المتولي القيام بحملة تبشيرية روحية واسعة النطاق ذات دعاية نظمها بطريقة رائعة • ونجد أنه بقدر ما يمكن استخلاص الرآي من مادة كهذه وفق توفرها حتى الآن استخدم ماني رسائله أيضا لمعالجة بعض نقاط مذهبية ومسائل تنظيمية وقضايا عامة ، وذلك مثلما فعل بولس تماما في كتاباته ، فماني هنا مثله مثل بولس تماما ، هو رئيس كنيسته الخاصة، وراعي رعيته ؛ ولذلك يمكن الافتراض آن هذه الرسائل قد مثلت نظيرا مدروسا لرسائل بولس ، فهي أحيانا رسائل مذهبية ، وأحيانا آخرى تعليمات عملية واتصالات شخصية ؛ ولذلك فهي تقع بالفعل ضمن التصنيف الأدبي الذي يعتبرها « رسائل إنجيلية » ؛ لأنها عبارة عن أخبار وقائع جاءت في صيغة مكتوبة • وعلى الرغم من آنها رسائل حقيقية ـ بمعنى أن لها صفة الاتفاق ، وأن ماني لم يكن قد عقد العزم على نشرها على شكل « كتاب » منذ البداية ـ فانه ماني قد وزعها بالفعل أثناء حياته على اعتبار انها جزء من نتاجه الأدبي ، وقد حوى الفهرس قائمة مفصلة بعناوين وأسماء رسائله •

الأدب غير العقدي :

وندع هنا العقيدة المانوية والشريعة لننتقل الى الكتابات الباقية ، والشيء الذي لا ينبغي ـ بالتأكيد ـ إهماله هو الكتابات التي هي من صنف التراجم ، وهو فن لا بد وأنه كان واسع الانتشار فيما مضى ، وبلغات عديدة ، وقد عثر على العديد من القطع المبعثرة في آماكن مختلفة • وعلى الرغم من أن هذه التراجم المجزوءة لا تمكننا من اعادة تركيب مجرى حياة ماني في جميع المراحل فهي تقدم صورة رائعة خاصة بالنسبة لبدايات نشاطاته العلنية ونهاياتها مع الدور التنظيمي الذي

شغله • وإذا ما استهدف المرء اعادة تركيب سـيرة حياته فهناك آمامه قبل كل شيء بعض الرواياتالمتوفرة في الفهرس مع ثلاث قطع طرفانية، ونصوص قبطية مانويــة متنوعة ، وتبدو « حياتــه » مشوبــة بعنصر أسطوري شديد من النوع الذي نراه في مصنفات تراجم حياة القديسين التي ظهرت للمــرة الأولى في العصور الهلنستيه ، ثـم تبناها كـل من المسيحيين والمانويين ، ثم ظهرت فيمــا بعــد في المؤلفات الاسلامية • ويلاحظ أن حكايات العهــد القديم عن الرسل النمط الــذي احتذي الى حد ما ، في حين يظهر الأدب البوذي نظائر عظيمة ، ولا يوجد سوى شك طفيف في أن التراجم المسيحية ـ الهلنستية قد تم ربطها بهذين النمطين بشكل عام • وتظهر نظرة أدق الى المادة المتناولة لحياة ماني آنها على الفور تنطبق أدبيا الى حد كبير مع النوع المستخدم في التراجم المسيحية والهلنستية للشخصيات النظيرة ، فهناك نفس المزيج من قصص السيرة الذاتية مـع روايات شهود العيان ، ومـع التأكيد والالحاح ذاتـه على ظروف الميلاد الرائعة ، ثـم التثقيف ، الى موت رائـع بشكل واقعي ، والأوصاف ذاتها للرحلات التبشيرية الى أراض بعيدة ، واللقاءات نفسها مع حكام جبابرة ، والروايات المدهشة ذاتها ، والمواعظ الورعة عينها وكذا الجمع المتفكك لأحداث مختلفة تدعى باسم Praxeis •

ويرتبط بماني ارتباطا وثيقــا المصنف الهام الذي تم نقله الينــا باللغة القبطية ، وبترجمة اغريقية ، وهو يحمل اسم كفالايا ، وممــا يؤسف له أنه لم يتم ـ حتى الآن ـ سوى نشر الجزء الأول منــه (على الرغم من أن الجزء الثاني قيد الاعداد) • ولا بد أن هذا المصنف قد كان مجلد كبير فيما مضى حوى ـ على الأرجح ـ آكثر من خمسمائة وعشرين صفحة • وكان مقسما الى عدد كبير من الفصول (أي كفالايا)، وقد ادعى أنه سجل لعقائد ماني وشروحه وإلهاماته ، وغالبا ما جرى

تقديمه وهو يتحدث مع أتباعه فيجيبهم على أسئلة طرحوها عليه ، أو يتولى ارشادهم إلهاميا بمبادرة منه وذلك حول نقاط اختارها واستهدفها • وعلى الرغم من أن هذه المناقشات الارشادية التي لها نظائرها في الأدب الغنطوسي القبطي لا تخضع لأية خطة موضوعة ولا تلتزم إلا شيئا طفيفا من النظام وهي منشورة بشكل فوضوي مضجر فانها مع هذا كله تلتزم ببعض التقنيـة المساعدة على التذكر كـي تطبع الدروس في الذاكرة بسهولة أكثر • وممـا لا شك فيه أن هـذا المصنف يقدم لنـا ارشادات ومباحث ماني بشكل موثـق صحيح غـير أنه ليس من المؤكـد التزامه الحرفي بالنقل •

ومن الجدير بالملاحظة هو أن حواري ماني جاء وصفهم هنا بمثابة جماعة محددة مشابهة لحواريي يسوع ، كما أن المقارنة بين ماني وهو يعلمهم مع الحواريين وهم يصغون الى موعظة الجبل (متى ٥/ ١ـ٢) هي مقارنة صحيحة جداً • كما أن الخلفية ـ كما تمت روايتها ـ تفتقر في كلا المثالين الى أية أهمية تاريخية ، ولم يقم باضافتها سوى المصنف، ومن الواضح أن محرر (الكفالايا) كان واضعا يسوع نصب عينيه •

ومن بين حشد الكتابات المانوية ، التي يعـود تاريخها الى الزمن الذي جاء بعد وفاة ماني ، هنالك وصف يستحق عناية خاصة ؛ لأنـه يدور حول حياة أتباع ماني المقربين اليه ونشاطاتهم ، ويحظى بانتباهنا كل من : مار أمو ، أداي ، توماس ، إنايوس ، سيس ، ذلك أنهم كانوا ألصق أتباعه به ، ولسوء الحظ لم يتم حتى الآن نشر سوى كمية ضئيلة من النصوص القبطية والقطع الطرفانية التـي تتعلق بهـذه الحوادث التاريخية ، ومع ذلك فان هذه الروايات المتبعثرة أصبحت بعد ما أغنيت بما جـاء من معلومات في المصادر العربية تلقـي ـ بالفعـل ـ بعض

الأضواء الثمينة على تاريخ الكنيسة المانوية في مناطق ممتدة من مصر الى آسية الوسطى ، وعلى العموم إن مواد هذه الروايات تفتقر الى السمة التاريخية الرزينة ، فهي قد تركت مجالا رحبا للأسطورة مع نزعة الى التثقيف ، وهذا واضح من العينات التي تمت دراستها ، يضاف الى هذا أن الحكايات حول مار أمو تعتبر قضية وثيقة الصلة بالموضوع ، فقد جرى الالحاح فيها بشكل شامل على وصف تفاصيل النشاط التبشيري لحواريي ماني الرئيسين ٠

ـ الصيغ الاعترافية :

حتى نفهم الحياة الروحية للجماعات المانوية ، ينبغي أن يكون لدينا اطلاع خاص على الأدب المعد لاغراض تتعلق بالطقوس الدينية ، وبما أن الأدب المانوي في هذا الباب مؤلف الى حد ما من صيغ اعترافية وتراتيل ومزامير مقدسة ، فلحسن الحظ تم الاحتفاظ بعدد وافر من هذا النوع ٠

ومن الصيغ الاعترافية التي بحوزتنا ، يأتي في المقام الأول صيغة « اكس فاست فانيفت » XvastVaneft المشهورة ، وهي صيغة مترجمة من اللغة الصغدية الى اللغة التركية ، وفي المقام الثاني صلاة اعترافية صينية ، وفي المقام الثالث كتيبا اعترافيا صغديا ٠

إن « اكس فاست فانيفت » صيغة اعترافية خاصة بالمتعبدين العاديين ، وهي مقسمة الى خمسة عشر قسما ، وقد ضاعت مقدمتها ، وفيها جرى تعداد الأفعال المضادة للعقيدة وذكر الهفوات الأخلاقية على حد سواء ، ويلاحظ أن العبارة المكررة إثر مادة كل خطيئة ، واللازمة الدائمة التكرار إثر كل مقطع هي : Manas-ar hirza أي « إغفر لي ذنبي » !

وهذه الصيغة هي صيغة اعترافية صغدية جرى تبنيها كما هـي ، دونما تعديل ، من الرواية الصغدية الى الترجمة التركية ، وهو وضع يشير في حد ذاته الى استخدام صرف متعلق بالطقوس الدينية ، ويرد في صيغة « اكس فاست فانيفت » اسم المتحدث بالصيغ الاعترافية ، وهـو شخص اسمه Raymasthrfra-end ، يمكننا أن نعتبره أنه كان صاحب مكانة لاهوتية عالية ، وذلك على أساس ما يعنيه اسمه وهو « السكير مع الادراك » يضـاف الى هـذا ورود اسمـه في نص آخـر تحت عنـوان Raymasthrfra-end المقدس » ، و « المعلم » ويـدل اللقب الصغدي Xvestar المطلق عليه هنا الى أن مرتبته فوق مرتبة « المجتبى » ويبدو أنه كان أكبر منه سنا ، ولا توجد الآن أية صعوبة في أن نستخلص مـن هذا كله ، أن الكاهن قد قام بقراءة الصيغة الاعترافية لجماعة المصلين العاديين ، أكثر من أنهم قاموا بترديدها ٠

وتظهر صلاة صينية اعترافية أن « المجتبى » كان عليه أن يتلوها مع « السماعين » عند غروب الشمس ، وتوضح بذلك أنـه على الرغم مما سبق ، يان من الممكن ممارسة الاعتراف بشكل مشترك ٠

والحقيقة المثيرة للدهشة هي أن صيغة «اكس فاست فانيفت» تلتزم بمنحى صريح جداً ضد الزروانية ، عندما يكون هناك حديث عن الضلال المذهبي مثلا إذا قال أحدهـم : إن أهرمزد وأهرمان أخـوان ، وأن الله مصدر الخير كله والشر ، أو أنه وحده يمنح الحياة أو الموت ، لتوجب عليه أن يطلب الغفران للتفوهه بمثل هذه الأشياء التجديفية ـ كما تقول الصيغة ـ لأن هذه الآراء جميعا شكلت بعضا من وجهة النظر الزروانية، ولهذا جرى رفضها كليا ٠

ولم يبق لنا ليصلنا سوى صيغة اعترافية بروايتها الصغدية أعدت

للمجتبى فقط ، وهي تعرف باسم الصلاة المانوية ، وذلك بالاضافة الى « كتاب اعترافي » • وعلى الرغم من أن ما سنفترضه ليس مؤكداً تماما فمن المحتمل جداً أن يكون جرى إعداد هذا الكتاب (الكراس) الاعترافي لكي يرتل في المأدبة السنوية المقدسة ، وجرى إقحام بعض المقاطع من كتابات ماني بالفارسية المتوسطة بالنص الصغدي وربطها مع عبارة « كما يقول ، يعلم ، يأمر » أو « كما يقول في الكتاب » ومفيد أن نعيد الى الذاكرة أنه غالبا ما يقع في الكتابات الزرادشتية البهلوية عبارة : Cigon Gowet أو عبارة : « كما تقول الأفستا » •

ـ أدب التراتيل :

تظهر التقوى التعبدية المانوية نفسها في مجموعات من المزامير الكبيرة التي تم حفظها ، وتشير الى الأفكار العاطفية التي آثارت آتباع ماني، والتي سهلت عملية فهم انتصار المانوية، كما شجعت هذه القصائد روح الغنطوسية بشكل لا يقبل الجدل ، وتؤكد في الوقت نفسه آن الانشطار بين المانوية الشرقية والمانوية الغربية قد حمل الخير للتأليف الديني أيضا ، ويلاحظ أننا إذا ما تركنا جانبا الدور الذي شغله يسوع في العقيدة نفسها فنادرأ ما يلاحظ التأثير المسيحي في النصوص التركية والايرانية (والى حدما الصينية) ، ومن ناحية أخرى نجد آنه بالنسبة للمزامير المانوية القبطية قد ذهب « بومزترك Baumstork الخبير المشهور بالشعر الديني المسيحي القديم الى حد القول أن قراءتها كثيراً ما تعطي الانطباع الناشيء ذاته عن قراءة مادة تنتمي الى الكنيسة الكاثوليكية وذلك حتى يظهر فجأة اسم ماني فيبدد هذا الوهم ويزيله •

وإذا ما ألقينا نظرة أدق على التصنيفات الأدبية التي أظهرها الشعر الديني المانوي ظهر لنا على الفور أن التراتيل تشغل دوراً مهيمنا ،

ومن ناحية أخرى نجد أن لهذه التراتيل سمة متنوعة كثيراً ، فبعضها عبارة عن تراتيل لمختلف الأرباب في منظومة الآلهة المانوية كتلك المكرسة للاله السامي المعروف باسم زروان في التقاليد الشرقية ، ولاله الفجر « بام Bam » ولاله الشمس « مهريزد Mihryazd » وللرسول الثالث الذي حمل اسم « نارساف يزد Narsaf Yazd » في الشرق ، وللروح الحية ، وليسوع وماني ، وقد تمتع الأخيران بمرتبة وجلال سماويين ، لأنهما حلول الرسول الثالث « نؤوس » السماوي العظيم ·

كما بقيت تراتيل تمجد المراحل المتنوعة لخلق الكون من النوع الذي يمجد عملية الفداء ، يعني : مولد وبعث الانسان الأول ، وهنالك في النهاية التراتيل الموجهة للرسل ولماني أو الى مرشدي الجماعة مثل مارزكو ·

واختلف الشكل الأدبي اختلافا كبيراً بين جميع تصانيف التراتيل ، كما أن الحصول على فكرة واضحة عن الأشكال المنفصلة يستلزم نظرة دقيقة الى المادة المتوفرة ، فهناك أولا تراتيل معروفة بوضوح على أنها ترجمات عن اللغة السريانية ، وهناك تراتيل أخرى في لغة شرقية ما ـ ايرانية أو تركية أو صينية ـ تم تنظيمها بالفعل في واحدة منها ، وهناك ـ ثالثا ـ عينات شعرية بلغاتها الغربية الأصلية سواء أكانت : إغريقية أم لاتينية أم قبطية ·

وتحتوي كل من النصوص الايرانية والقبطية على تراتيل هي ترجمات عن اللغة السريانية ، وهذه حقيقة يمكن إثباتها بتطبيق بعض المعايير : يمكن أن يكون تقديم ترتيله ما ، هاما إذا لم يتم نظمها أبجديا بشكل متسلسل ، وذلك أمر مريب بشكل واضح في الحالات الايرانية ، ثم من الممكن أن تكون هنالك سمات سريانية تشتمل على ما يسمى

« ترجمات تعاونية »، وعلى سبيل المثال نجد مزموراً يذكر أن وفاة ماني قد حدثت يوم ١٤ مهر الموافق للرابع عشر من شهر نيسان • والـذي حدث هنا أنه تم نقل شهر نسيان السرياني بكل بساطة ليحل محل شهر مهر الايراني ، وهذه غلطة في التقويم في المقام الأول ، وعلى كل حال جدير بالملاحظة بشكل خاص أنه عندما تتكون الترتيلة من اثنين وعشرين دعاء ـ مثل الترتيلة الصوتية الصينية للمسيح ـ أي بما يتطابق مع عـدد الحروف الأبجدية السريانية • بدون أن تتبع ترتيب الأبجدية المانوية فمن المؤكد عندئذ أنه قد جرى نقلها في هذه الحالة من اللغـة السريانية الى اللغة الايرانية الوسيطة ، وأن جمعها أبجديا قد تم بالأصل • ويجب أن نضيف الى ما سبق ذكره وجـود أخطاء صفة في الترجمة مثـل الكلمـة السريانية « حيي Hayye » التي تعني « حياة » وهي صيغة مجازية دالة على الجمع تنقل عادة بصيغة الجمع فيغدو معناها « العيش » • وهكذا يظهر بدلا عن عبارة «أم الحياة» التي هي باللغة السريانية Emma de hoyye عبارة « أم العيش » Zinraganmadar أو Madar'e Zindagan أو أيضا بدلا من العبارة السريانية Ar'a de hayye التي تعني مملكة الحياة عبارة « مملكة العيش » Sahre Zindagan وقد جرى تبني هاتين الترجمتين الخاطئتين بشكل خاص لكن ليس بعدهما مقاييس معتمدة ، وتعطي مختلف التراتيل الايرانية المتوسطة الانطباع ـ إن لم تكن مترجمة تماما عن السريانية ـ بأنه قد تم تخيلها وفق نمط معروف بالنسبة لبلاد الرافدين الناطقة باللغة الآرامية ، وهذا صحيح بشكـل خاص بالنسبة للتراتيل التي تم توجيهها ليسوع ، وإليك عينة عنها :

I نشترك (؟) جميعا برأي واحد •
وسنمد أيدينا بالتضرع •
ونثبت أعيننا على صورتك •

وسنفتح أفواهنا لنتضرع إليك ·
والسنتنا جاهزة للثناء ·
نتوسل إليك أيها السرمدي ·
ونشكرك يا يسوع المتألق ، أيها الدهر الجديد ·
إنك أنت الاله الذي يصنع الحقيقة ·
أنت مداو نبيل وأنت الابن الحبيب والمحبوب ·
II تعال مع النعمة أيها الرب الكريم ·
تعال مع العون أيتها الروح الخيرة ورسول السلام ·
يا عون الضعيف وقاهر المعتدين ·
تعال مع النعمة أيها الرب الجديد ·
تعال مع النعمة يا مخلص المقهورين ويامعافي الجرحى !·
تعال مع النعمة يا موقظ النائم ومنهض الوسنان ·
أنت يا من يحيي الموتى ·
تعال مع النعمة أيها الاله القوي والصوت المقدس ·
تعال مع النعمة والكلمة الصادقة والنجم العظيم والضوء الساطع·
تعال مع النعمة أيها الرب الجديد والفجر الجديد ·
تعال مع النعمة يا عطية الخير ومبارك الضعيف وموقر التقي ·
تعال مع النعمة أيها الأب المحبوب والقاضي العادل لكل الذين نشدوا الملجأ لديك ·
تعال مع النعمة أيها الأب أنت يا حامينا القوي وإيماننا الراسخ ·
تعال مع النعمة [يا قاهر ؟] المعتدين [· · · · ؟ · · · · ·] ·
III الآن [· · · ؟ · · · ·] أيها التاجر العادل [السلام ؟] علينا ·
وارحمنا واعطف علينا أيها المحسن يا من تحب الجميع ·

ولا تجمعنا مع مثيري القلاقل ٠
وأنقذ أولئك الذين ينشدون المأوى وارحمنا ٠
أيها المحبوب والمُحِب ٠
IV لقد رأيناك أيها الدهر الجديد وسقطنا عند أقدامك أنت يامن تحب الجميع ٠
لقد رأيناك والفرح يغمرنا أيها الرب العطوف ٠
ونقر بأن اسمك هو « م » و « س » [المسيح] ٠
أبعدنا عن المذنبين ٠
وخلصنا من المعتديين ٠
أيها الرب ، نحن ملك بنانك ، فارحمنا ٠
أسرع الى ها هنا واقهر الآثمين ٠
لأنهم أصبحوا متغطرسين وتكلموا كما يلي :
« نحن الرجال ولا رجال سوانا » ٠
لذلك استخدم طاقتك واقذف الظالمين [٠٠٠٠] و [الأعداء ؟] الى الهاويـــة ٠
V [نسبح] باسمك الشعشعاني ٠
وبنبل عظمتك التي كلها حريـــة ٠
المجد لاسمك أيها الأب ٠
والولـــه بعظمتك ٠
الآن وللأبـــد ٠
إذا ما تمت دراسة تركيب ومحتوى هذه الترتيلة مع التطلع لاجراء تحليل ممكن ، يمكن فرزها الى شيء يشابه الأقسام التالية :

١ ـ مقدمة وحض بوساطة الجماعة كيما تشغل نفسها في الثناء والتضرع ، والصيغة المستخدمة هي صيغة الشخص الأول جمعا ، وباتت المقدمة عن طريق إرفاق صفات وعبارات مناسبة بالاسم المقدس مع تراكيب خاصة باسم الفاعل تقود مباشرة الى قلب البناء الرئيسي للترتيلة ٠

٢ ـ يتألف البناء الرئيسي من صلاة مقامة حول البشائر : تعال مع النعمة !

ويتلقى يسوع الذي هو موضوع التضرع سلسلة من الصفات والاضافات بالطريقة الترتيلية العادية ٠

ويجب اعتبار هذه الاضافات كعدد من النعوت التقليدية غرضها جعل يسوع في نشاطه التخليصي حقيقيا بالنسبة لمشاعر وأحاسيس المؤمنين، وينتمي عدد كبير من هذه النعوت لخط التفكير الغنطوسي ككل: الشافي ، الرسول ، الموقظ ، الكلمة ، النجم ، بداية الدهور ، وهكذا ٠٠

٣ ـ ويتم أتباع هذه الصلاة القائمة حول البشائر بتضرع للتخليص والرحمة ، وهذا المقطع موجز تماما ، وينتقل بمناجاة الاله الى القسم التالي ٠

٤ ـ يبدأ هذا الجزء بالتأكيد على أن جماعة المصلين قد نظرت الى الاله، وبالنتيجة حصلت البشائر عند تلك المرحلة، وجرى إلحاق التأكيد بتضرعات جديدة للعون ضد الباغين وللانفصال عن الآثمين ، كما آن الصلاة لتدخل الاله مصحوبة وفق الطريقة المعهودة في العهد القديم باقتباس مباشر لكلمات العدو المتغطرس الخاصة ٠

٥ ـ وينتهي المزمور بتمجيد لاسم الاله والتمني بأن تستمر أعمال العبادة والتمجيد الى الأبد ما دامت تجد التعابير ٠

ويظهر التركيب كما هو محلل هنا أن هذا المزمور مثل العديد من المزامير الأخرى مطابق للمزامير الرافدية القديمة، أناشيد تموز وأغانيه الى حد كبير ، وهذا التطابق هو ما آكده آحد الخبراء بالشعر الديني الشرقي ·

ولأخذ عينة من المزامير الايرانية الغنائية يمكن الاستشهاد في المقام الأول بما يعرف باسم قطعة زرادشت وهي قطعة مشهورة ، ذلك آنها كانت مفتاحا للبحث في المانوية منذ أكثر من ستين سنة خلت ، ومع آن أهميتها قد تضاءلت الآن كثيراً فانها عظيمة الأهمية لفهم قلب العقيدة الغنطوسية حول « المخلص المفتدى » ، ففيها نجد زرادشت بمثابة ممثل الرسول الذي أرسله نؤوس الى العالم لتخليص الروح ، فهو يتحدث مع روحه كممثل لروحه الباطنية، آو بعبارة أخرى يتحدث نؤوس مع الروح بوساطة فم زرادشت :

إذا كانت تلك رغبتك ، فسأعلمك من شهادة الأرباب السابقين ·

هكذا تكلم المخلص زرادشت العادل مع روحه :

إن الثمالة التي تغطين فيها عميقة ، فاستيقظي وانظري إلي ·

الرحمة عليك والسلام والتي أرسلت منها اكراما لك ·

وأجابت إنني أنا الابن الحنون والبرىء لسرواف

إنني ممتزجة ، وأشهد المعاناة ، فأخرجني من قبضة الموت ·

وطلب زرادشت الرحمة لها وقال : أيها الصوت الأول ، هل آنت عضو مني ؟

لقد نزلت عليك رحمة القوة الحية والأكوان العلوية من آرضك وموطنك ·

اتبعني يابن اللطافة ، وضع تاج النور على رأسك ·

أنت يا بن الأقوياء الذين أصبحوا ضعفاء ، يتوجب حقا عليك آن تتوسل في كل مكان ·

ويقدم الشعر المانوي عينات لأوصاف الطبيعة الحيـة تشبه تلـك الأوصاف المشوقة لقدوم الربيع ، الظاهرة في الشعر الفارسي الجديد ، ويجدر الاستشهاد هنا بقطعة من التراتيل القبطية من المزمور المعروف باسم المزمور المقدس :

انظر ، لقد تجددت جميع الأشجار والنباتات ·
انظر لقد أظهرت الأزهار جمالها ·
حيث تم فصم الرباط المضر بأوراقها ·
اقطع سلاسل آثامنا وأربطتها ·
الجو مضيء بأكمله والقبة السماوية متلألئة اليوم ·
وأخرجت الأرض أزهارها أيضا ، وأمواج البحر ساكنة ·
ذلك أن الشتاء الكئيب والممتلىء بالضيق قد انتهى ·
فلننج من شر الشيطان ·

وتظهر هنا نفس المراقبة الرقيقة للطبيعة كما ستتم رؤيتهافي الجزء المكتوب بالايرانية الوسيطة ، والسؤال الذي يدفع نفسه بشكل غريزي الى الأمام هو : كيف استطاع هذا الاعجاب الشديد بالطبيعة أن ينسجم مع وجهة النظر المانوية تجاه العالم ؟ ولربما يقع الحـل في أن الشعراء المانويين قد دمجوا أجزاء من الشعر الايراني المتوسط في مؤلفاتهم ، أو أنهم قلدوا ذلك النمط الشعري ، ومن الصعب جداً أن نرجح افتراض أنهم أقبلوا من أنفسهم بمبادرة خاصة وانسجام خاص فكانوا متحمسين بحرارة زائدة لجمال العالم الذي هو من صنع القوى الشيطانية، ويمضي

الجزء المكتوب بالايرانية الوسيطة الذي جرت الاشارة اليه من قبل كما يلي :

الشمس المشعة والبدر المتلألىء .

يضيئان ويتلألآن من جذع هذه الشجرة .

وتتبختر الطيور المتلألئة بابتهاج هناك .

وهناك تختال الحمائم والطيور الرائعة من جميع الأصناف .

وتسبق هذه القطعة زمنيا نظم الشعر الفارسي الجديد بأوصافه للحدائق (بستان) المليئة بالورود ، والطيور المفردة، وخاصة العندليب.

ـ أدب المواعظ :

كان المانويون وعظة جيدين ، وكهنة عمليين مجتهدين ، وقد اشتملت المكتشفات الطرفانية على قطع من كتابات تصف حياة بوذا ، كانت تحمل عنوان : بارلام ويوساب Barlam and Joasaph وهي تعتبر من أكثر الحكايات المسيحية للعصور الوسطى شعبية،وتعرض النصوص الايغورية رسم أسماء مثل بوذ ساف Bodhisaf أو بوذا ساف Bodhasaf وهي اشتقاقات أصلها عبارة بوذ ستافا Bodhisttava كما أن عبارة أو داساف Iuda saf التي هي شكل من أشكال الانتقال الى عبارة يوساف المسيحية نواجهها لدى الكتاب العرب للقرن التاسع ، وبناء عليه يبدو أن المانويين استخدموا سيرة بوذا في شكلها الاسطوري الأول في تراتيلهم كمصدر لأمثلة التهذيب ورفع المستوى الأخلاقي للتأملات الموجهة « للسماعيين » المدنيين ، ولم يترددوا أيضا ـ باتباعهم لتقاليد ماني ـ في استخدام المواضيع البغيضة والفظة .

وتشتمل النصوص المانوية المكتوبة باللغة التركية والايرانية على العديد من القصص المطورة من مادة ليست من أصل مانوي ، ويعكس بعضها مواضيع الفولكلور القديم ، مثل تلك التي تحمل اسم « دموع الأم » حيث هناك أم تقول : « لم أعرف حتى الآن أنني كنت أقتل روح ابني عندما بكيت على جسده ، ولذلك لن أبكي بعد الآن كي لا أقتله »٠

ويروي مصنف روسي حول الموضوع نفسه كيف آن احدى الأمهات ـ وكانت قد ثكلت بابنتها ـ قد بكتها لمدة ثلاثة آيام وثلاث ليال، وحلمت خلال الليلة الثالثة أن أبنتها تتقدم نحوها وفي يدها جرة ، وعندما سألتها الأم عما كان في الجرة أجابتها الابنة أنها قد جمعت دموع آمها حتى باتت مترعة ، ثم قالت الابنة لأمها : « لا تبك يا أمي بعد الآن وإلا فان دموعك التي هنالك الكثير منها ستنسكب على الأرض وتؤذيني في الحياة الآخرة ؛ ذلك أن الأمور هي على ما يرام معي الآن » ٠

ومن الواضح أن هنالك ارتباطا بين هذا الموضوع والمقت الزرادشتي للنوح على الموتى وقد كان عادة سائدة في ايران الشرقية ٠

وتظهر أيضا مواضيع مشابهة للحكايات ، ومواضيع قصصية محضة مثل قصة التاجر المشهورة الذي يتاجر باللآلىء ٠ والرواية الأكثر انتشارا لها هي الرواية المنقولة عن الكاتب العربي ابن المقفع الذي كان من أصل فارسي ، وتقول الرواية :

كان هنالك تاجر عنده العديد من الجواهر النفيسة قام باستئجار رجل ليثبت له الجواهر داخل أطر معدنية مقابل آجر قدره مئة قطعة ذهبية ، وأخذه معه الى داره ، وعندما جلس الصانع في منزل التاجر حدث أن وقع نظره على آلة عود كانت موجودة في الغرفة ، وعندما سأله التاجر فيما اذا كان يجيد العزف على هذه الآلة أجابه الصانع بالايجاب،

وبالفعل كان بارعا بالعزف ، وقال له التاجر أجلب العود واعزف عليه• وهكذا عزف الصانع بشكل شجي على العود طوال اليوم مصدراً الحانا جميلة استمع اليها التاجر بمتعة حتى آنه ترك علبة المجوهرات مفتوحة وهي مملوءة بالمجوهرات وأخذ يميل برأسه يمنة ويسرة من شدة الطرب ، واستسلم كليا لايقاع الموسيقى • وفي المساء طلب الصانع من التاجر أن يعطيه أجره ، فأجابه الأخير : وهل عملت شيئا تستحق الأجر عليه ؟ أجابه الصانع : لقد استأجرتني ، ونفذت ما طلبته مني ، وهكذا ضغط عليه حتى دفع له مئة القطعة الذهبية بينما بقيت الجواهر غير مرصعة •

ويقدم نص مانوي صغدي آخر قصة رمزية لا شك آنها كانت حكاية شعبية واسعة الانتشار فيما مضى إذ كان تحويل الحكايات الرمزية الى مجازات طويلة النفس ممارسة مفضلة لدى المانوية •

ـ مزامير توماس :

ونجد في مزامير توماس القبطية ـ التي تحتوي على العديد من الأفكار المتبناة من النصوص المانوية نصا يروي كيف حضرت قوى الظلام لهجومها على عالم النور وقد تم لفت انتباه عالم النور هذا الى قائد الحشود الشريرة كما يلي :

نظر واحد من أبناء النور
نظر من الأعلى فرآه
وقال لأخوته الأقوياء
الذين لم يكن بينهم متخاذل ولا ضعيف
لقد نظرت الى الهاوية

فرأيت الشيطان وابن الشيطان
راغبين في اثارة الحرب وشنها
ورأيت رفاقه السبعة
ووزراءه الاثنـــي عشر
ورأيت الخيمـــة مثبتـــة
قد أضرمت النيران في وسطها
ورأيت أسلحتهم الوحشية
المعـــدة لشن الحـــرب
وتقدم الى الأمام ذلك الصغير الموجود بين الواقفين في الأعلى
حمل سلاحه وشد وسطه
وقفز وأسرع نحو الهاوية
وقفز حتى وقف في وسطهم حتى يتمكن من شن الحرب وقتالهم ·
وقهـــر ابـــن الشيطان
ورفاقه السبعة ووزراءه الاثني عشر ·

ولا يتم إظهار الخلفية المندعية لهذا الوصف على حساب العوامـــل الأدبيـــة التقليديـــة فحسب ــ فعلـــى سبيـــل المثال مصطلح الأقويـــاء يقابـــل المصطلح المندعي أثـــره Uthro ومخصص كتسميـــة للكائنات السماوية المتألقة ، زد على هذا أن ما يسمى « بالتسلسل » الذي يعتبر نمطا شائعا في الشعر المندعي موضح هنا بشدة خاصة في أبيـــات الشعر المتسلسلة من البيت الحادي عشر الى الثالث عشر ، ومن البيت الرابـــع والعشرين الى السادس والعشرين ــ بل يصبح الأسلوب المندعي ــ بواسطة دراسة الدليل الداخلي ــ ملحوظا بوضوح عند مقارنته مع قطعة من الجنيزا(*) التي جاء فيها :

★ مجموعة الوثائق التي عثر عليها في كنيس مدينة الفسطاط ·

عندما وقفت هنالك في دار الحياة
رأيت العصـــاة
رأيت بوابات الظلام
رأيت الهاوية ممتلئة بالظلام
رأيت العصـــاة
ومقر سكنى رب الظلام
رأيت المحاربين
الوالجين في الظــلام
رأيت أبواب النـــار
وهـــي تستعر وتلتهب
رأيت العصاة الأشرار
وكيف جرى اكساؤهم بأسلحة الأشرار
وحدقت بالشيطان واقفا قبالة أرض النور

إن كلمة « عصاة » هي تسمية للأشرار ظهرت كثيراً في الأدب المانوي، ومن ناحية أخرى غالبـا ما تظهر عبارات مثـل : رفـاق ، مساعدين ، مرافقين مع الاشارات للتحضير للحرب في النصوص المندعية حيث المخلص يسلح نفسه ويشد وسطه قبـل الغوص في الأعماق لمباشرة القتـال مع زعيم القوى الشريرة ، وهي سمة تكررت في الكتابات المانوية والمندعية على حد سواء ٠

الفصل السادس

التنظيم اللاهوتي والعقيدة

التنظيم اللاهوتي ـ التعميد المانوي ؟ الوليمة المقدسة والعشاء الرباني

ـ التنظيم اللاهوتي :

اتسمت الديانة البوذية بأنها ديانة رهبانية ، ذلك أن جوهر الجماعات البوذية مُشكل من مجموعة الرهبان ، فبوذا ، والعقيدة والرهبان هم الثالوث القائم عليه كل شيء بينما الأعضاء العلمانيون هم عنصر مؤيد فقط وموجود في المقام الأول لتقديم الحماية والمؤازرة للرهبان . وتختلف المتطلبات الموكولة الى الرهبان بشكل جوهري عن الأوامر المفروض على العلمانيين أن يطيعوها . إنها مسألة ذات نمطين للدين الى درجة ما ، وهذا هو السبب الذي حدا بالجهد المبذول من أجل دراسة التطور الديني الى تصنيف الديانة البوذية الى ديانة مزدوجة ، كما جرى تطبيق التعريف ذاته على المانوية ، ويجب التسليم على آية حال بأن التنظيم متطابق .

وليس من المستبعد أن يكون ماني قد قلد الديانة البوذية ، عن قصد في مظهرها التنظيمي ، وقد يكون من الأفضل أيضا أن نتحدث عن تنظيم مزدوج بدلا من أن نتكلم عن ديانة مزدوجة ؛ لأن الديانة تبقى كما هي على الرغم من أن أتباعها مقسمون الى مجموعات ، وخاضعون بالنتيجة لأنظمة منفصلة تماما ، ذلك أنه كما فصل بوذا أتباعه الى رهبان وعلمانيين ـ كذلك وزع ماني أتباعه الى « مجتبين » « وسماعين »

ولعله من الأفضل أن نقول أنه وزعهم الى « صديقين » و « سماعين » : لأنه جرى استخدام كل من هاتين التسميتين في اللغتين اللتين اعتمدهما مؤسس الديانة • ففي السريانية نجد عبارتي « صديقين »و« شاموئين » و « أردوان » و « نياشاغان » في الفارسية المتوسطة ، أما في الغرب المسيحي فاستخدمت عبارتا « المجتبين » و « السماعين » ، منفردتين أو مع الاشارة الى المصطلحين المسيحيين : Cotechumenc , Fideles

وتقيدت كل طائفة من طائفتي المؤمنين بطرق حياتية مختلفة تماما، كما كانت المتطلبات التي أوكلت الى كل منها مختلفة أيضا •

ويمكن تلخيص جميع علوم الأخلاق المانوية الموصوفة للمستجيبين لمبادىء ماني في التواقيع Signacula الثلاثة المشهورة التي يذكرها أوغسطين في الفصل العاشر من كتابه : De Maribus Manchoeorum

وهي : Signaculum oris Signaclum Mancum

وقد أشارت هذه التواقيع الى صنف كامل حيث تضمنت كلمة الحواس الخمس ، بينما تضمنت كلمة نؤوس السلوك كله ، وكلمة Sinus جميع تعابير الاثارة الجنسية Omnis. Lidido. Seminalis

وتضمن التوقيع الأول على نظافة الفكرة والكلمة ، والامتناع قبل كل شيء عن التفوه بأي شيء يمكن أن يبدو على أنه تعبير فيه تجديف على الله بالنسبة للتعاليم المانوية واحتفظت هذه الوصية في الوقت نفسه بالخير دون تحديد لكل ما يمكن التمتع به عن طريق الفم، وكانت الرغبة هي الامتناع عن أي شيء يمكن أن يقوي شهوات الجسد الحسية ، وبما أن اللحم ينشأ عن الشيطان فقد كانت هذه الوصية واجبة بشكل خاص بصدد تناوله ، ولهذا السبب تم إعداد المانوية لكي يعيشوا على الفواكه

من الحقول والبساتين وخاصة ثمار البطيخ التي كانت شاهداً على أصلهم في عالم النور بسبب لونها ونكهتها ، كما تم أيضا استحسان تناول الزيت وأما بالنسبة للشراب فقد كان عصير الفواكه هو الاختيار الأول وفرض اجتناب تناول المقادير الكبيرة من الماء ، لأنه مادة جسدية ٠

وجرى إعداد التوقيع الثاني ليحرم في المقام الأول أي عمل يمكن أن يضر بحياة النبات أو الحيوان ، فلم يسمح للمانويين القيام باجتثاث أي نبات أو قتل أي حيوان، وعلاوة ذلك اشتمل هذا التوقيع على حظر أي تصرف يعيق انتصار النور الى الحد الذي لم يكن قد شكل جزءاً من الحظرين الآخرين ، وهنالك حقيقة بارزة وهي أن أولئك الذين أذنبوا في حق هذه الوصية قد تكبدوا عقابا متناسبا مع عملهم الاجرامي وفق وجهة النظر المانوية ، فالانسان الذي حصد الحقل المزروع سيولد من جديد مثل سنبلة قمح ، وأما ذاك الذي قتل فأراً فسيكون فأراً في الحياة الآخرة ، وهكذا ٠٠

وأخيراً فرض التوقيع الثالث على المانويين امتناعا تاما عن المعاشرة الجنسية بما في ذلك التخلي عن الزواج ، فقد عدت الاثارة الجنسية شيئا شريراً لأنها شهوة جسدية ، واعتبر الانجاب أسوأ بكثير لأنه أخر إعادة تجميع ذرات النور ٠

ولم يتمكن سوى المجتبون من تنفيذ هذه الوصايا بسبب تزمتهم ، وكما أشير من قبل كان المجتبون هم الوحيدون الذين تمت تسميتهم باسم « الصديقين » ، فقد أوقفوا أنفسهم على حياة موجهة نحو فداء أرواحهم فقط ، وعملوا على اعادة توحيد ذرات النور مع عالم النور ، ومن ناحية أخرى أوكل الى « السماعين » تولي القيام بجميع أنواع الأعمال المحظورة على « المجتبين » ، وهي التي كان في الواقع من المتعذر اجتنابها بغية

المحافظة على الحياة ، وبالتالي كان من نصيب السماعين تزويد المجتبين بجميع أنواع التغذية الضرورية ٠

وترافق تناول هذه الأطعمة مع إعلان دقيق للبراءة من قبل المجتبين، ويكرر الفصل العاشر من كتاب « أعمال الأراكنة Acta Archelai الصيغة المتلوة من قبل أحدهم لدى استهلاك الخبز حيث كان يقول :

لم أحصدك ولم أطحنك ولم أعجنك

ولم أضعك في الفرن

بل فعل ذلك شخص آخر وأحضرك إلي

فأنا أتناولك دونما إثم ٠

ثم يخاطب إثر ذلك السماعي الذي أحضر الخبز إليه بقوله : « لقد صليت من أجلك » ومن ثم يغادره ٠

وتسم الملاحظة الأخيرة المجتبين بسمة الكذب على الأقل ، ومن المحتمل أن هذه الملاحظة يمكن نسبتها الى النقد المسيحي من ناحية ، ومن ناحية أخرى الى أن الشيء الممكن تصوره هو أن إعلان المجتبين بالبراءة كان ممزوجا مع التماس لمصلحة السماعين وهي نقطة طمسها عن عمد مؤلف كتاب « أعمال الأراكنة » ٠

ومن الواضح أن « السماعين » المانويين قد عاشوا حياة عائلية عادية كما تؤكد المصادر ويبدو أنه لم يتم تحريم حتى تناول اللحم بالنسبة لهم ، ومع ذلك فقد تم التقيد بصوم يوم خاص من أيام الاسبوع وهو يوم الأحد ، كما فرض عليهم الامتناع كليا عن المعشرة الجنسية في ذلك اليوم، ومن الملاحظ أنه لم يسمح للمانويين بالزواج فحسب بل سمح لهم بالاحتفاظ بخليلات إذ كان هذا الأمر أكثر قبولا لديهم، وهو أمر واضح

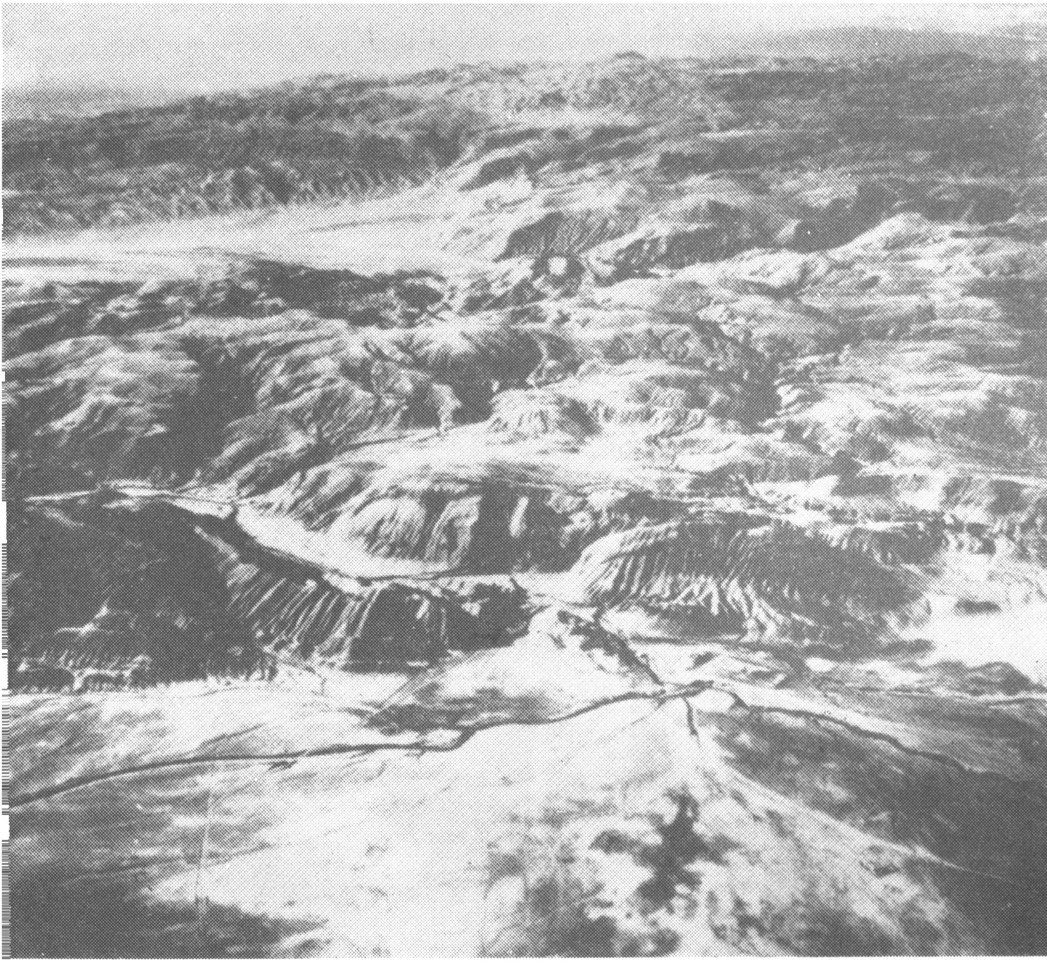

البوابـة القزوينيـة التي تفصل ميديـا عن اقليـم فارس وهي المقاطعة التي شهدت كثيراً مـن نشاطات ماني التبشيرية

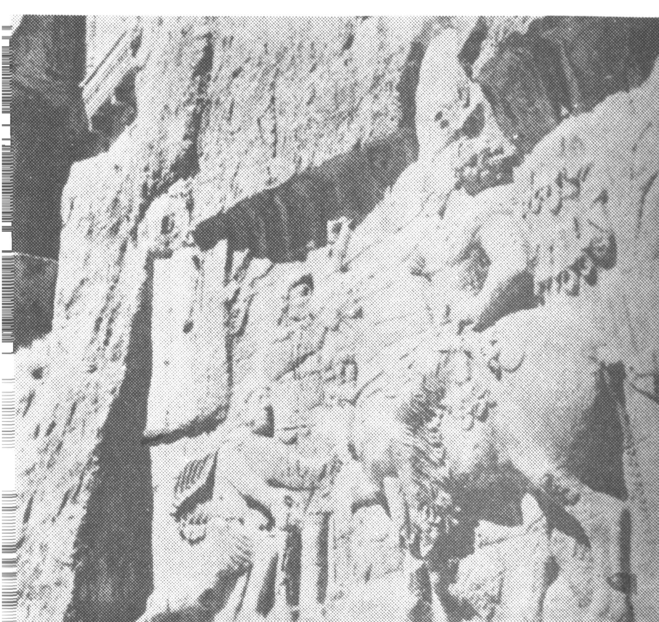

شـابور الأول مـع أسيره الامبراطور الرومـانـي فاليريان. وقد رعى شابور ماني ومنحه حرية التبشير في أراضي امبراطوريته

منمنمة ربمـا من القـرن الثامن أو التاسع تصور صفين من الرهبـان المانويـين في ثيابهم الطقوسية ، ويوجد في الوسط صورة تحوي نصا صغديا متأخرا بخط ايغوري .

الصورة الخلفية للصورة رقم /٣/ ونشهد في أعلاها مجمّوعة من الموسيقيين

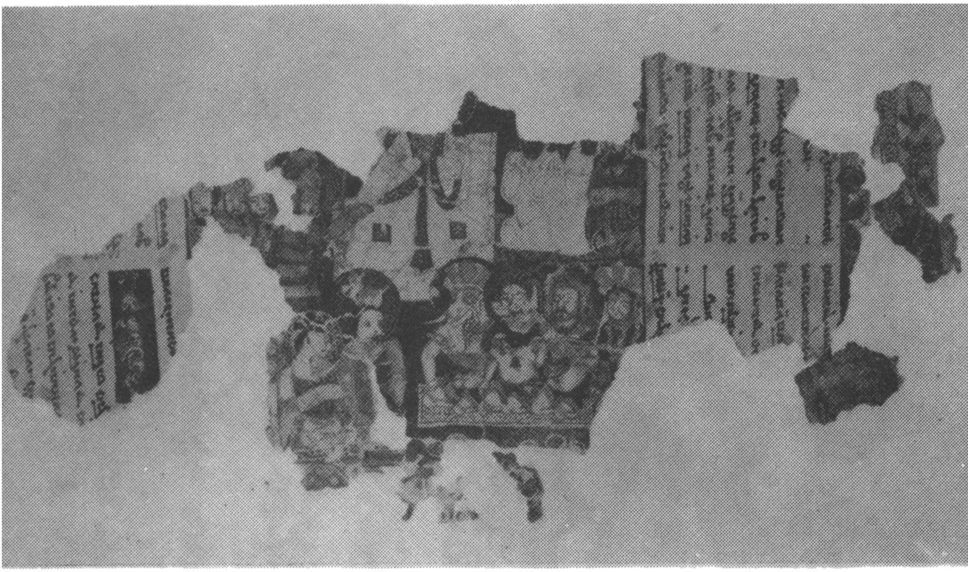

يظهر في أعلى الصورة راهب مانوي في ثوبه الطقوسي وحوله عدد من الرهبان ، وهناك في في أسفل القطعة وعلى الجانب الأيمن بالذات صورة عدد من الأرباب الهندوسية (قرن ثامن أو تاسع)

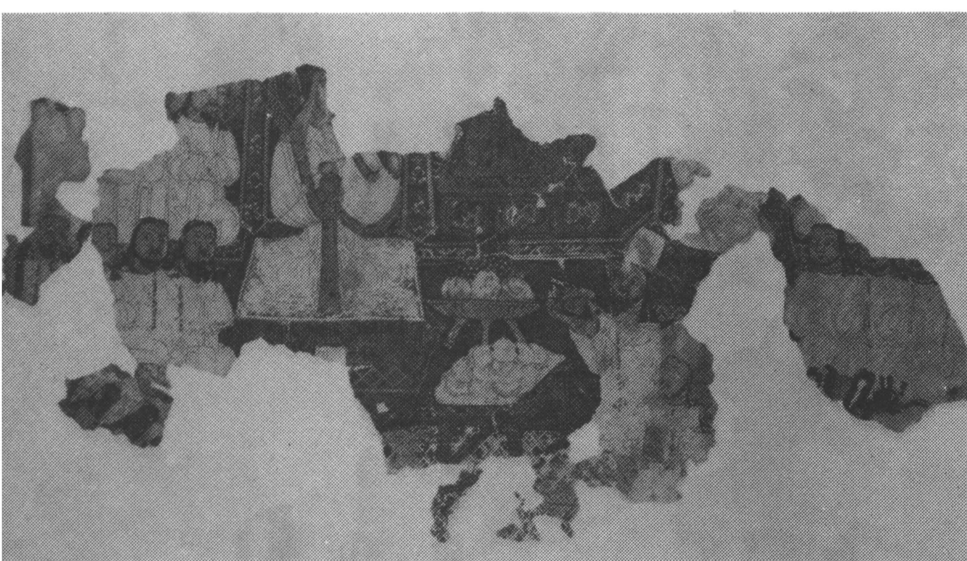

طقس في الكنيسة ، ربما هو عيد ذكرى ماني وهذا المشهد مأخوذ من صورة جاءت خلف الصورة رقم / ٥/

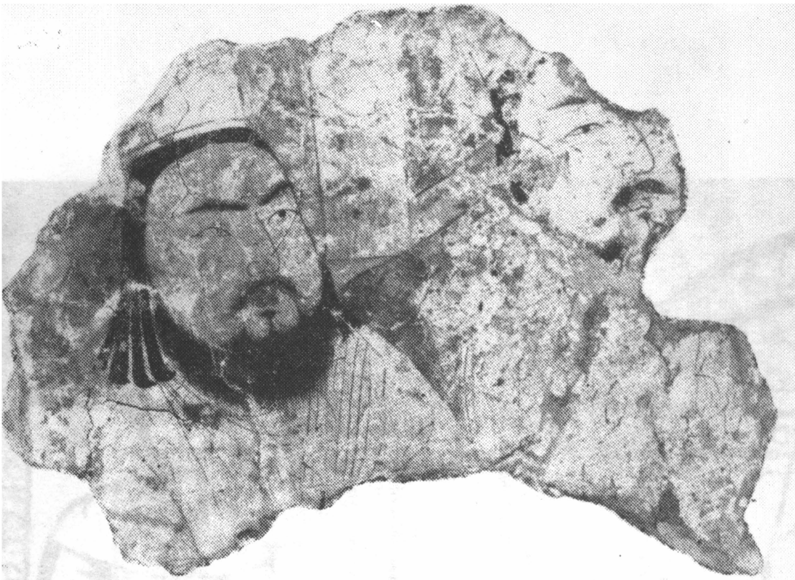

اثنان مــن المجتبين
يين من القرن الثامن
تاسع .

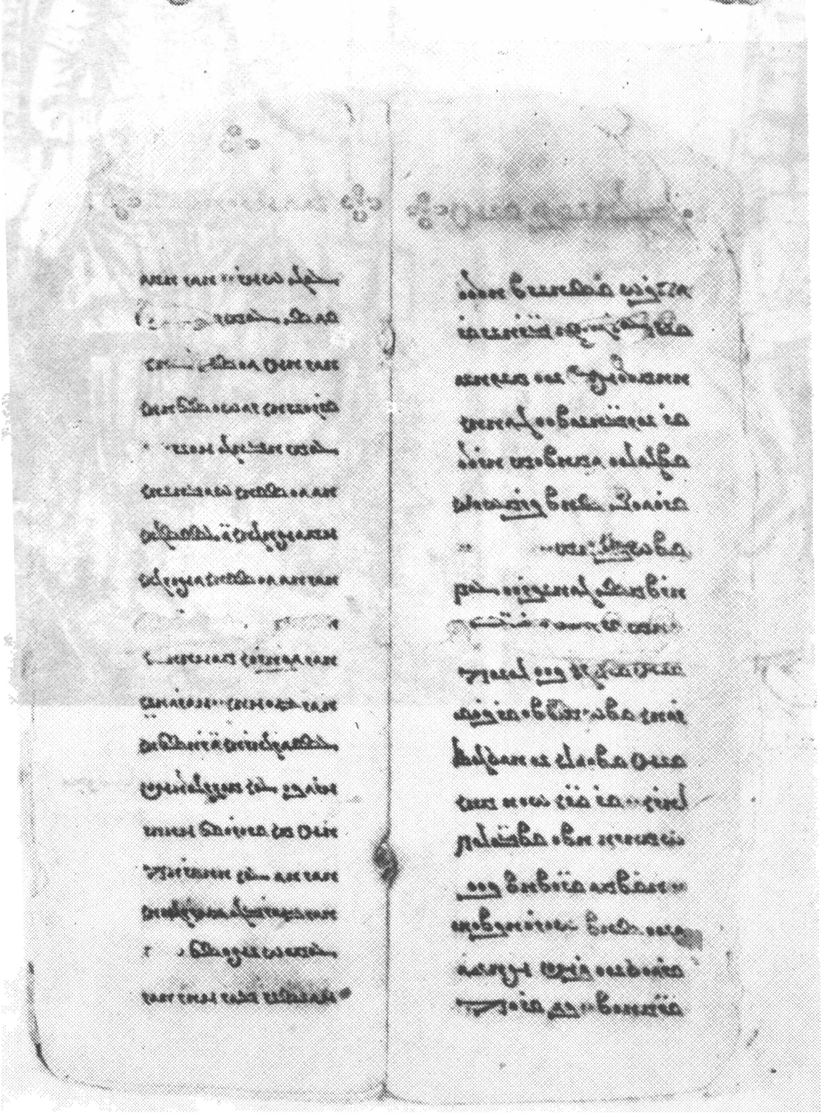

من كتاب تراتيــل
كتب نصه بالفارسية
ندية (القرن التاسع)

مجوسيان من دورا أوربوس

نص فارسـي وسيط بخط مانوي · وتـري المنمنمة أسرة من أصحاب التقدمات التفت حول أستاذها المقدس

قطعة من الحرير من القرن التاسع أو العاشر تـرى صفين من المجتبين في ثياب بيضاء

كرتير ، الراهب الزرادشتي الكبير الذي يعتقد أنه دبر سجن ماني ومن ثم وفاته

من قصة نصيرهم السابق وعدوهم اللاحق : أوغسطين الذي احتفظ بخليلة خاصة به خلال ارتباطه بالمانوية ، ثم تركها في وضع حرج قبيل فترة قصيرة من اعتناقه للديانة المسيحية ، وذلك بعدما أغرته وريثة شابة وغنية بالزواج منها •

وكان على المجتبين أن يصوموا يومين في الاسبوع ، وهما يوما : الأحد والاثنين ، لأنهما اليومان المقدسان بين أيام الاسبوع ، يضاف الى هذا أنه وجدت فترات أكثر امتداداً للصوم المستمر خاصة خلال شهر كامل قبل العيد الديني الأكبر في العام ، وهو عيد الوليمة المقدسة، ومن المحتمل أن شهر الصيام هذا قد تقدم كنمطا لصوم شهر رمضان المذكور في القرآن(*) •

ومن الطبيعي أن نجد أن المطالب الأخلاقية الصارمة قد جلبت معها لعديد من الآثام ، وجعلت بالتالي ممارسة الاعتراف والتوبة قانونا هاما ، وهذا أمر تبرهن النصوص على صحته تماما ، ولقد رأينا واستحوذنا على عدد من الصيغ الاعترافية ، وكان قانون الاعتراف والتوبة هذا ذا أهمية بالغة في الحياة الدينية للمانويين لأنه ساعد في المحافظة على نظام كهنوتي صارم •

وجرى تقسيم المجتبين الى أربع طبقات وهي(في مصطلحات الايرانية الوسيطة) هاموصاغ Hamozag أو القاضي واسباساغ Espasage أو الأسقف وما هي ستاغ Mohistag أو الكاهن وآردوان أو المجتبى ، وشكل « النياشاغان » مع « السماعين » الدرجات الخمس للمؤمنين،وكان للقاضي اثنتا عشرة درجة في الكنيسة المانوية ، كما كان هناك اثنان وسبعين أسقفا ، وثلاثمائة وستون كاهنا ، وبالطبع نجد أن الشخصيتين الأوليتين قد أخذتا من العهد الجديد،وكان جميع أعضاء الكنيسة المانوية

★ مجرد افتراض يعوزه الدليل •

تحت إشراف خليفة ماني وكان يعرف باسم « أرشغوس »، وباسم سردار في اللغة الفرثية ، وباسم سارات في اللغة الفارسية الوسيطة ·

وارتدى المجتبون مع ممثلي الدرجات العالية أثوابا بيضاء مع أغطية رأسية ، بينما احتفظ السماعون بلباسهم العادي ·

ـ التعميد المانوي ؟ :

تعرضت قلة من سمات المانوية لتفحص دقيق أكثر من الوجود المحتمل للطقوس المقدسة ، وخاصة طقوس التعميد والعشاء الرباني ، وكان بور Bour قد أشار الى صعوبة التوصل الى أية استنتاجات بخصوص هذه المسألة وتفحص بدقة الدليل المتوفر في ذلك الحين ·

وقد أكد في بداية دراسته على أن التباين كان شديداً بين «المجتبين» و « السماعين » الى حد يمكن الافتراض أن شروطا خاصة كانت موضوعة تحدد الدخول الى دائرة « المجتبين » · ويمكن أن نفترض أن الارتقاء قد أخذ شكل طقس تعميدي ، ويمكن استخلاص هذا من كتابات القديس أوغسطين خاصة كتابه De mareccles في الفصل الخامس والثلاثين حيث يتساءل

Quid calummniomim quod fideles aciam baptismate renovati procreare Filios ?

مع ذلك هذا السؤال الموجه للمانويين ليس أكثر من تمثل لطريقة التعبير المسيحية ، وأن ما قصده المانويون كان ما تعلق بالمؤمنين الذين ولدوا من جديد بواسطة التعميد ، فقد كان إنجاب الأطفال بين المانوية عملا غير موائم ، ومع ذلك لم يكن من المألوف بينهم تحقيق دخول بين المولودين من جديد بوساطة طقس تعميدي ، ويقول بور : « سيكون من الأكثر مواءمة أن نتذكر مقطعا آخر من كتاب Contra Fortunatum الذي ألفه أوغسطين ، حيث ناقش المدى الذي تطابقت فيه الممارسات

والأساليب المانوية مع الممارسات والأساليب التي أخذ بها المسيحيون ، وقد علق على ذلك قائلا :

Nan et sucharis tion audivi a vobis soepe, quod accpiatis tenpus autem accipiendi cum ne lateret, quid accipiates unde nosse potui

وهنــا لــو أن أوغسطين استشهــد بالتعميــد كطقس مسيحــي منتشر بــين المــانويــة فليس هنـــاك مــن داع الى الافتراض أنـــه كـــان مطلعا على أي انحراف بالنسبة لتطبيق التعميد عن الاستخدام المسيحي، وكذلك يتحدث المانوي السعيد في جدله مع أغسطين (في واحد من كتبه) عن التعميد والعشاء الرباني كطقوس معروفة لدى المسيحيين والمانويين على حد سواء ، حيث يقول :

Si adversarius nullus contra deumest, cet quid baptizati sunus ? ut quid euchoris tio ut quit christionitos si contra deum mihil est ?

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يبدو مقطع آخــر في كتاب آوغسطين نفسه يوحي أنه لم يوجد بالفعل أي تعميد إذ من المؤكد أنه لم يكن هناك قبول للمستجيبين ــ أي السماعين ــ في الجماعة المانوية عنطريق التعميد ويمكن أن يؤدي هذا التعليق الى استنتاج أن التعميد ببساطة لــم يكن جزءاً من الطقوس المانوية على الاطلاق والأكثر احتمالا هو أن بور محق في الاعتقاد أنه لم يكن التعميد هو المعنى الذي حدد مفهوم « السماعين » بل الاختلاف الجوهري في تنفيذهم أو عدم تنفيذهم للوصاياهم والمجتبون كل على حدة ، ومهما يكن من أمر يبدو أن التعميد قد وجد لكن آهميته كانت آقل بروزاً منها بين المسيحيين ، ولم يعتبر عملا لزم القيام بــه في مرحلة ما من الزمن من قبل كل واحد من السماعين ·

وهنالك أيضا حالة خاصة أخرى هي أنه من المحتمل أن التعميد لم يكن بالماء بين المانويين كما أعلن أوغسطين عن هذا بوضوح في الفصــل السادس والأربعين من كتابه De Haeresibus حيث قال :

Baptismum in aqua nihil cuiquam perhibent salutis afferre : nec quemquam eorcem, quos decpiunt, baptizandem putant

حيث يعلق بور قائلا : الذي يمكن بوساطة تطبيق الأخير على السماعين فقط ، وصرح أوغسطين بالطريقة نفسها في كتابه :
contra duos epistulas pelag

قائلا :
Manichaei Lavacrum regenerationis, id est, aquam ipsam, dicunt, esseuper flan, nec prodesse oliquid- prafono corde contendunt,

كما قال أيضا :
batis mem ... quod manichaei dicant in omni oetate super fluccm.

وكما يلاحظ بور تماما إن هذه المقاطع التي تتحدث عن الرفض المانوي للتعميد على أنه تطهير بالماء تترك باب الاحتمال مفتوحا على آن هذا الطقس كان له معناه لدى المانويين بشكل وأسلوب مختلفين ، وقبل بور كان قد جرى لفت الانتباه الى ملاحظة كتبها أسقف توريبيوس Turi bius جاء فيها أن المانويين قد عُمدوا بالزيت وذلك حسبما جاء في « أعمال توماس » التي قدروها كثيراً، ويبدو أنه قد تم التأكيد على هذه الاشارة بذكر المسح بالزيت في هذه الأعمال فيما يتعلق بالتعميد ، وذلك دون التحدث عن التطهر بالماء (حسب الرواية الاغريقية لهذه الأعمال) ٠

ويصل بور الى الاستنتاج التالي : لم تتعرض المانوية للنقد من قبل المسيحيين لأنهم افتقروا الى التعميد بل على العكس كان عندهم أمراً مستلزما ضمنيا ، إن هذا التعميد لم يكن تطهراً بالماء وإنما من المؤكد أنه تكون من المسح بالزيت ومسح الأيدي ، وهكذا دل التعميد المقدس على أنه طقس ديني أولي حيث جرى بوساطته التأكيد للذين تم قبولهم بين المجتبين على أنهم حُرروا من الآثام ، وهو الشرط اللازم لنيل عضوية جماعة الكمال هذه ـ أي جماعة الصديقين ٠

وهكذا تؤكد النصوص القبطية ـ التي جرى نشرها منذ عام ١٩٣٠ حول المسألة برمتها ـ رأي بور بل إنها توسعه وتصححه الى حد ما في الوقت ذاته ٠

كان التعميد بالماء مرفوضا على وجه التحديد ، كما أن بوخ puech شديد الشكوك تجاه قبول وجود طقوس مقدسة بين المانويين ، ويتبنى موقفا سلبيا واضحا إزاء المقاطع التي جرى الاستشهاد بها من قبل ، ومع ذلك فانه يعجز عن التعبير عن موقف تجاه سلسلة الآراء المادية في المزامير القبطية حيث توجد اشارات الى طقوس معينة مماثلة للتعميد فعلى سبيل المثال يعبر المتعبد [في كتاب المزامير] عن رغبته ليتم غسله بمناسبة عيد الوليمة المقدسة بقطرة ندى من بهجة ماني ، ويجرى التوسل الى يسوع ليغسل المتعبد بمياهه المقدسة ، ويصرخ المتعبد قائلا : «انظر،كاد الوقت يمضي ، هلا أستطيع العودة الى موطني » ، وتظهر الرغبة مراراً وتكراراً في أن يصبح المتعبد أهلا للدخول في غرفة النور الزفافية،ويمضي المزمور ذاته قائلا : « طهرني بمياهك يا خطيبي السماوي ، يا مخلصي »، وعند لحظة الموت سيظهر القاضي نفسه للروح بوجه مليء بالسعادة،وسيغسلها ويطهرها بندى مفيد ، وقيل في مكان آخر إن الروح سيتم تطهيرها بندى عمود المجد حتى يمكن قبولها من قبل المخلص .

وتعطي هذه النصوص الانطباع أنه سيتم تطهير الروح الصاعدة بعد الموت الى غرفة النور الزفافية بمياه المخلص المقدسة،وتستخدم كلمة « MU مو ــ أي الماء » وهي توصف أيضا على أنها تعني الندى المفيد ، ويحصل طقس التطهير هذا بالارتباط مع صعود المخلص ، ولهذا السبب إن صعود الروح والتطهير بالماء المقدس والدخول الى غرفة النور الزفافية تشكل نظاما من العلاقات المتبادلة المعقدة، وهذا يعني أن شعيرة التطهير هذه ذات فكرة ميثولوجية قد ماثلت الشعيرة التي حدثت عند موت أحد المجتبين، ويعيد هذا الى الذاكرة ما يسمى بالموت الجماعي لدى المندعيين وهو عبارة عن تعميد يقام في جماعة المصلين المندعيين للرجل الميت ، ويتطابق مع القداس الأخير، ومن المحقق أن توارد هذه الأفكار وتعاطفها

مع ما هنالك من صلة عضوية بين صعود الروح وتعميد التطهير والدخول الى الغرفة الزفافية موجود في الديانة المسيحية والغنطوسية ، والمندعية ، والمانوية ، وهي تظهر حشداً للمفاهيم التي كانت قائمة قبل الديانة المسيحية ، والتي تظهر بوضوح كبير داخل الديانة المسيحية ذاتها لدى السريان وخاصة في الكنيسة النسطورية ، وتشير حقيقة وجود هذه المفاهيم في النصوص المانوية بشكل أكيد ، الى وجود طقوس تعميدية متطابقة ، وذلك على الرغم من أن السمة الغامضة للاشارة تجعل من الصعب تكوين صورة دقيقة للطقوس كل على حدة ، وينبغي التذكر أن « الكاثاريين Cotharians (*)» في العصور الوسطى لم يمارسوا سوى تعميد الموت ، أو التطهير المسمى Consolametum (أي مسح الأيدي) وكما لوحظ من قبل يقدم بور حجة مقنعة للاعتقاد بأن التعميد كان عملا تكريسيا للمجتبين ، وذلك أنه جرى تفسير الأدلة بشكل خاطىء ، أو كان هناك نوعان للتعميد كان أحدهما للقبول في المجتبين وهو المساوي للتعميد المسيحي ، والآخر تعميد الموت أو التطهير وهو المساوي لتلقي مسح شديد بالزيت والذي لم يكن ــ إذا تكلمنا عن الطقوس ــ سوى شعيرة تعمدية عند باب الموت،وتتم الاشارة في فصل مترجم من القفالايا، وهو الفصل (١٦٤) والذي لم ينشر حتى الآن ، الى قداس من النوع الذي يزود به المريض وهو يلفظ أنفاسه ، وهو وضع متناسب تماما مع تعميد الموت أو التطهير ، لأن الفكرة هي أن الروح تزود بزاد لرحلتها الى الآخرة ، وهي فكرة شائعة على وجه العموم ، وقد ظهرت دائما الى حيز الوجود وبشكل فعال في نظام رمزي عرفاني (على سبيل المثال : في أغنية اللؤلؤة وأغاني مسيقتا Massiqta المندعية) .

★ أمة هندية اعتادت الزوجات فيها اصطحاب جثث أزواجهن الى منصة الاحراق ، واحراق أنفسهن معهم ــ المعجم الكلاسيكي .

ومن وجهة نظر طقوسية صرفة من الممكن أيضا اعتبار طقس مسح الأيدي المانوي الذي أصبح المترهبون بواسطته أبناء للكنيسة بمثابة بديل للتعميد ، ولهذا السبب يمكن التخيل تماما أن المانويين مثلوا وأكملوا تكريس « المجتبى » بدهن الأيدي بالزيت فقط ، ولم يعرفوا ـ بالتالي ـ إلا شكلا واحداً للتعميد أو التطهير ، وهو ذلك التعميد الذي كان يتم قبل الموت ٠

وفي النهاية ينبغي التبيان أنه لا يمكن إجراء تقويم مفصل الى آن تتوفر نصوص جديدة وذلك على الرغم من أن المادة الموجودة تشير بالفعل الى وجود نوع من أنواع الطقوس التعمدية ٠

ـ الوليمة المقدسة والعشاء الرباني :

إذا كانت الشكوك الجديدة قد حامت حول التعميد بين المانويين فانها لا يمكن أيضا أن توجد فيما يتعلق بالوجبة العقائدية ، ومع ذلك إذا كان لهذه الوجبة أية أهمية مقدسة بالفعل تبقى نقطة حولها شكوك كبيرة ٠

ومن الضروري أن نقول شيئا ما في البداية عن العيد الذي جرت فيه هذه الوجبة التي عرفت باسم « الوليمة المقدسة » ، وهي التي جرى الاحتفال بها في نهاية الشهر الثاني عشر ، أو نهاية شهر الصوم المانوي، وكان محور هذا العيد هو تذكر وفاة ماني مؤسس الدين والذي كان حاضراً بشكل خفي، حيث تمت في مناسبة الاحتفال إقامة سرير، من نوع مجلس القاضي ـ وهذا ما تعنيه كلمة Byua الاغريقية ـ وكان مرفوعا بخمس درجات وتمت تغطية السرير بالسجاد حتى أصبح مركزاً استقطاب اهتمام جميع الحضور ويلاحظ في هذا المقام أن المكان الفارغ،

الذي يرمز الى وجود المعلم المتوفى يجد مكانه الموائم في الديانة البوذية حيث عبرت المنصة الفارغة عـن صعود بـوذا الى سماء الآلهة الثلاثـة والثلاثين ، ولا شك أن المانويين قد تبنوا تطوير هذا العيد عن البوذيين .

وقال أوغسطين (في كتاب Contra Epist Fund 8) : إن المجتمع المانوي قد احتفل بهذا العيد معتبراً إيـاه بمثابة عيد رئيسي له ، وذلك بدلا من الاحتفال بعيد الفصح ، وذكر من قبل الاستشهاد بالمقاطع الواردة في كتـابي (Contra Fortuneitum و Denetes cun Fel) حيث نوقشـت مسألـة العشاء الرباني بين المانوية ، كما أن الافتراءات التي سـاقها أوغسطين [في كتـاب De Haeresibus] كانت حاسمة تمامـا من حيث تأكيدها في أنه كان هناك عشاء ربانيا مقدسا ، وتم التأكيد ـ أخيراً ـ في كتاب « أعمال الأراكنة » بعدما جرى تأكيد وجـود البراءة على آن « المجتبى » قد أكل الخبز الممنوح له بعد رحيل « السماع » وصلى بعدما فرغ من وجبته ، ورش رأسه بزيت الزيتون وهو يردد بقصد التعويذ العديد من الأسماء التـي كانت مجهولة بالنسبة للسماعين ، فليس من المدهش آن أوغسطين لم يكن ـ قادراً ـ كسماع ـ على تقديم آية تفاصيل بخصوص العشاء الرباني ، وذلك عنـد رؤيته آنـه قـد جرى إقصاء السماعين ومنعهم من حضور هذا العشاء المقدس .

ويمكن الافتراض في جميع هذه الأمثلة أنهم على الأرجح اهتموا فقط بالوجبة اليوميـة للمجتبين والتي تشابهت مـع القربان المسيحي المقدس ، وبما أن هذه الوجبة قد خدمت في تطهير ذرات النور المحتجزة في النباتات (بمـا في ذلك الخبز) يمكن القـول بشكل موائم أن هـذا الطقس قد تضمن بدقـة جميع العناصر الموائمـة للقربان المقدس ، وبالنتيجة حصل العشاء الرباني المانوي بالطريقة نفسها لتحرير النور .

أما بالنسبة للوجبة الطقوسية التي جرت بشكل معلن خلال الوليمة المقدسة فهي تعني أنه لا بد وقد تم ربطها بسمة مقدسة محددة ، كما أن المنمنمات المانوية هي برهان على حدث من هذا النوع ، وتعكس إحدى المنمنمات التي نشرها لاكوق Le coq مع تفسير بشكل واضح مشهداً من المناسبة ، وفيها :

تتم مشاهدة السرير المذكور آنفا في المنتصف ، يحيط به من اليمين واليسار المجتبون الجالسون في عدة صفوف ، ويمكن أن نشاهد بسهولة ثمار البطيخ بين الفاكهة الموضوعة على الحامل الثلاثي أمام السرير ، والسرير مغطى بالسجاد ، وفي الساحة المواجهة هناك طاولة مليئة بالخبز المصنع من القمح ، وأحد الكهنة راكع أمامها وهو يحمل كتابا بيديه ، وقد افترض أنه كان يشغل دور قائد الصلاة أو الترتيل ، كما أن الشخصية الرئيسة هي شخصية « الراهب الكبير » وكان جالسا الى يسار الحامل الثلاثي المملوءة بالفاكهة رافعا يده اليسري مباركا ، وهكذا يوجد هنا بالفعل تصوير للوليمة المقدسة والعشاء الرباني ٠

ومن المحتمل تصور العشاء الرباني على أنه النظير الطقوسي لموضوع آدم الميثولوجي بعد استيقاظه حينما أطعمه يسوع من شجرة الحياة، أو حسب عبارة ثيودور بارقونية « أيقظه وتركه يأكل من شجرة الحياة » ٠

لقد تم التبيان من قبل أنه تم أيضا اعتبار عناصر العشاء الرباني في الديانة المسيحية السريانية بمثابة فاكهة من شجرة الحياة ، وبناء عليه يبدو أن هناك مسوغ كاف لاعتبار هذه السمة الميثولوجية على أنها تلميح للقربان المقدس ، وبالمناسبة جرى تمجيد كل من المسيح وماني في الديانة المانوية على أساس اعتبار أنهما شجرة الحياة ، وذلك مثلما جرى اعتبار المخلّص في الديانة المندعية على أنه شجرة الحياة ٠

وإذا ما قيل بأن يسوع قد أيقظ آدم [أقيم Aqim] ثم أعطاه ليأكل من فاكهة شجرة الحياة أو بمعنى آخر تركه يتناول الطعام من العشاء الرباني لما وجب التغاضي عن أن التصريف السببي لـ « آقيم Aqim من « قوم qum » وهو فعل يقف ربما اشتمل على إشارة طقوسية لأن كلمة « أيقظ » أو « ينقذ » في لغة عبادة المندعيين والغنطوسيين المسيحيين المرقونيين(تقابلها في الاغريقية Arnpeyeir) وقد عنت ما عنته كلمة يُعمِّد (في اللغة الآرامية بعل الـ قوم Pa'el of qum) زد على هذا أن من المهم ـ تبعا للتقاليد المندعية ـ قيام هبيل ـ زيوا Hibil - Ziva بتعميد أو تطهير آدم ، المخلوق الأول حيث مسخه بالزيت ، ومنحه السرّين المقدسين « بهتا Pihta وممبوها Mambuha » وهبيل زيوا ، أو هبيل المتألق في هذا المثال هو نظير تام لعيسو ـ زيوا Iso - Ziwa ، أي يسوع المتألق ، كما أن سلوكه يتطابق تماما مع سلوك يسوع المتألق إزاء آدم في التقاليد المانوية ، ولذلك يمكن الافتراض أن ثيودور بار ـ قونية يزودنا باشارة لا تتناول الاحتفال المانوي بالعشاء الرباني فحسب بل التعميد الذي كان منتشراً بين المانوية كذلك .

الفصل السابع

الفــن المــانــوي

ماني والفن المانوي ـ الكتاب المانوي ـ الصور الزيتية ـ الأثر اللاحق للفن المانوي

ـ مانى والفــن المانوي :

تمتع ماني بطبيعة ذات نزعة جمالية ، فقد أحب الرسم والموسيقى التي نسبها أتباعه ـ كما يرى أوغسطين ـ الى أصل سماوي ، ومع ذلك فقد شغل إنجاز ماني في مجــال الرسم دوراً بــارزاً بالنسبة للأجيــال المقبلة ، وكما جرت الاشارة من قبل أرسل ماني الكتاب والرسامين مع مبشريه ، على حسب تقديره الخاص مما يستلزم من الصور الموضحــة لكتاباته أن تكمل تعليم الناس وتوضح الارشادات لهم ، وبذلك تجعل الرسالة أكثر سهولة وأقرب تناولا للفهم • وصحيح ما تم التأكيد عليه من أن ماني قد اتبع في مجال توضيح رسائله تقاليد كانت قد تطورت من قبل في الأوساط الغنطوسية ، وتزودنا المخطوطات المندعية أحيانــا ـ كما هــي الحال في ديوان أبتــور Abatur برسوم تهدف الى توضيح مشاهد وردت في النص ، ونمتلك في هذا المجال الديوان المندعي الموضح بالرسوم ، كمــا أن الكتابات القبطية من ذات النوع الغنطوسي مثــل كتب « يهوا » موضحة بالرسوم في بعض الأماكن أيضا •

ولســوء الحظ ، إن معرفتنا ضئيلة بالمنمنمات الدينية في سورية وأرمينية في العصور القديمة ، وحينما تقــع بين أيدينــا بعض الكتب المقدسة الموضحة بالرسوم نجدها تلتزم بتقاليد فنية تختلف عن تلك

التي مثلها النمط المانوي ، ويجب رؤية ماني وفنه قبالة خلفية الحضارة الفرثية ـ السورية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين في القرن الثالث بعد الميلاد ، كما أن الرسوم الجدارية في دورا ايربوس وفي القصر الجبلي « كوهي خواجا » في ايران الشرقية تعطي انطباعا مجزوءاً عن وضع اللوحات الجدارية الجصية المرسومة في العهد الفرثي المعاصر لها • ولا يوجد دليل مباشر حول المنمنمات ـ وهو التقليد الذي يجب أن يوضع ماني فيه ـ بل يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات بوساطة الاستدلال فقط ، ومن المؤكد ـ على الأقل ـ أن المدرسة الفنية التي انتسب ماني اليها تتطابق تماما مع المدرسة التي يطلق عليها البحث الحديث اسم « المدرسة الفرثية ـ القونية » •

ولقد تم الى حد ما ، نشر الأدب الهلنستي ، والهلنستي ـ اليهودي في وقته الطبيعي على شكل مخطوطات موضحة بالرسوم مفرطة بالتبذير دائما ، كما صيغت اللوحات الجدارية الجصية المدهونة نفسها على غرار المنمنمات • وبما أن يهود بلاد الرافدين كانوا كثيرين وفي حالة مزدهرة يمكن الافتراض أن المخطوطات المزودة بالرسوم التوضيحية المكلفة كانت كثيرة الانتشار بينهم ، وبالتالي اقتبس ماني ـ الى درجة معينة ـ عادة مضاعفة الكتابات الهامة وخاصة على شكل ملفات مخطوطة وكتب مخرجة بشكل فخم ، وهذه عادة أخذ بها المانويون وسكان بلاد الرافدين الذين أصبحوا هلينستيين • وليس من المؤكد فيما إذا كان المسيحيون قد تبنوا هذه العادة في هذا التاريخ ، أي في بداية القرن الثالث • ومن المحتمل أيضا ـ في ضوء تعاليم ماني الغنطوسية ـ أن الاستخدام الغنطوسي الآنف الذكر قد أثر على ماني ، وتشهد جميع المصادر الشرقية على صحة خبر أن ماني نفسه كان فنانا محترفا ، وبقي أحد أقواله الذي عنى فيه أنه اعتبر تدوينة لتعاليمه بالشكل المفهوم

والسهل عن طريق الصور مزية سما بها دينه على الأديان السابقة ، ونسمعه يقول : « وأما بالنسبة الى جميع أخواني من الرسل الذين جاؤوا من قبلي فانهم لم يدونوا حكمتهم كما دونت حكمتي ولم يرسموا حكمتهم بالصور كما رسمتها » .

وبالفعل إن ماني هذا المؤسس الديني قد نال البقاء من حيث كونه رساما في التقاليد الفارسية الجديدة ، وهنالك قصة عند المؤرخ ميرخوند Mrxond تتحدث كيف أنجز ماني عمله في كتابة « أرداهانغ Ardahang» العظيم الموضح بالرسوم ، فقد سافر ماني في تلك الأيام في مناطق الشرق باستمرار ، ووصل في يوم من الأيام الى جبل فيه كهف ، ولم يكن في هذا الكهف تيار ضروري من الهواء فحسب بل ونبع ماء أيضا ، كما لم يكن له سوى مدخل واحد أيضا ، وأحضر ماني الى الكهف زاداً من المؤن بقدر يكفيه لمدة عام دون أن يراه أحد ، ثم تكلم مع أتباعه بشكل مقنع بهذه العبارات : « سأحمل نفسي الى السماء ، وسيدوم مكوثي في القصور السماوية لمدة عام كامل ، وسأعود من السماء الى الأرض عند انتهاء الشهر الثاني عشر ، وسأجلب لكم البشائر من الرب » ثم تابع توجيه خطابه للناس قائلا : « ترقبوني بدقة وعناية في بداية العام القادم في مكان كذا وكذا على مقربة من الكهف » واختفى من بينهم مع اختتامه لهذه الموعظة ، وصعد الى الكهف ، وبقي يعمل هناك لمدة عام كامل بالرسم ، وعمل رسومات رائعة على أحد الألواح ودعا هذه الرسوم باسم « أرداهانغ ماني »Ardahang» وبعد مرور عام أظهر ماني نفسه للناس من جديد في جوار الكهف ، وكان يحمل بيده اللوح الملون برسوم رائعة والمزين بأشكال معتعددة ، وقال جميع من شاهد هذا اللوح : « رأت الدنيا آلافا من الصور أكبر من هذه لكن لم

يظهر مثل هذه اللوحة بيننا حتى الآن » قالوا هذا وقد وقفوا لا يحيرون حراكا لدهشتهم أمام اللوح ، وهنا أعلن ماني لهم قائلا : « أحضرت هذا اللوح من السماء معي حتى يكون بمثابة معجزتي النبوية » ، وبناء عليه التزموا عند ذلك بعقيدته » ٠

ويعزو مصدر شرقي ـ وهو نص تركي ـ صوراً جدارية جصية الى ماني حيث يروى وجود معبد في ذلك المكان في سيغل Cigil زخرفت جدرانه بالصور من قبل ماني نفسه ٠ هذا وقد تنافس عدد من المفكرين الشرقيين بعضهم مع بعض في التغني بمدائح ماني كرسام وفنان فلقد وصفه أبو المعالي(*) في كتاب له عن الملل والنحل بقوله : « كان هذا الرجل معلما في فن الرسم ٠٠٠٠ حتى ليحكى أنه رسم صورة على قطعة من الحرير الأبيض ، بحيث لم يبق عليها أثر ظاهر للصورة عندما سحبت خيوط القطعة واحداً بعد آخر » ٠

وروى ميرخوند (في تاريخ الساسانيين) أن ماني « كان رساما لا نظير له ، حتى أنه تمكن ـ كما قيل ـ من أن يرسم باصبعه دائرة قطرها خمسة أذرع ، ولدى تفحص هذه الدائرة لم يلاحظ وجود اي شذوذ أو انحراف في الأجزاء المستقلة من محيطها » ٠

ـ الكتاب المانوي :

يعتبر الربط الوثيق بين النص المكتوب والتوضيح المرسوم أمراً نموذجيا يدل على التقديم الدقيق الذي أعطاه المانويون لكتبهم ، وبالنسبة للتنقيط غالبا ما استخدموا نقاطا سوداء محاطة بأشكال بيضوية قرمزية وبزهور متعددة الألوان هي على العموم جميلة ، ويمكن الكشف عن المخطوطة بنظرة واحدة اليها ، وذلك بالاستناد الى

★ هو الامام الجويني ، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله [ت : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م]

علامات التنقيط هذه ، وجرت كتابة الأحرف الأولى بشكل آكبر ، وتم منحها شكلا فنيا بصورة خاصة ، حيث احتويت ضمن مجموعة من الأوراق والأزهار وأوراق النباتات ٠

وواصل المانويون اتباع هذا التقليد الخطي حسب هذه الطريقة التي أصبح الشرق مشهوراً جداً بها لكنهم لم يكونوا مثل الخطاطين المسلمين ، ذلك أنهم لم يتركوا المخطوطة تكتسب شخصية زخرفية زائدة إذ تتمازج الكتابة مع العناصر الزخرفية ، فقد بقيت الكتابة مفهومة دائما بما في ذلك العناوين ، وإن مقارنة صفحة من مخطوطة مانوية مع عينة من الكتابة الكوفية المزدهرة تُظهر هذه النقطة وتوضحها على الفور ، ومع ذلك فقد كانت هنالك أوقات بدا فيها عنوان الفصل سابقا للتطورات اللاحقة ٠

وينبغي أن أضيف أنه قد تمت كتابة المخطوطات القبطية بعناية وجمال فائقين ، لكن بقدر ما أنا مطلع لم يتم العثور على مخطوطات مصورة ولا كتب مزخرفة ٠

ولم تكن الكتب المانوية مكتوبة بعناية وموضحة بدقة فحسب بل تم اعدداها بشكل رائع وبكل طريقة ممكنة ٠ ويروي المفكر اللامع والواسع الثقافة الجاحظ المتوفي عام ٨٥٩ م أن ابراهيم بن السندي قال له في احد المرات : « وددت لو أن الزنادقة لم يكونوا ميالين كثيراً الى إنفاق نقود كثيرة على ورقة بيضاء نظيفة وعلى حبر آسود متلألىء بالاضافة الى بذل مثل هذا الجهد لاخراج خط مثل هذا الخط ، ذلك أنني لم أر ورقة قط يمكن مقارنتها مع ورقة من كتبهم ، ولا آي خط يمكن مقارنته مع الخطوط الموجودة في كتبهم »(*) ٠

★ لم يبن المؤلف اسم كتاب الجاحظ الذي نقل عنه ، وبحثت عن هذا الخبر في البيان والتبيين وبعض رسائل الجاحظ فلم أقف عليه ٠

كما تحدث أوغسطين أيضا في كتاب Contra Faustum عن المخطوطات الضخمة التي كانت تجري رؤيتها بـين المانويين ، وزادت قيمـة هـذه المخطوطات والكتب بالورقة الذهبية السميكة التي استعملت في المنمنمات التي أحاطت بالنص ٠

ونتج عن أعمال الحفر والتنقيب الأثري في آسية الوسطى في بداية هذا القرن اكتشاف كمية من المخطوطات والكتب ، ولسوء الحظ حتى هذه ليست أكثر من بقايا ضئيلة عوملت بقسوة بين محتويات المكتبات الضخمة التي وجدت فيما مضى في هذه المناطق ٠

إن الشيء الذي بقي لنا في المقام الأول هو مادة يعود تاريخها الى قبيلة الايغور التركية ، ويعود سبب بقائها الى عاملين اثنين هما منزلـة الديانة المانوية كدين رسمي بين الايغور ، ومناخ آسية الوسطى الجاف وتفسر مكانة الديانة المانوية هنالك أيضا بشكل وحجم الحواضن الفخمة والرائعة لهذه المجلدات حتى بالنسبة للمقاييس المانوية ذاتها ، ثم إن المواد الثمينةوالأجور المرتفعة التي لابد قد تمدفعها للرسامين والخطاطين تجعل من المحتمل أن يكون انتـاج الكتب والمنمنمات المانوية من بـين الفنون التي تمت ممارستها بشكل رئيسي في البلاط الملكي ، وهذا يتفق مع حقيقة أن الديانة المانوية قد سعت في كل مكان وبقدر الامكان الـى إقامة ارتباط مع طبقات المجتمع العليا ٠

وكان الايغور مطلعين على طرائق متعددة لانتاج الكتب ، وحسبما أظهرت الحفريات كانت هنالك كتب مجموعة حول محور ، ثم كان هنالك نوع من الكتاب المطوي ، وهو عبارة عن قطعة ورق طويلة ملفوفة مثـل « شقة قماش » مع وجه واحد مكتوب فقط ، وكان الكتاب الهندي « باثي Pathi » على وجـه التحديد عينة أخـرى ، وهو عبارة عن رزمة مـن

الأوراق مؤلفة من مجموعة منوعة من المواد مثل لحاء الأشجار ، وسعف النخيل ، أو الورق ، وقد تم تقطيع هذه الأوراق الى احجام متساوية ، ووضعت بين ألواح خشبية كبيرة الى حد ما ، وكان بها ثقب أو ثقبان في الجانب الأيسر ، حيث سحب من خلالهما شريط ربط المتن كله ، وأخيراً كان هناك نموذج الكتاب « الغربي » المخاط والمربوط ، ويبدو أن المانويين ، لم يستخدموا الكتاب المطوي ــ من بين هذه النماذج المتنوعة من الكتب ــ كما لم يكن هنالك سوى استخدام نادر لنوع « باثي » واستخدام أوسع انتشاراً للكتاب الملف ، واستخدام عادي لشكل الكتاب الأوربي المألوف، وأعطى المانويون في هذه الحالة أفضلية للتقليد الغربي أكثر من التقليد الشرقي ٠

وتألفت مواد الكتابة من الحرير والجلد والورق ، وجرى استخدام الجلد كرق الى بعض الحدود ، وكجلد لين مطواع أيضا ، ويبدو أنه قد تم استخدام الحرير خلال الفترات الفرثية والساسانية من التاريخ الايراني وبين الطبقات الارستقراطية فقط ، وبالنتيجة جرى إعداد الوثائق الرسمية على الحرير ، ويبدو أن أوغسطين قد تعامل بشكل رئيسي مع مخطوطات رقية في الغرب ، فهذا ما أشار اليه فقط ٠

وكان الورق مصنوعا من Broussonetia وهو عشب صيني ، ونادراً ما صنع من القنب ، ومن الواضح أنه لم يكن مصنوعا من القطن في ذلك الحين ، ويفترض أن إنتاج الورق على نطاق واسع كان ضروريا للدعاية البوذية في إيران الشرقية وآسيا الوسطى ، وعلاوة على ذلك من المعتقد أن الصغد كانوا أول من أنتج الورق بكميات كبيرة في كل من بلاد الصغد وتركستان الشرقية ٠

ويمكن إرجاع تاريخ بعض بقايا الكتب المانوية الى القرنين السادس أو السابع ، ويجب تصنيف معظم المكتشفات على أنها تنتمي الى القرنين

الثامن أو التاسع ، ولهذا السبب لم تتوفر أي نسخ أصلية بخط ماني ، لكن يبدو أنه تم نقل أقوال المعلم بعناية فائقة ٠

وعلى العموم تمت الكتابة بحبر هندي ، أو حبر أسود لا بد وأنه كان ذا نوعية ممتازة لمقاومة رطوبة وماء القرون ، كما تم استخدام أقلام القصب والفرشاة كأدوات للكتابة ، واستخدمت الفرشاة بشكل خاص بين الايغور والصغد ٠

وتم تنظيم النصوص بعناية مثلى أيضا ، فقد جعل النص يشغل جميع ورق الكتاب أو تم تقسيمه الى عمودين أو أكثر ٠

ولربما تمت كتابة العنوان بألوان صارخة على جانبي البحث أو الرسالة ، وجرى إبقاء الورود والأزهار المحيطة به باللون نفسه ، لكن تم تفريقها بالنقاط والفواصل من لون مغاير ٠

وتم الاحتفاظ بامكانية مفتوحة لتجنب الرتابة في سطح النص المكتوب ، وذلك بالسماح بتقديم خطوط ذات لون مختلف ، حيث كان اللون القرمزي بين الخطوط السوداء هو المستخدم بشكل عام ، وكانت هنالك صفحات مخطوطة متعددة الألوان تماما ، حيث وزع عليها اثنا عشر سطراً للكتابة بين عمودين يتألف كل منهما من ستة أسطر مع ألوان منسجمة بشكل نظامي ٠

وكان تجليد الكتاب على غرار النموذج الأوربي مسألة مكلفة في أحيان كثيرة ، وكان ممكنا ترصيع الجوانب بالعاج أو تغطيتها بجلد أو رق مزخرف ، وصنع الغلاف من ورق مقوى ومغطى برقاقة ذهبية ، وموضوع داخل قوقعة سلحفاة ٠

وعلى الرغم من أن ما يسمى بكتاب « إنجيل رابولا Rabbula الذي يعود تاريخه الى عام ٥٨٦ م يعتبر مثالا بارزاً بزخرفته الوفيرة فان الكتب المانوية قد فاقت عموما الكتب المسيحية المعاصرة ثم الاسلامية في ذلك المجال ٠

ـ الصور الزيتية :

تعد الصور الزيتية التي أعيد اكتشافها في آحد الكهوف ذات أهمية كبيرة أيضا ، ومن بين هذه الصور صورة زيتية جرى رسمها في آحد الكهوف في « بازاكليك Bazaklik » حيث تعرض شجرة لها ثلاثة جذوع تنزل جذورها الى حوض دائري صغير ، كما تعرض الصورة شخصيات ايغورية لا يمكن تمييزها إلا بشق النفس ، كما أن جميع الجذوع مقسمة لتسمح بخروج فرعين متشعبين ، وللشجرة آوراق كبيرة مرسومة بشكل غير فني ، إن التركيب بأكمله مع استخدامه المقتصد للتلوين الرمادي والبني مفعم بالبهجة والحيوية بواسطة الأزهار الكبيرة جداً وذات اللون البرتقالي على شكل أطباق مدورة ، وتتدلى ثلاثة عناقيد ضخمة من العنب على جوانب الشجرة ٠

إن المظهر المميز لهذه الشجرةمعأوراقها وأزهارها الضخمة وآعنابها الكبيرة الوزن مُذكر ـ كما تم التأكيد على ذلك بدقة ـ بالشجرة المقدسة المرسومة بالمنمنمات المانوية،وتقوم هذه لوحدها بعرضها أزهاراً غريبة، وأعنابا كبيرة تأتي بمثابة جزء من الشجرة المقدسة، مع أن شكلها الفريد ظاهر في الفن البوذي ، ومن المحتمل أن الفنانين المانويين قد آخذوا موضوعهم منه ٠

وترسم صور أخرى أكثر إمتاعا في مادة موضوعها المجتبين كما نظر

اليهم في آسية الوسطى ، ويجب بهذا الخصوص أن نذكر بشكل رئيسي صورة [فريسكو] جصية كبيرة من تشوتسكو Chotscho حيث تعرض كاهنا نبيلا بخوذة مميزة من الواضح إنها كانت موائمة للمجتبى، ويتم تطويق الرأس بهالة يشكلها قرص الشمس والقمر على شكل هلال موضوع حولها ، وبما أن ماني كان مبجلا بين الايغور بوصفه « كون – أي – تنجري Kun - ai - tangri » أي إله القمر والشمس فمن المؤكد أنه هو المرسوم على الرغم من أنه معروض على شكل آسيوي شرقي وليس ايرانيا وذلك تمشيا مع عرف ساذج ، كما أن الصور الباقية أصغر بكثير في الحجم ، ومعبرة داخل اطار هذا التقليد الفني ، على أنها أقل أهمية من الصورة الأكبر ، ويقصدون من وضعها في صفوف متتالية أن تكون بديلا للمشهد ، ولتشير الى أن الصف الأدنى هو الأقرب للمشاهد ، ثم الثاني ، ثم الثالث •

ومثل ذلك ، فان صورة رأسين لاثنين من المجتبين من تشوتسكو تتغاير مع النموذج الشرقي للسمات العرقية الآسيوية المعطاة لماني ، فرأسيهما من غير ريب رأسان أسيويان غربيان •

إن الأسلوب والطريقة التمثيلية للمنمنمات منسجمان مع لوحات [الفريسكو] الجصية الجدارية ، ولذا بامكان لي كوق Le coq أن يؤكد قائلا :

« إن لوحات الفريسكو هي ببساطة تامة عبارة عن منمنمات مكبرة، أو أن المنمنمات هي لوحات فريسكو مصغرة » وكما أشير من قبل إن صنع لوحات الفريسكو في المجالات اليهودية والهلنستية قد اتخذ المنمنمة نمطا له ، وأن هذا يمكن أن ينطبق بصورة متساوية على الفن المانوي •

ـ الأثر اللاحق للفن المانوي :

بامكان رسم المنمنمات الاسلامية آن يعرض آمثلة ستظهر على آنها ترسم مواضيع مسيحية صرفة ، وكما يمكن للمرآ آن يعتقد هنالك مثال يصور آدم وحواء في جنات الفردوس ، وتبعا لذلك سيبدو الرب وهـو يتجاذب أطراف الحديث معهما هناك ، ومع ذلك ، لا تحتوي المخطوطة التـي زينت بالمنمنمة على أيـة قصة مأخوذة من الديانتين اليهودية أو المسيحية ، إنما يلاحظ أن المنمنمة تلقي الضوء بوضوح على الاسطورة الزرادشتية عن الزوج البشري وهمـا : مشيـك Masyak ومشيانك Masyanak اللذان عاشا بسعادة لمدة خمسين عاما بدون طعام آو شراب ، ثم ظهر أهرمان لهما على هيئة رجل مسن جليل ، وآقنعهما ليأكلا من الثمارعلى الأشجار الى درجة آنه ضرب لهما مثلا إذ تحول الى شاب جميل عندما أكل ، ولم توجد مثل هذه الأسطورة في الديانة المسيحية آبدآ ، وإذا ما ألقينا نظرة دقيقة على المنمنمة أمكننا آن نرى آهرمان وهو يمسك رمانة ، بينما هنالك تفاحة عادية مع حـواء ،ويوحي الأسلوب الصيني الصرف للخلفية الطبيعية بأصـل شرقي للموضوع الايقوني • وكما أنه من المحال تماما بالنسبة لهذه المنمنمة آن تكون قد نشأت من فن مسيحي ، فمن المحال أيضا آن تكون قـد قامت علـى آساس تعاليم اسلامية ؛ لأن هذا متغيب هنا أيضا •

وهناك صورة أخرى ذات موضوع مسيحي لكنها تفتقر الى المعالجة المسيحية، وهي منمنمة تعالج موضوع تعميد المسيح، فالناس المعروضين في الصورة هـم من أواسط آسيـة ، فالحذاء الضخم مشابه لما وجـد في تركستان ، وتبدو الحمامة التي ترفرف فوق المنظر وكأنها من النحاس الأصفر ، ولا يوجد لدى الفن الاسلامي آو المسيحي نمط آساسي لهذا

العرض ، والشيء الملحوظ أيضا أن يسوع لا يخضع للتعميد وهو عار كما الحال في الفن ـ المسيحي ، لكن بما أن ليسوع ـ كما تمت رؤية ذلك ـ مكانا خاصا في النظام المانوي فلا بد وآن فنانيه قد طوروا تقليدهم الخاص عندما تحتم عليهم اعادة انتاج أحداث حياته كفرد كما جرت روايتها في الأناجيل ، وذلك ما يجعل من المحتمل وجود الطابع المانوي على هذه الصورة ٠ ويؤيد السير توماس آرنولد هذا الرأي أيضا وقد تكررت نظرياته هنا ، ويقدم أمثلة أخرى عن مواضيع إيقونية وصور تتلقى اهتماما فنيا ، وذلك بالاضافة الى بعض الزخارف التي تم نقلها من منمنمات مانوية الى منمنمات اسلامية ، ويجهد بشكل خاص في عرض قضيته ليؤكد أن الفن الاسلامي لم يكن له أية تقاليد خاصة به يعمتد عليها بخصوص المعالجة الفنية ، لذلك لزم على الفنانين المسلمين البحث عن المساندة في الفن السوري البيزنطي ، آي : المسيحي ، أو في الفن المانوي٠ ويواصل السيرتوماس قوله : إنها حالة تدل على أنه يجب البحث عن أصل المنمنمات الاسلامية ذات المواضيع المرتبطة بالعهدين القديم والحديث خارج الفن المسيحي ، وذلك عندما تكون معالجة المواضيع غريبة جداً عن التقاليد المسيحية ، حيث ينبغي افتراض وجود نقل بوساطة الديانة المانوية ، ولا شك أن الفن المانوي قد ساهم بدوره في تطويل استمرارالتقاليد الفنية الفرثية ـ الساسانيةفيالفن الاسلامي٠

الفصل الثامن

انتشار الديانـة المانويـة

في الغرب ـ الجدل بين المسيحيين والمانويين ٠ في الشرق ـ النجاحات الاخيرة وتدهور الديانـة المانويـة

ـ في الغـرب :

وصلت الديانة المانوية الى منطقة الأردن ليس بعد نهاية حياة ماني وتتحدث احدى الروايات عن أحداث سنة ٢٧٤ م أن رجلا بارعا كان يدعـى أكيوس Accus قد أحضر التعاليم المانويـة من بلاد الرافدين الى Eleutheropolis ، وتؤكد الرواية ذاتها أن ماني أرسل الحواريين الى القدس لشراء كتب مسيحية تم دمج بعضها في مصنفاته الخاصة بعد شيء من التكييف ، وتضيف أن حواري ماني الذي كـان يسمى توماس قـد بشر بالانجيل المانوي في الضفة الغربية ، ولدينا معلومات تفيد أيضا أن اثنيين من حواريي ماني وهما : توماس وهيمياس قد جرى ارسالهما على التعاقب الى سورية ومصر ٠ ومن المفترض أن توماس قد ذهب الى مصر أيضا في وقت لاحق ٠

ومن المقدر أن الديانة المانوية قد انتشرت بالفعل في مصر قبل عام ٢٦١م حيث كانت البعثة التبشيرية الأولى بقيـادة الأسقف آدا Adda الذي كان مزوداً بكميات وافـرة من الأدب المروج للدعوة ٠ وجـاء في ملاحظة كتبها الفيلسوف الاسكندر الليكوبولي ما يفيد أن المانوي الأول الذي وصل الى عندنا اسمه بابوس ، وعاش بيننا ، ثم جاء بعده توماس،

كما لحقه آخرون فيما بعد ، ويمكن الافتراض بوجود عدد كبير من المانويين كانوا يسكنون في مصر بحلول عام /٣٠٠م ، وهو التاريخ الذي كتب الاسكندر فيه رسالته ضد المانوية ، وإلا اعتبرت مقالته عملا لا موجب له آنذاك ٠

ومن مصر انتشرت الديانة المانوية الى آفريقيا والى اسبانيا ، كما انتشرت من سورية عبر آسيا الى اليونان ، واليريا ، وايطاليا ، وغاليا ، ولربما تغلغلت من الشمال ومن الجنوب ، ومنذ البدء كان على الديانة المانوية أن تأخذ بعين الاعتبار في هذه الأجزاء الغربية المعارضة الشديدة ليس من قبل الكنيسة المسيحية التي رأت فيها منافسا خطيراً لها فحسب بل وبشكل متساو أيضا من قبل السلطة التنفيذية الرومانية حيث كان مبشرو الديانة المانوية يبشرون بتعاليمهم داخل حدود الامبراطورية الرومانية ، ففي سنة ٢٩٧م نشر الامبراطور ديقلشيان مرسومه المشهور ضد المانوية ، ووجهه الى جوليان نائب القنصل الافريقي ، وجاء في هذا المرسوم : « إن الامبراطور أصبح مدركا أن المانويين قد اقتحموا في الآونة الأخيرة الأراضي الرومانية كالوباء الشديد المفاجيء ، وجاؤوا من بين الفرس الأعداء، واقترفوا العديد من الجرائم، وكانوا يستفزون الجماعات المسالمة ، وهناك مسوغ للخوف منهم ، لأنهم ـ بسبب عاداتهم الهمجية وتقاليدهم الفارسية المسعورة كانوا من الممكن أن يلوثوا الناس ذوي الطبيعة الساذجة ويزودوهم بالسم المهلك ، ويعني هذا تسميم الأناس الرومانيين الهادئين ، والعالم بأسره فمليا ، مما استدعى الى اتخاذ اجراءات من أشد الأنواع صرامة : وجوب إحراق الرسائل مع مؤلفيها وزعماء الفتنة ، وأن يجري قتل أتباعهم ومصادرة ممتلكاتهم ، أما بالنسبة لجميع الأشخاص ذوي المناصب العالية في المجتمع ، والذين التزموا جانب هذه الطائفة الشائنة ، أو استسلموا للعقيدة الفارسية ، فقد حكم عليهم بالعمل الاجباري في المناجم ، وأن تصادر ممتلكاتهم ٠

إن موقف ديقلشيان واضح إزاء الديانة المانوية في ضوء عدائه العسكري ـ السياسي لايران الساسانية بسبب حروبه مع نرسيس الساساني ، ولاعتقاده أنه كان يتعامل هنا [في امبراطوريته] مع طائفة ايرانية ، ومع ذلك فمن الممتع أن السمة الايرانية لنظام ماني قد فهمها الجانب الروماني بوضوح ، وبالفعل اعتبرت الديانة المانوية في الغرب دائما بمثابة ديانة تنتمي الى الشعب الفارسي المعادي للرومان ، كما عبر عن ذلك الامبراطور ديقلشيان بقوله إنها «ذات أصل معاد »وبالتالي وفّى أصل المانوية بالغرض في جعل هذه الديانة الجديدة خطراً على الأمن الامبراطوري ، والشيء الوحيد المدهش والغريب هو آن عقاب الامبراطور القاسي قام على أساس « إغواء» أو سحر المانوية .

وهنالك حالة خاصة تتطلب الذكر بهذا الخصوص ، فقد شهد عام ٢٩٧ م مصر تثور ضد روما ، ويمكن التصور تماما آن المانويين كانوا المحرضين عن طريق استغلالهم الأحوال الاقتصادية السيئة ، ومن المحتمل أن عملهم هذا اشتمل على تواطؤ مع الامبراطور الساساني نرسيس العظيم الذي كان قد استلم زمام الحكم مؤخراً على الرغم من حقيقة أن نرسيس معروف في المعتقدات المانوية على أنه المضطهد الرهيب للعقيدة، وبالمقابل نجد أن الأمير العربي عمرو بن عدي الذي كان حاكما للحيرة من حوالي عام ٢٧٠ وحتى ٣٠٠ قد كان مدافعا عن المانوية وواحداً منهم وقد ذكر أن إينايوس كان مبعوثه الى نرسيس ، هذا وإن مشاركة المانويين الفعالة في الثورة المصرية تعني أن مصالحة قد حدثت بين نرسيس وإخوته في الدين في الدولة الساسانية ، فهل كان الحاكم عمرو هو الوسيط ؟ وهل كان ثمنها الدعاية التحريضية للمانويين في مصر ؟ إن هذين سؤالين ليس لهما جواب ! .

ومع ذلك كانت المعارضة التي واجهتها الديانة من الكنيسة

المسيحية عنيفة أيضا ، وكان قد فرض على السلطات المسيحية أن تلتزم في البدء باستخدام أسلحة روحية غير أن هذا لم يجعل القتال أقل مرارة، واستخدمت جميع الوسائل الممكن تخيلها في هذا السبيل ·

وتقوم معرفتنا حول القصة الخاصة للنشاط التبشيري المانوي في الغرب على الوصف الذي كتبه خصوم المانوية ، وهو يكفي تماما لبيان الطريقة التي تمت بموجبها معالجة مسألة التداخل بين العقيدتين المختلفتين ·

ويمكن أن ينظر الى مثال من فلسطين عام ٣٧٥ م ، وهو تاريخ مرحلة تلت مباشرة إخفاق أعمال جوليان المرتد المعادية للمسيحية،وذلك عندما تمتعت الديانة المسيحية لذلك السبب بالذات بمكانة رسمية ـ إذا جاز التعبير ـ متينة ، وقدم المثال الشاهد ماركوس دياكونوس Marcus Diaconus ، الذي أوضح أثناء ترجمته لحياة بورفيروس Porphyrius الغزي المقدس كيف أن المانويين بحثوا عن المهتدين الى ديانتهم فقال :« أتت في هذا التاريخ تقريبا امرأة من أنطاكية كان اسمها جوليا ، كانت تنتمي للبدعة البغيضة المسماة المانوية ، أتت لتعيش في المدينة ، وبما أنها كانت تعتقد أن القليلين كانوا ممتلئين بالنور السماوي الخافت ، وليسوا متمكنين في العقيدة المقدسة ، فعملت بسرية وأفسدتهم بعدما سحرتهم بتعاليمها وبرشوتها لهم على نطاق واسع ، وبما أنها كانت قد قدمت هذه البدعة الملحدة لم تكن قادرة على كسب الأتباع لها إلا عن طريق الرشوة ، حيث يرى الجميع الذين لديهم احساس سليم أن تعاليمها محشوة بجميع أنواع التجديف واللعن وحكايات النساء العجائز الخالية من العقل والمنطق السليم ، وبهذه الحكايات استهدفت ايقاع النساء والرجال الحمقى في الشرك ، فقد جمع المانويون هذه العقيدة الشريرة من بين البدع والأفكار المختلفة

بين الاغريق ، وهم يتشوقون الى كسب جميع الناس الى جانبهم بوساطة الحقد والمراوغة ، ويقولون ارضاء للاغريق بوجود العديد من الآلهة ، ويقبلون في الوقت نفسه بصورة البروج ، وقرارات القضاء ، ومعرفة النجوم ويرتكبون الاثم دون خوف معتقدين أن ارتكاب الآثام لا يجزى بناء على ما استقر فينا بل بحتمية القضاء والقدر ٠

ويعترفون بالمسيح أيضا ؛ لأنهم يقولون أنه كان انسانا في الظاهر، وهم أنفسهم يُسمَّون باسم مسيحيين في المظهر الخارجي ٠

وكما قيل من قبل ، عندما أتت تلك المرأة الخبيثة الى المدينة ضللت تعليماتها المخادعة بعض الأشخاص ، وعندما أخبر بعض المؤمنين بورفيروس المقدس عن أمر تلك المرأة أرسل في طلبها بعد بضعة أيام واستجوبها سائلا إياها : من كانت وما هي عقيدتها ، وقامت بتسمية بلادها ، وذكرت أنها كانت من المانوية ، وعندما غضب الذين كانوا معه ــ وهم من الرجال الأتقياء ــ توسل اليهم ليكبحوا سخطهم ، وشرع ينصح المرأة ، وكان لمرة أو مرتين متمسكا بكلمات الرسول المقدس ــ كما في الفصل الثالث والمقطع العاشر من كتاب تيتوس ــ ثم قال للمرأة : « كفي يا أختاه عن الأخذ بهذه العقيدة الشريرة لأنها من الشيطان » ، لكنها أجابته قائلة : « تكلم وأصغي ، وأقنع أو أقتنع » وعندها قال الرجل المقدس : « أعدي نفسك للغد ، ثم تعالي الى هنا ثانية » وبناء عليه استأذنت وانصرفت ٠

وأعد الرجل المقدس نفسه لليوم التالي بعد أن صام وتوسل كثيراً الى المسيح لكي يخزي الشيطان ، واستدعى عدداً من الأتقياء من الكهنة والأشخاص العاديين ومن العلمانين أيضا ليستمعوا الى المناظرة بينه وبين المرأة ٠

وفي اليوم التالي ظهرت المرأة وبرفقتها رجلان وامرآتان ، وكانوا صغار السن ، وأنيقين بشكل يلفت الانتباه ، وكانت وجوههم شاحبة ، وبدت جوليا وقد تكدست السنون عليها ، وكان سلوك جماعتها وسيماء أفرادها معتدلة ، وكانوا كما قيل من قبل كالنعاج في الظاهر من شدة تواضعهم ، وكالذئاب الضارية من الداخل من شـدة مكرهم ، إنهم لم يكونوا ذئابا فقط بل كانوا وحوشا حقودة يطبع النفاق جميع أعمالهم وأفعالهم ؛ وتحداهم الرجـل المقدس ليعلنوا عن عقيدتهم ، حـاملا الكتابات المقدسة بيده ، بعد أن رسم اشارة الصليب على فمه ، وبدأوا يتكلمون، وقام الأخ كورنيليوس Cornelius الذي كان ماهراً في الاختزال وفق طريقة اينوموس Ennomus ، وتنفيـذاً لوصية الأسقف المبجل ، وبمساعدة مني ومن الأخ باروخاس Barochas ، قام بتدوين كل ما تم قولـه ومناقشته » .

ولسـوء الحظ أخفق ماركوس في اعـادة عرض قضـايا العقيدة المانوية ، وكانت حجته أن هـذه القضايا كانت طويلة جـداً ، ويمكن الافتراض ، مثل معظم المؤرخين المسيحيين ، أن الحذف كان مقصوداً خشية أن تتمكن الأفكار المضاعفة من أن تفتن القراء ، وبدلا عن ذلك فقد أكمل ماركوس قصته كالتالي : « وعندما قالوا خلال أربع ساعات العديد من الأشيـاء الباطلة وتفوهوا بالتجديف على رب الكون ثـار بورفيروس المقدس بانفعال سماوي عندما سمع التجديف على الله الذي يدرك الأشيـاء جميعا ، الظاهر منها والباطن من قبـل امرأة استحوذ عليها الشيطان ، واستسلمت له فنطق بحكمه عليها بهذه الكلمات :

إن الله الذي خلق كل شيء .
والذي هو وحده السرمدي
والذي ليس له بداية ولا نهاية
والممجـد في الثالوث

سيستأصل لسانك

ويختم على فمـك

حتى لا تتفوهي بأمورك الشريرة ·

وتبع العقاب اصدار الحكم فأخذت جوليا ترتجف ، وبدأت معالم وجهها تتغير ، ولم تتكلم لبرهة قصيرة وكأنها في غيبوبة، وجرى حرمانها من الكلام والحركة ، وجحظت عيناها ، وحدقت بالأسقف المقدس · أما الذين كانوا معها ، وشاهدوا ما عانت منـه فقد كانوا آكثر رعبـا ، وحاولوا إيقاظ روحها ، ورتلوا الدعاء في أذنها ، لكنها لم تسمع ولم تتكلم · وبعدما غدت بكماء لبعض الوقت أسلمت الروح ، ورحلت الى الظلام الذي أجلَّته واعتبرته نوراً، وأمر الأسقف بورفيروس باعداد قبر لائق بالمرأة ، ويقول ماركوس : « إنه كان الوحيد الناظر بعين العطف اليهـا » ·

ثم جـاء دور أولئك الذين رافقـوا جوليـا ، فاعترفوا باثمهم ، وتذهب الرواية الى أن الرجل المقدس قبل اعترافهم بعدما لعنوا ماني جميعا ، وماني هو ذلك الانسان الذي أوجد بدعتهم ، والذين تبعا له سموا بالمانويين ، واستقبلهم في الكنيسة المقدسة ، بعدما لقنهم تعاليمه خلال عدة أيام » ·

ـ الجدل بين المسيحيين والمانويين :

ويزداد الانطباع قوة حول الأحوال الصعبة التي سارت فيها دعاية الديانة المانويـة ، وذلك عندما يوجـه الانتباه الى الأيـام التي كانت الكنيسة المسيحية قد كسبت فيها الدولة الرومانية الى جانبها تماما ، وأصبحت الديانة المسيحية الدين الوحيد المعترف به رسميا ، وبالطبع كانت حلقات الجدل التـي أقامها المسيحيون مـع المانويين في مناسبات

مختلفة لا تشبه حلقة الجدل بين جوليا سيئة الحظ وبورفيروس المقدس، ولربما كان الضغط أكبر • وبالفعل إن المصادمات في آفريقيا بين ممثلي العقيدة المانوية وبين أوغسطين أسف هبو وهو متحول حديث من الديانة المانوية الى الديانة المسيحية كانت عنيفة جداً ، وبهذا الصدد إن مناقشاته مع كل من المانويين : فيلكس وفورتينوس تستحق انتباها خاصا • ويجب التسليم بأن الأوضاع التي وجد مؤيدو وجهة النظر المانوية أنفسهم فيها خلال هذه المناقشات العامة لم تكن ضالة سهلة ، فقد كانوا يدافعون عن ديانة ادعت أنها الديانة المسيحية الحقيقية في حين كانت تفتقر الى أية فحوى مسيحية بخصوص نظام العبادة والعقيدة • وبالطبع فقد كان الأمر مسألة سهلة نسبيا بالنسبة للمسيحيين لمقاومة هذا النزاع الشديد ، وإن الاقدام على سرد تفاصيل جميع المسائل المتداولة سيستغرق وقتا طويلا ، غير أننا نستطيع الاقتراب نحو أكثر من واحدة أو اثنتين من المسائل الرئيسة ، والطريقة الأسهل هي تفحص الرأي الشخصي للخصم الكبير للمانوية •

ويسأل المرء نفسه قائلا : « ما الذي كان في الديانة المانوية حتى استأثرت باهتمام أوغسطين ، فجعلته ـ بعد ما كسبته ـ يأخذ بمبادئها ؟ وسيكون خطأ فادحا إذا ما تخيلنا أن هذا الشيء كان القوة المؤكدة لوجهة النظر الثنوية ، وعلى العكس من ذلك وحسب شهادة آوغسطين نفسه فان الشيء الذي فتنه كان مقدرة الديانة المانوية الظاهرة بالايحاء بتفسير كوني كامل محاولة أن تقدم في المنزلة الأولى تفسيراً معقولا لجميع الظواهر • إن هذا التزامن بين الديانة والمعرفة وهذه التعليلات العقائدية قد كان قبل كل شيء ما أثر على الخطيب الأفريقي الشاب واستحوذ عليه ، فقد قال هو نفسه : « إن تأكيدهم على أنهم قادرون على ازالة السلطة المخيفة ، وعلى أن يقودوا بالمنطق السهل والرائع جميع الذين سيصغون اليهم الى الله ، وأن يخلصوهم من جميع الآثام ،

لقد كان هذا هو ما قــاده للوقوع ضحية لمثل هؤلاء الناس » ثم تساءل قائلا : « ما هو المحرض الآخــر الذي استطاع أن يغريــه خلال سنواته التسع الأول ليحتقر العقيدة التي علمه إياها آبواه في طفولته ، وليلازم هــؤلاء الناس ويطيعهم بحماس مالم يكن الاعتقاد أن المسيحيين كــان يسيطر عليهم اعتقاد خاطىء ، وأنه قد جرى فرض الدين قبل العقل عليهم ، بينما هم أنفسهم لم يقبلوا أي بند من العقيدة إلا بعدما جرت مناقشته وإظهار صحته » ٠

وأكد في مقطع آخر أن المانويين وعدوا أولئك الذين حثــوا على تقديم اجابات الى المسائل الأكثر غموضا ، وانتقدوا العقيدة المسيحية بشكل رئيسي ليعززوا في المقــام الأول المعتقد المفروض علــى آولئك الذين وصلوا إليه ، ومن ناحية أخرى تباهوا بعدم وضع نير الاعتقاد على أي امرىء دون اظهار مصدر للاقناع ٠

ورأى المتكلمون اللاهوتيون المسيحيون في عهد أوغسطين برهانا على صدق الديانة المسيحية ومصدرها الالهي بشكل رئيسي في أمرين اثنين هما : المعجزات والنبوات ، ومع ذلك فقد رآى المانويون في هذين مجرد اشارة ، وأنه قامت شكوك داخــل الديانة المسيحية نفسها حــول القوة الداخلية المتعلقة بصحتها ، الى درجة أن المسيحيين لم يرغبوا في مناقشة حقيقة المعجزات ٠ وبما أن يسوع بالنسبة اليهم لم يكن سوى كائن ظاهري وليس شخصية حقيقيــة فمن الممكن أن لا تكون أفعــاله المعجزة سوى مجرد آمر ظاهر افتقر الى الحقيقة الداخلية على الرغم من وجود مظهر خارجي لها ٠ ولم يعط المانويون النبوات آية أهمية البتة ، ولم يعتبروا أنــه كانت هنالك أية مقدرة للعهــد القديم على تقديم برهان على صحة الديانة المسيحية حتى ولو اشتمل على نبوءات

عن يسوع ، وهي نقطة عارضوها ، واعتبروا أن العهد القديم يمكن أن يكون لـه قيمة فقط بالنسبة لأولئك الذين كانوا قـد تحولوا من الديانة اليهودية الى الديانة المسيحية كما يمكن أن تكون نبوءات : سيبل Sibyl هـرمس ، تـرسميجستوس Trismegistos أو أوريفيوس Orpheus (*) ذات قيمة بالنسبة الى أولئك الذين انتقلوا من الوثنيـة الى الديانة المسيحية ·

كما أن العهد الجديد لم يترك دون نقد من قبل المانويين ، فقـد واصل ماني النقد الذي مارسه مرقيون ضـده وبشكل أشـد اصرار ، وبالطبع كان الشيء الـذي تماشى مع الثنوية المانوية قد اعتبر جزءاً من المقومات الحقيقية للديانة المسيحية ، ولكي يضفي المانويون الشرعية على مبادئهم كانوا مغرمين باقتباس عبارات القديس بولس والاستشهاد بها لا سيما بخصوص التناقض بين الروح والجسد ، كما اعتبر أي قول مخالف للعقيدة المانوية على أنـه تحريف للتعاليم المسيحية الأصلية ، فلقد استخدم المانويون حكاية يسوع الرمزية على نبات البيقية الـذي زرعه عدو ليلي ، فجعلوه الدجال الذي يعزى اليه تزييف كتب الشريعه المسيحية، وتشتمل كتابات العهد الجديد على العديد من نباتات البيقية، وبناء عليه بات على المسيحية أن تتولى بجرأة التمييز بوضوح بين البذرة التي زرعها المزارع الطيب خلال النهار، وبين بذرة المزارع الشرير التي زرعها خلال الليل ·

لقد سوغ المانويون موقفهم تجـاه نصوص العهـد الجـديد بطرق مختلفة · وهم لم يفعلوا بخصوص العهد الجديد أكثر من أنهم آكـدوا

★ عرف العالم القديم عدداً من « النبيات » اللائي حملن اسم سيبل ، وقد عزي اليهن كتباً في النبوءات ، أما هرمس فله شهرة كبيرة في الأدب العربي ، ويرى بعضهم أنـه النبي ادريس الوارد ذكره في القرآن الكريم ، وأوريفيوس كان مغنياً أسطورياً يعود تاريخه الى القرن السادس قبل الميلاد ·

على أعطاء أنفسهم نفس الحرية التي أجازها المسيحيون لأنفسهم تجاه العهد القديم ، فلطالما لم يتم تصديق كل ما ورد في العهد القديم على الرغم من أن مكانته وأصالته كان معترفا بها، لماذا لا يسمح للمانويين بالالتزام بما يروه أنقى محتويات العهد الجديد ؟

ثانيا : لقد أكدوا أن حواريي يسوع الأصليين لم يؤلفوا كتبه الأصلية ، وأن النصوص ، إذا كانوا هم قد كتبوها فقد نقحها كتاب متهودون فيما بعد ، ولذلك وجب أن تخضع لتدقيق دقيق ، ويجب اعتبارها كلها على أنها زائفة ومحرفة في النص ، ومن ناحية أخرى فان رسائل بولص قد تعرضت لنقد أكثر اعتدالا ، وبالنسبة لهذا كان المانويون من جديد ورثة حقيقيين للمرقونية ٠

وكان المبدأ الموجه للمانويين هو القيام بتمييز التحريفات التي حاولت تشويش التعاليم النقية للانجيل مع آراء الديانة اليهودية ، وبالطبع كان المعيار هو التضاد الثنوي المانوي بين الروح والمادة ، النور والظلام ، الخير والشر ٠

ولهذا السبب فقد كان السؤال الأساسي هو: ماهي الأسس العقلانية التي تمكن المانويون أن يذكروها ليظهروا أن معيار تعاليم ماني قد ارتقى بالفعل الى درجة الوحي الحقيقي والعقيدة العقلانية الوحيدة ؟ وتساءل أوغسطين قائلا : ما الدليل الذي أظهره ماني ليشهد بصحة رسالته ؟ ولماذا انتزع اسم المسيح ، ولماذا اغتصبه في حين حظر عليك أن تؤمن بالأنبياء اليهود ؟ ولكي لا يسخر منه ويقال له مواجهة : « أنت تكذب » ! اتركه ينقل عن الأنبياء الآخرين ، الذين ـ وفقا له ـ قد بشروا بالمسيح ٠

وكان اعتراض أوغسطين منطقيا تماما ، فلو أنكر ماني بينة العهد القديم بالنسبة للمسيح على أنه المسيح فما هو المؤيد البديل الذي كان عليه أن يقدمه لسلطة المسيح ، ومن ثم بالنسبة على أنه رسوله ٠

وكان بامكان المانويين في الواقع أن يلجأوا الى أقوال ماني فقط ، ويبدو أن ماني نفسه لم يحظ بأية سلطة خارجية ، فلقد رأيناه يستشهد بالوحي الذي أرسل اليه ، وذلك بحضور الملك بهرام ، لكن لماذا كان متوقعا أن يتم قبول العقيدة التي أعلنها ، على أنها وحي سماوي مباشر؟ في الحقيقة لأنه وجب عليها أن تثبت أنها مقنعة بسبب قوتها الخاصة المتأصلة ، ويجب أن تكون معقوليتها واضحة وبينة لجميع أبناء النور ، وكان ممكنا أن نضيف الى هذا، الظروف التي ذكرها ماني نفسه ، وهي أن جميع المؤسسين الدينيين الأوائل لم يؤلفوا كتابات بالطريقة التي ألف هو بها،وهذا أيضا مسوغ سيأخذ به دونما نقاش أولئك الذين آمنوا بعقيدته ، وهو مسوغ عقلي حقيقي يمكن لماني وأتباعه الاستشهاد به قليلا ، وسوقه كبرهان خارجي وكان المانويون ضعفاء في مواجهة المناقشات المنطقية ، وهذا جلي في مهاجمة أوغسطين ، ومع ذلك فطبيعي جداً بالنسبة لديانة قائمة على الوحي فقط أن لا تكون عقيدة مقنعة يمكن إثبات حقيقتها على أسس منطقية ٠

لم يكن لدى المانويين أية فرصة للنجاح في النقاش مع أي امرىء لديه ثقافة عالية في الجدل المنطقي مثل أوغسطين،وبالفعل فان أوغسطين في تعامله معهم قد حمل الى حد كبير علامات الفيلسوف الاستنتاجي،وهذا ما كان عليه الى حد ما ، ومن المحتمل أن هذا العجز لدى الديانة المانوية في مناقشاتها مع علماء اللاهوت المتدربين بشكل فلسفي قد ساهم في إزالة نفوذها من بين المثقفين ، وجعلها بالتالي غير مؤذية في الغرب ، فقد انجذب العديد الى نظرية ثنوية متماسكة غير أن المانويين كانوا عاجزين عن تطويرها فلسفيا ٠

ـ في الشرق :

وصلت الديانة المانوية في وقت مبكر الى المناطق الناطقة باللغة العربية ، فقد حكم عمرو العربي راعي المانويين وحاميهم بين عامي

٢٧٠ و ٣٠٠ م في مدينة الحيرة الحدودية في بلاد الرافدين الجنوبية التي كانت مكان التقاء للحضارتين العربية ، والسورية الساسانية ، ويروي الجغرافي ابن رسته خبرا عن وصول البعثات التبشيرية المانوية الى مكة من الحيرة، في حين يروي المؤرخ ابن قتيبة أن بعض القرشيين كانوا مسؤولين عن إحضار هذه البدعة من هناك ، كما بينت الأبحاث وجود أصداء مانوية واضحة في تبشير محمد ﷺ خاصة في تفسيره للوحي ، ومهما يكن من أمر فمن المستبعد وغير المعقول أن يكون لرسول الله أية معرفة شخصية بالديانة المانوية ٠

وتلتزم المصادر العربية الصمت إزاء موضوع المانويين خلال الفترة الأموية التي تلت فترة الخلفاء الراشدين الأربعة ، ومن الواضح أنهم تركوا يعيشون بسلام تام، وكانت تلك هي الأيام التي عاد فيها عدد كبير ممن سبق له أن هرب لايران الشرقية الى بلاد الرافدين ، وتغيرت هذه الصورة تماما مع وصول العباسيين الى السلطة ٠

أدرج هؤلاء الحكام ممارسة الأساليب البيروقراطية الساسانية التي ترافقت مع الثقافة الساسانية في أعماق الخلافة ، وتمت إقامة مدينة بغداد ـ أو هبة الله ـ عاصمة جديدة للدولة بالقرب من العاصمة القديمة [المدائن] طيسفون السلوقية ، وكان الاسم الفارسي له دلالته ، وشهد القرن التاسع إحياء للروح الفارسية القومية في ايران الشرقية ، وكان هذا انتقاما نُفذ من قبل ايران المهزومة والمحتلة ، وكان التراجمة ورجال الأدب الفرس قد شرعوا بترجمة جزء من روائع الأدب العالمي من اللغة الفارسية الى اللغة العربية في القرن الثامن ، وأعطى المصنفون والمترجمون من طبقة « ابن المقفع وبشار بن برد » زخما جديداً لهذا الاتجاه ، والنقطة الممتعة التي تبرز هي ـ سواء أكانت صحيحة أم خاطئة ـ أن جميع هؤلاء الكتاب الذين كانوا من أصل فارسي قد اتهموا

بتعاطفهم مع المانويين ، وجرى وصمهم بالثنوية أو الزندقة ، ولا يظهر المصطلح الأول أية مشكلة بينما يتطلب المصطلح الثاني بعض التوضيح، إن كلمة « زنديق » العربية هي كلمة فارسية دخيلة ، وهي مشتقة من الايرانية الوسيطة « زنديك » وتعني أتباع « زند » ، وتشير الى النوع الخاص من التقاليد المكتوبة الثابتة التي تنتمي الى الشكل المجوسي من شيز Siz (انظر ما سبق ٣٣) أما بالنسبة للمانويين فان وصفهم باسم زنادقة جاء وليد صدفة غريبة ، فقد دل ذلك على أنهم لم يعتبروا على أنهم أتباع تقاليد هرطقية فحسب ــ حيث من الواضح أن كلمة زنديق قد حازت على تلك الدلالة في العصور الساسانية ــ بل إن التسمية قد ربطتهم مع ديانة المجوس ، الأمر الذي كان صحيحا الى درجة ما ·

ومن المحتمل أن المفكرين الفرس الذي جرى ذكرهم كانوا مسؤولين بشكل رئيسي عن ترجمة كتابات ماني الى اللغة العالمية الجديدة ، أي اللغة العربية ، فقد ذكر المسعودي أن ابن المقفع قد ترجم العديد من كتب ماني ، وقد توفر طوال العصر العباسي أدب عربي [مانوي] غني ، وكان العلماء من أمثال النديم والبيروني ــ لنأخذ اسمين فقط ــ قادرين على الاعتماد في رواياتهم الرائعة عن ماني وعقيدته وكنيسته على كتابات مانوية حقيقية باللغة العربية ·

ومن بين النقول الرئيسة تلك المقتبسة من كتابات ماني ذاته والتي استخرج منها مقتطفات مفصلة وقيمة ، وكان الى جانب ذلك سلسلة من المؤلفات الأخرى مثبتة عناوينها في الفهرس للنديم ، ومعظمها معروف بالاسم فقط، لكن في بعض الحالات جرى إعطاء فكرة عن المحتويات وهذا هو الحال في دفاع العقيدة المانوية ضد الاسلام مما أصبح فيما بعد موضوع هجوم من قبل متكلمي الدين الاسلامي ، وتقدم اقتباسات النديم ومضات عما أكده ، وللأسف شاطر المفكر المسلم زملاءه المسيحيين في

سمة كونه كان راضيا باستخدام افتراضات أو « قضايا » تقع خارج محيطهم ، وتحمل اطروحته سمة النغمة الصلفة ، في حين نجد فيه أن الجدل الديني كان آنذاك لطيفا بشكل دائم الى حد ما ، فلغته صعبة جداً بحيث يتعذر فهمها ، ومن المحتمل أن النص محرف الى حد ما ، وهذا ما يدعو للأسف حيث لا يوجد شك أنه كان بامكانه أن يقدم الكثير لفهم الديانة المانوية في الفترة الاسلامية ٠

وحري بنا أن نشير هنا الى التقرير الذي كتبه الفقيه المتكلم الشهرستاني عن ديانة ماني ، ويلاحظ في هذه المناسبة أن أفكار ماني قد جرى التعبير عنها بلبوس أكثر فلسفية ، وليس هنالك من شك في أن الديانة المانوية كانت لديها القوة في هذا الشكل على جذب العديد من المفكرين ذوي الميول الثنوية ، ومن الواضح أن الديانة المانوية قد رغبت خلال فترة الخلافة أن تظهر وكأنها تفسير يعتنقه جميع من في العالم ، وقد اشتملت بالفعل على سلسلة من النظم العلمية وشبه العلمية ، وقد روى المسعودي أنه كان للمانويين ولع في التأملات الطبية والتنجيمية ، ومثال على ذلك النظرية الطريفة المتعلقة بتطور الجنين في رحم أمه والتي من الممكن تتبع أشكالها المختلفة ، وانتقالها من الرسالة الفهلوية المسماة « بنداهشن » Bundahsin الى الطوائف الغنطوسية المسلمة ٠

وواجه المانويون مقاومة شديدة جداً من السلطات خلال العصر العباسي ، فقد اتسمت فترات حكم المهدي (٧٧٥ ــ ٧٨٥) والمقتدر (٩٠٨ ــ ٩٣٢) بشكل خاص ، بقساوة وتعصب كبيرين ، وتم إنشاء محكمة تحقيق تحت اشراف محقق رئيسي عرف باسم « صاحب الزنادقة » لاتخاذ الخطوات اللازمة ضد جميع الهراطقة ، وضد المانويين قبل كل شيء ، وكما يظهر من اسمه ولقبه كان يتمتع بصلاحيات ، وروى النديم لنا كيف أن هذه الاجراءات قد أثبتت أنها حاسمة وقاسية ، وذكر النديم

أيضا أنه في الوقت الذي حكم فيه الأمير البويهي معز الدولة في بغداد (من ٩٤٥ وحتى ٩٧٦) كان يعرف شخصيا ما يقارب الثلاثمائة من المانويين ، وآنه عندما كتب كتابه لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة فقط كانوا موجودين في العاصمة ·

إن الحوادث التي ذكرها عن أعمال التنكيل التي عانى منها الموالون للديانة المانوية لا تعد ولا تحصى ، فعلى سبيل المثال انتهى العالم والمترجم الجليل ابن المقفع الى نهاية مخيفة ، حيث قام حاكم محلي ، كان خصما له ، باحراقه بأفظع طريقة متصورة ·

ومع ذلك فان بعض الحوادث على الرغم من أنها لا تخلو من خلفية مظلمة يمكن سردها ببهجة أكبر ، فقد روى المسعودي وهو الأكاديمي الموسوعي أخبار حادثة وقعت أيام الخليفة المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣) تفيد في إيضاح الأساليب التي كانت مستخدمة ضد المانويين قال : « وذكر ثمامة بن أشرس قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فأمر بحملهم إليه بعد أن سُموا واحداً واحداً ، فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم ، ومضى معهم وهو لا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون الى السفينة ، فقال الطفيلي : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان بأسرع من أن جيء بالقيود، فقيد القوم والطفيلي معهم ، فقال الطفيلي : بلغ أمر تطفلي الى القيود ثم أقبل على الشيوخ فقال : فديتكم أيش أنتم ؟ قالوا : بل ايش أنت ؟ ومن أنت ، من إخواننا ؟ قال : والله ما أدري غير أني والله رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم ، فرأيت منظراً جميلا، وعوارض حسنة ، وبزة ونعمة ، فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذيت بعضكم كأني في جملة أحدكم ، فصرتم الى

هذا الزورق ، فرأيته قد فرش بهذا الفرش ، ومهد ، ورأيت سفراً مملوءة وجربا وسلالا ، فقلت : نزهة يمضون إليها الى بعض القصور والبساتين ، إن هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سروراً ، إذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم ، فورد عليّ ما قد أزال عقلي ، فأخبروني ما الخبر ؟ فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسُروا ، ثم قالوا : الآن قد حصلت في الاحصاء وأوثقت في الحديد ، وأما نحن فمانويه غمز بنا الى المأمون ، وسندخل إليه ، ويسائلنا عن أحوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن، منها : اظهار صورة ماني لنا ، ويأمرنا أن نتفل عليها ، ونتبرأ منها ، ويأمرنا بذبح طائر ماء وهو الدراج ، فمن أجابه الى ذلك نجا ، ومن تخلف عنه قتل ، فاذا دعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به ، وأنت زعمت أنك طفيلي ، والطفيلي يكون معه مداخلات وأخبار ، فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وأيام الناس .

فلما وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام ، فيمتحنه ويدعوه الى البراء من ماني ، ويظهر له صورته ويأمره أن يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف حتى بلغ الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : من هذا؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتي طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئا ، وإنما أنا رجل طفيلي ، وقص عليه خبره ، من أوله الى آخره ، فضحك المأمون ، ثم أظهر له الصورة ، فلعنها وتبرأ منها ، وقال : أعطونيها حتى أسلح عليها ، والله ما أدري ما ماني : أيهوديا كان أم مسلما » .

ـ النجاحات الأخيرة وتدهور الديانة المانوية :

كانت الديانة المانوية قد وصلت الى نهر جيحون وعبرته آيضا ، ومنح هذا قاعدة للدعوة المانوية في إقليم الصغد الذي زودها بامكانات الاتصال والارتباط بشكل جيد في الشرق والغرب ، وكان الصغد سلالة من التجار اعتنوا بالمواصلات الاقتصادية مع الصين، وكان طريق الحرير المؤدي الى بلاد الغرب مشهوراً في الأزمان الغابرة ، وفي الأزمان الحديثة أيضا حيث أقام الصغد مستوطنات تجارية في مناطق مختلفة على طول هذا الطريق ، فعلى سبيل المثال قامت مستوطنة الى الجنوب مباشرة من لوب ــ نور Lop - Nor ، وبالفعل جرى اكتشاف نقش صغدي في « قرا بالغاسون » البعيدة ، الواقعة على اللسان البري الأعلى المنبسط من نهر أورخون الذي يصب في بحيرة بيكال ، ولقد كان لتمركز المانوية الثابت في كل من مدينتي سمرقند وطشقند الصغديتين أهمية خاصة بالنسبة لانتشار الديانة المانوية شرقا ، وتفوقت سمرقند بالأهمية، ذلك أن المصادر العربية توضح أن عدد المانويين فيها كان كبيراً جداً ، وكانوا ذوي سلطة وأصحاب نفوذ ٠

وجرت مواصلة عمل نظامي للترجمة داخل منطقة اللغة الصغدية ، وتثبت كمية النصوص المانوية الكاملة وقطع النصوص الباقية وتدلل على الحجم الكبير لهذه الكتابات التي كانت متداولة في تلك اللغة ٠

هذا ورجحت الاعتبارات الاقتصادية والسياسية أيضا وبشدة معيار تقدم الديانة المانوية شرقا ، فقد كان للصين منذ عهد أسرة هان (٢٠٦ ق.م الى ٢٢٠ م) مصالح هامة لتدافع عنها في المناطق الغربية المجاورة لها ، ومن ناحية أخرى دخلت المملكة المتوسطة فترة من الضعف خلال الفترة الواقعة ما بين ٢٢١ ــ ٦١٨ م ، وفقدت سيطرتها على تركستان، وأصبحت الصين قادرة بظهور أسرة تانغ على استعادة موقعها

العسكري ـ السياسي هنالك ، ولم يكن الصينيون يواجهون حينئذ الشعوب التركية والايرانية ، بل واجهوا في المقام الأول العرب المتقدمين بانتصار بعد سقوط الامبراطورية الساسانية في ايران الشرقية، وبحلول عام ٦٦٧ كان العرب قد اجتازوا نهر جيحون ، وفي هذا العام بالذات حدثت المعركة الحاسمة مع أحد الجيوش الصينية كان قد أعاد فيروز ابن أخر الملوك الساسانيين الى عرش ايران ، وكان قد عينه في عام ٦٦١ بمثابة تابع للصين ، وألحقت الهزيمة الماحقة بالجيش الصيني ، وأنهى ذلك حكم الساسانيين ، واضطر فيروز للفرار الى الصين حيث توفي هناك .

لقد جلبت السيادة العربية الى ايران الشرقية ـ كما هي الحال في العراق ـ ظروفا أفضل للمانويين بشكل ملحوظ ، فقد تركتهم السلطات يعيشون وفق هواهم تماما، وكانت فترة الراحة هذه والاتصالات الوثيقة المستعادة بين الصين وتركستان هي المطلب الأساسي للنشاطات التبشيرية التي تولاها المانويون حينئذ ، وسارت الأمور على هذا المنوال حتى أن واحداً من المجتبين المانويين ظهر في بلاط الامبراطور الصيني ، وزيادة على هذا جرى إرسال صاحب مقام مانوي رفيع الى البلاط الامبراطوري وذلك من قبل نائب الامبراطور في طخارستان (أي بكتريا) في عام٧١٩م، حيث كان هذا الاقليم تابعا للامبراطور ، واستطاع نائب الامبراطور أن يزكي الكاهن المانوي لسيده على أنه خبير ممتاز بعلم التنجيم والعلوم الأخرى ، وتوسل الى الامبراطور كيما يمنح المانوي إذنا ببناء معبد يتمكن أن يقيم فيه طقوسه التعبدية ، ومن المحتمل أن مثل هؤلاء المبشرين المانويين كانوا مسؤولين عن إحضار التقويم الفلكي الغربي الى الصين حيث جرى منح الكواكب في الصين أسماء ايرانية .

ومع ذلك فقد صدر مرسوم امبراطوري ضد المانوية في عام ٧٣٢ جاء بالعبارات التالية : « إن عقيدة مار ماني عقيدة فاسدة ، فاسدة

تماما ، وهي تتخذ اسم البوذية بشكل زائف ، وتضلل الناس ، وينبغي حظر هذا رسميا ، لكن بما أن هذه العقيدة هي العقيدة الطبيعية للبرابرة الغربيين وأناس آخرين فلن تعتبر ممارستها من قبلهم جريمة» ·

ومع ذلك ، فقد اتيحت الامكانات الأفضل للديانة المانوية بعد وقت قصير من شمول المرسوم الامبراطوري الذي لم يكن سوى تسامح مشروط ، حيث أنه حظر المزيد من النشاطات التبشيرية الاضافية ·

وفي قرابة منتصف القرن الثامن شغلت قبيلة الايغور التركية دوراً هاما في الأقاليم الصينية، الى درجة أنها استولت على المدينة الكبيرة « لو ــ يانغ Lo - Yang في عام ٧٣٢ ، التي اعتبرت على أنها العاصمة الشرقية ، والتقى الأمير الايغوري بُقوق خان Bugug Khan ٧٦٠ــ٧٨٠ بعدد من المجتبين المانويين الذين لم يكتفوا بأن حولوه الى ديانتهم بل أغروه بأن يعلن أن الديانة المانوية هي الديانة الرسمية داخل مملكته ·

وتمتعت المانوية بمكانة عالية داخل الصين في القرن الحادي عشر وحتى القرن الرابع عشر ، وفي اقليم فو ــ كين Fu - Kin قبل كل شيء وكديانة دخلت المانوية الصين أيضا بمثابة طريقة للحركة التوفيقية ، حتى أنه جرى اقرار كتابين من كتب ماني في العقيدة الطاوية ·

ومع ذلك عارض ــ بشدة ــ البوذيون وأكثر منهم الكونفوشيون الديانة المانوية، واعتبروها بغيضة، وبما أن السلطة التنفيذية قد قاومت الديانة المانوية في الصين ووقفت ضدها فقد تحولت الى حركة دينية سرية هناك ، وذلك مثلما أصبحت في بلدان أخرى ، كما أن انهيار السلطة الايغورية في القرن التاسع قد جرد المانويين من حليفهم السياسي القوي · ومن الواضح أيضا أن الاضطرابات التي أحدثها

المغــول فيمــا بعــد كانت حاسمة ، هــذا وليس من المعروف التاريــخ الذي فقدت فيه الديانة المانوية مؤيديها الآخرين على الأرض الصينية، ومن المحتمل أنه وجد صينيون مانويون هناك حتى وقت متأخر يصــل الى العصور الحديثة • وكان هنالك تدوين ضئيل لأخبار هذه الديانة مع النشاط المــانوي داخــل الصين حتــى أظهرت المكتشفات آهميتهــا وأبرزتها الى حيز الوجود ، في آسيا الوسطى ، وعلــى الأخص اكتشاف رسالة مذهبية رئيسة من تون ــ هوانغTuen - Huangوالرسالة المعروفة باسم « الملف الترتيلي » •

الفصل التاسع

مـانـي كشخصية

عند أي مستوى من العقلانية وقف ماني ؟ لقد ألح على هذا السؤال المستشرق الألمـاني هـانس هاينرتش سـكيدر Hans Heinrich Schaeder الذي أوقف نفسه خلال العشرينات والثلاثينات على البحث في المانوية ، ألح عليه في كتابه :
Ur Form und Fort bildungen des Manichoischens Systems

وعنده إن الاجابة على هذا السؤال تزودنا بالمفتاح لفهم شخصية ماني والنظام المانوي ٠

وفي البداية ينبغي الاقرار أن السعي لتوضيح شخصية مؤسس ديني وتبيان انجازاته بوساطة التساؤل : عند أي مستوى من العقلانية وقف ؟ هو في حد ذاته مسعى فردي وأسلوب خاص في معالجة الموضوع ٠

لكن إذا لم ندع المسألة عند هذا المستوى ، وحاولنا التقرب بدرجة أكبر من القضية فأنئذ ينبغي أن يكون سؤالنا الأول بالتأكيد هو : هل جاء تحرك ماني في أي مجـال من المجالات بشكل عقلاني ، وهل كانت العقلانية هي العامل المسيطر علـى « المنطق » الـذي واكب صياغـة العقيدة المانوية ؟ حقيقة يبدو أن هذا ما كان عليه الحال ، ونعيد الى الذاكرة هنا أن أوغسطين قد انجذب ــ بحسب قوله ــ الى المانوية أكثر من انجذابه الى أي شيء آخر لتأكيدهم على أنهـم قادرون على تقديم تفسير معقول لكل ظاهرة من ظواهر الدنيا ، ولنتذكر أيضا أن النقد المانوي للديانة المسيحية قد قام على أساس أن المسيحي قد وجد نفسه

في البداية مجبراً على الايمان قبل أن يسمح له باستخدام عقله ، ويشير هذا كله ـ بشكل لا يقبل الجدل ـ الى اتجاه وجهته علمية إن لم نقل عقلانية المظهر ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لنتذكر أن تنقلنا بين ثنايا تفاصيل النظام المانوي قد أكد لنا أن هذا المظهر العقلاني المزعوم يتبدد لينتهي الى أساطير ٠

كما أن خصوم المانويين لم يتوقفوا قط عن اتهاماتهم بأنهم لا يدافعون عن تأويل علمي بل عن تفسير علمي زائف ٠ وجاء في النقد الساخر لهم أن حكمتهم لم تكن فلسفة بل تعليلات كلامية ، وكتب الفيلسوف الافلاطوني المحدث الاسكندر الليكوبولي يقول : « إنهم يفوقون بحكاياتهم أصحاب الأساطير كثيراً ، حتى على أولئك الذين يتكلمون عن أعضاء « أورانوس Uranos » التناسلية المقطوعة ، أو عن تآمر أبناء كرونوس Cronos ضده للوصول الى الحكم ، أو من جديد عن قيام كرونوس ذاته بالتهام أولاده ، ثم شعوره بالألم والحسرة الى درجة جعلت وثناً حجراً يسخر منه ويتهمه بالحمق ، كما بدت الأساطير التي كان على النظام المانوي أن يقدمها في منتهى السخف بالنسبة لصاحب كتاب Acta Archaloc حتى أنه اقترح بجدية مطلقة أن ماني قد استولى على كتاب ألفه واحد من أسلافه ، وأضاف إليه حكايات النساء العجائز، وأعاد السرد الكامل باطناب وافر لكلام زائد ، وبناء عليه تلاعب بعض المجادلون المسيحيون بشكل فعلي باسم ماني ، وقالوا إن اسم ماني لم يكن اسمه الحقيقي فقد غيره ، وإن اسمه الحقيقي هو « مانس » Manes لأنه من الواضح أنه كان يهذي » ٠

ومهما يكن نوع الشيء الذي يمكن أن نفعله بهذه الهجمات العنيفة

فـان الشيء الذي لا نستطيع استنتاجه هـو أي تقويم خاص لمستوى التسويغ العقلاني الذي اختاره المؤسس الديني الرافدي ـ ايراني لنفسه ٠

وفي البداية من الممكن الأخذ بالاعتراض القائل بأن الرجل الحاقـد لا يمـكن اعتماده كحكم لتقويم مؤسس ديني حتى وإن أمكن أحيـانا اثبات التهم الوقحة التي أثارها خصوم هذا المؤسس ضده ، ولقد حاول سكيدر أيضا تفسير وتسويغ الـدور المتفوق الذي شغلته الأسطورة في الديانة المانوية على أساس للتعليل بطريقة افلاطونية محضة ، أي : توجد الأساطير المانوية لتتولى توضيح نطاق عقلانية ماني بشكل مقبول فقط ، ودعونا نلقي نظرة قريبة متفحصة على أساطير ماني بدلا من أن نسأل فيما إذا كان افلاطون قـد اختار استخـدام الاسطورة ليظهر المنطق فقط ، إن الشيء الذي سيكون حاسما في التحليل النهائي للمشكلة هو : كيف طور ماني نظامه ، وهل حدث ذلك بوساطة عملية انعكاس مستنبطة بشكل منطقي فقط ، أم بسلسلة من الالهامات السماوية ؟

وإذا ما أصغينا ثانية ـ في المقام الأول ـ لما سيقوله الخصوم نجد أن الاسكنـدر الليكوبولي لا يتردد في تبيـان كيفيـة تصوره للمبادىء المانوية بقوله : « إن افتراضاتهم ليست قائمة على برهان معقول بحيث يمكن أن نتولى القيام في التحقيق فيها ، كما أنهـا ليست مبنيـة على مقدمة منطقية أو مقدمتين حتى نستطيع أن نرى ما الذي ينجم عنهما ، كمـا أن أيـة نبذة من الفلسفة في ثرثراتهم العاديـة ليست أكثر من مصادفة ، فهم يلجؤون الى الكتابات القديمة والحديثة على حد سواء ، وينتحلونها على أنهـا الهامات ووحي من السماء ، ويجمعون أفكارهم منهـا ، ولا يعتبرون أنفسهم مدحضين بنقص تعابيرهم ، أو بأعمـال لا تتطابق مع هذه المبادىء ، وأما آراء الأنبياء فهي ـ بالنسبة لهم ـ نفسها بالنسبة للآخرين ، فهم يتفلسفون حسب الطريقة الاغريقية ، وبموجبها يبنون المقدمات المنطقية لمناقشاتهم » ٠

إن تحليل العقيدة المانوية سيقنع أي انسان أن وجهة النظر السابقة ليست تشويها حقوداً للحقائق ، بل ترتكز على شيء أساسي في الفكر المانوي • ومن المحتمل أن ماني نفسه لم يصدق حرفيا الأساطير المفصلة والبسيطة غير أن ذلك لا يعتبر العامل الحاسم ، النقطة الصامتة مبينة في عبارة الاسكندر الأخيرة في أن الوحي بالنسبة للمانويين يساوي ما تساويه المقدمات الفلسفية بالنسبة للفلاسفة ويؤكد ماني نفسه ويلح على أن الحكمة التي سعى الى اعلانها ليست من هذا العالم فقد قام التفسير المنطقي للأشياء على اعتبارات عقلانية أو حقائق علمية ، لكن جرى نقل الوحي من إله النور إليه بوساطة ذاته العليا « القرين » • وقد ادعى أن هذا هو شرعيته الخاصة • وهنا لا يمكن للتناقض بين الفلسفة الاغريقية وبين وحي ــ الفداء الشرقي أن يكون أكثر وضوحا • وهنا يقوم ارتباط ماني مع التقاليد الدينية ، فمن حيث الأصل كان ماني من ايران الشمالية ــ الغربية أو أرمينيا حيث كانت عشيرته مترسخة القواعد كقبيلة فرثية أميرية ، وكانت الزروانية التي سيطرت على حياة السكان الروحية في تلك الأجزاء هي الصيغة الدينية التي انبثق منها ، وليس من الصدفة أن تظهر مراراً وتكراراً سواء أكانت من ناحية وجهة نظره التشاؤمية ــ الثنوية الى العالم والحياة أم من ناحية وجهة انعكاساتها المتطابقة في الأساطير الزروانية • ومن هنالك استعار ــ كما رأينا ــ أراءه عن القوى الشريرة وحول ازدراء النشاط الجنسي واجداً التعبير المنشود في الأساطير التي هزت خصومه أكثر من أي شيء آخر (على سبيل المثال قصة إغواء الأراكنة الموجودة في المواريث الأسطورية للزروانية أيضا) وجلي أن ماني لم يستطع كما أنه لم يرغب في تخليص نفسه من هذا الميراث •

ومن المحتمل أن بوخ Puech كان مصيبا في قوله : إن العناصر الهندية والايرانية والمسيحية ــ ويمكننا أن نضيف الرافدية ــ لم تكن

على العموم وفي أغلب الأحيان عوامل مؤثرة ومكملة للنظام المانوي منذ البداية لكن فيما بعد ، وكانت تكميلية بمثابة سمات خارجية جاءت نتيجة لجهد مدروس للتكيف والتبني من قبل مؤسسها ٠

ويمكن تأكيد هذا ـ وبثقة أكبر ـ بالتذكر بأن النظام كله ايراني، وهو مفهوم زرواني على وجه التخصيص ، وإن فكرة المُخلِّص المُفتَدَى بوصفها فكرة مهيمنة في الديانة المانوية كما هي مهيمنة في الغنطوسية هي برمتها ايرانية ، وفكرة أن المُخلِّص هو نفسه خلاصة جميع الأرواح التي سيتم فداؤها هي فكرة مربوطة مع فكرة التطابق بين الذات البشرية العليا وبين هذا المخلص السماوي ، ويتكرر هذا التسلسل من التفكير ويجد صداه في الديانة المانوية في مركب الآراء التي تدور حول الشخصية المسماة « فاهمان العظيم »وهو مركب يشهد بصلته الوثيقة مع تأمل أتمان ـ براهمان Atman Brahman الهندي وبراهين على الأصل الهندي ـ ايراني لهذه الأفكار ٠

إن فكرة ماني التشاؤمية عن الحياة ، والخوف من عالم المادة لأنه عالم شرير بشكل جوهري حيث خلقه أمير الظلام وسيطر عليه هي فكرة ايرانية ، وبشكل محدد فكرة زروانية ، كما أن فكرة الخوف المطلق من الحياة التي هي تعبير نموذجي عن ميول ماني هي فكرة ايرانية أيضا ، وكذلك الأمر بالنسبة لاحتقار ماني للنساء واشمئزازه من الجنس وهو الأمر الذي يطبع عرضه للنظام وتقديمه له ٠ إن السوابق في هذا المجال الشخصي الصارم سوابق زروانية تماما كما هو الحال في رسم تطور العالم حيث يمكن تقصي السمات المميزة الواحدة تلو الأخرى بالرجوع الى الزروانية ٠

وكان ما فعله ماني هو تفسير عالم الفكر الايراني هذا في ضوء تجاربه الدينية الخاصة ، فقد جرى اشتقاق مفاهيمه الأساسية من

ميثولوجيا ولاهوت ايرانيين ، لكن عرضه جاء في روح غنطوسية ، وجاء صنيع هذا سهلا بالنسبة له ؛ لأن بعض أشكال الاعتقاد الهندي ـ ايراني قد أظهرت صفة غنطوسية الى حد ما ، وكان هذا فوق كل شيء صحيحا بالنسبة للزروانية ، كما أن الصيغة الغنطوسية المشهورة في أنه ينبغي على الانسان أن يعرف من هو ، ومن أين أتى ، وأين هو ، والى أين هو ذاهب؟ قد جرت صياغتها بوضوح على غرار السوابق الهندية ـ ايرانية ٠

وكان أسلاف ماني مثل ابن ديصان ، ومرقيون ، وباسيلدس قد طوروا جميعا غنطوسية أعطت الديانة المسيحية مظهراً مخادعا لوجهة النظر الثنوية الايرانية ، والاختلاف بينهم وبين ماني آن الغناطسة الثلاثة أنفسهم شعروا بأنهم مسيحيون في المقام الأول ، وبقوا داخل المسيحية بشكل لا ينكر ، فوجهة نظرهم لم تكن الاعلان عن دين جديد بل شرح موائم للدين المسيحي المعلن وهم مفسرون ومصلحون ٠

وكانت قضية ماني قضية مختلفة ، فقد كان دينه دينا جديداً تماما ، وهو دين اعترف بجميع العقائد والتعاليم الأولى واشتمل عليها إذ رأى فيها مقداراً من الخير رغب بالاعلان عنه ، ولا يمكن فهم دعواه بذاتها وحدها ، بل يتطلب الأمر تفحصا دقيقا وقريبا لشخصيته وللمظاهر المتنوعة لما حققه ٠

لقد كان ماني آخر الغناطسة العظماء ، وقد وجدت النزعة الثنوية الواضحة لدى أسلافه : ابن ديصان ، ومرقيون ، وباسيلدس أوجها في نظامه الغنطوسي ذي التعليلات الكلامية ، وبناء عليه دل وجوده بهذا على نهاية فترة وبداية فترة جديدة ، فلقد كان أسلافه مهتمين باصلاح الديانة المسيحية فقط ، وباعادة دين المسيح الى حالته الأصلية من النقاء ، أما ماني فقد إدعى بادراك كامل أنه مؤسس دين جديد ، وكان

على استعداد كامل لاعطاء سلفه حقهم بالقول : لقد كان الدين الصحيح الوحيد هو ذلك الدين الذي أظهره بوذا في الهند ، وذلك الذي نشره زرادشت في ايران ، ثم ذلك الذي جاء به المسيح في الغرب ، وبما أن بلاد بابل واقعة في وسط الأرض ، وتحيط بها الأقاليم الثلاثة الأخرى الكبيرة، من هذه البلاد جاء ماني فيالعهد الأخير بمثابة آخر نبي للشريعة السماوية السرمدية ، وكخاتم للرسل ، ومؤيد لرسالات جميع أنبياء الله السابقين ، لقد كان هو التجسيد الأخير للمخلص السماوي ، ولجميع النؤوس الظاهرين، ولفهمان العظيم، وللفارقليط الذي وعد به المسيح، ولقد كان كل من بوذا ، وزرادشت والمسيح وماني الرسل الأربعة العظماء للدين الحقيقي ، غير أن ماني بوصفه الفارقليط وخاتم الأنبياء ، كان الأعظم بينهم ٠

ويتردد خلال جميع كلمات ماني صدى صوت شعور قوي بالرسالة ، فقد أعلن عن تعاليمه بشعور بالسلطة طبيعي ، وكان في تعامله وعلاقاته مع الأمراء الساسانيين وحتى مع الملك العظيم متماسك النفس ، رابط الجأش ، مع سيماء أصالة النسب المرتبطة بأصله الملكي ٠

وكانت حماسته وامكاناته المتنوعة مدهشة حقا ، فقد تدخل في جميع أنواع الفعاليات مثل : التعليم ، والمواساة ، والنصح ، واحضار الأوامر ، ولقد كان واحداً من أعظم مؤسسي الكنائس ، والمنظمين الدينيين بشكل لم يشهد له العالم مثيلا من قبل ، فقد انتشرت عقيدته في أيام حياته من غربي الأمبراطورية الرومانية الى الهند ، ومن حدود الصين الى شبه جزيرة العرب ، وكان لعقيدته ـ وهي في أوجها ـ أتباع من سواحل المحيط الأطلسي حتى سواحل المحيط الهادي ، وأصبحت الديانة المانوية الديانة الرسمية للدولة الايغورية في آسية الوسطى ، وسعت للاستيلاء على المملكة المتوسطة، وكادت تصل هذا المطمح، وثابر

على البقاء المؤمنون بديانة النور في الصين لعدة قرون ، وذلك بصرف النظر عن جميع المضايقات ، ولا نعرف بالتحديد كم استمرت الديانة المانوية في الحياة • ومهما يكن من آمر فقد كانت مدة حياتها آكثر من إثني عشر قرنـا ، وإذا سلمنا بـأن النجاحات الخارجية ليست مقياسا يدلل على الشخصية القائمة خلفها يمكننا على الرغم من ذلك آن نغامر بالافتراض أن الحقائق التي تم الاستشهاد بها توحي بالفعل آن مؤسس هذه الديانة كان شخصية رائعة تماما فالذي حط من شأنه وجعله وضيعا لم يتجاوز القوى الخارجية ذلك آنه نادراً ما تم اضطهاد ديانة بقساوة وبدون رحمة مثلما تم اضطهاد ديانة ماني •

وكانت شخصية ماني غير عادية أيضا ، فلقد استطاع هـذا المبشر الرقيق الناجح بطريقة جذابـة وبشكل واضح لنـا آن يبنـي دعوتـه ويطورها بشكل ذكي ونظامي وهو بالنسبة إلينا نراه بشكل جلي منظما لكنيسته بشكل حـذر ، ومخططا أرسى قواعدها بشكل ثابت ثم أقـام بنيانها ، ولا توجد لدينا أدنى صعوبة في فهم رجل اللاهوت والسياسة هذا لعظمته ، فهو قد استفاد استفادة بارعة من الفرص التي سنحت له •

ومع ذلك فقد كانت جوانب أخرى تدلل على سماته الشخصية وهي كانت منذ الأزمان الغابرة سمات مميزة لزعماء الشرق الأوسط الدينيين، فقـد كان صانعا للمعجزة بالاسلوب الكلاسيكي ، وكان قبل كـل شيء طبيبا قـادراً على طرد الشياطين المتلبسة للمرضى ، وشفاء المرضى من أمراضهم ، ومعروف أن فن شفاء المرضى اعتبر في كل مكان من الشرق دليلا بارزاً وعلامـة مميزة للحكمة • ومن المعتقد أن كلمـة « آسوطا » السريانية التي تدل على معرفة الطب مشتقة أصـلا من عبارة آ ـ زو A - Zu السومرية ، ومعناها « معرفة الماء » وهي تدل على علم الأدوية المائية التي يخلص بوساطتها المصاب بمس من الشياطين ، ولم تكن هذه

المعرفة معرفة نظرية فقط بل كانت ـ وبشكل رئيسي ـ مسألة تطبيق ، أما الكلمة العربية المرادفة لكلمة طبيب فهي كلمة « حكيم » وهي أيضا مرادفة لكلمة « عاقل » ، وكان ماني بهذا المعنى رجلا حكيما وقادرا على أداء أغرب الأشياء ، أي كان صانع المعجزات البارع ، فقد أرى ـ على سبيل المثال ـ جنة النور للأمير مهر ـ شاه الذي تسجى جسده ميتا لمدة ساعات ثلاث في الوقت الذي تجولت روحه في الأقاليم السماوية، فقد أراه جنات الفردوس • ويوضح هذا أن ماني كان باستطاعته التحكم في رفع الأرواح الى السماء ساعة يشاء ذلك ، وهذه ظاهرة مادية مميزة وسمة من سمات صانعي المعجزات من الرسل الاسرائيليين الى الأولياء المتصوفة المسلمدين • ومن الواضح أنه ادعى أنه قد عُرج به الى السماء،وأنه تلقى الوحي الالهي هناك على شكل كتاب ـ وهذا تأكيد يظهر مراراً في تاريخ الشرق الديني ، وخاصة في المدونات الاسلامية ، ويمكن الافتراض بكل ثقة أن نسبة مثل هذه الصفات إليه قد أفاد في تحويل شخصيته الىشخصية غريبة وغير بارعة بالنسبة الىالمعاصرين•

وتنوعت مواهب ماني الفنية والأدبية بشكل مذهل ، فقد كان سيدأ متقنا لجميع الفروع المتنوعة للأدب الشرقي ، فهو لم يكن شاعراً غنائيا وملحميا فحسب بل كان حاذقا جداً في وصفه للصراع بين عالم النور وعالم الظلام ، الى حد كان من الممكن اعتباره فيه كاتبا دراميا لو أن الشرق الأوسط قد عرف مثل هذا التصنيف ، كما قام باستنباط مواعظه أيضا بطريقة بارعة ، وأظهر للانسان العادي حالة عالم بلغة سهلة وبسيطة ، واستخدم جميع رموز وتشابيه واستعارات اللغة الغنطوسية ، بغية منح الحيوية والنشاط الى تعاليمه ، وأصبحت العبارات التي أراد أن يخلفها في نفوس مستمعيه حية بوضوح من خلال رسومه المتعددة ، ومن خلال قصصه المأساوية والهزلية ، وحتى من خلال القصص الفجة ،

المأخوذة من حكايات الحيوانات ، وروايات الرعب والجريمة ، وأخبار الحياة اليومية وحياة البلاط . ولا بد أن مقدرته على ضبط مستعميه كانت مدهشة جداً وأخاذة ، فلقد أذهلهم واستحوذ على عقولهم استحواذاً عظيما بوساطة الأساطير الفاحشة ، فقد انكب على تقليب أخبار هذه الأساطير مراراً وتكراراً لخلق الجو المناسب الذي أراده .

ولقد ألقى مواعظه دونما تصنع ـ وبنشاط كبير ـ بطريقة استطاع الجميع أن يفهموها . وهو ـ كمبشر يتدفق حرارة وحيوية ـ كان المتحدث الشعبي الذي لديه تقنيته الجاهزة ، فقد كان يعرف كيف يثير اهتمام مستمعيه ، ويستحوذ على انتباههم .

وكان شخصا طقوسيا عظيما ، طور نموذجا خاصا للطقوس الدينية السماوية حيث كانت كلمة الله في المحور كما صاغها المعلم ، وقد مهدت مزاميره وتراتيله السبيل لاعتماد الكثير من الشعر المقدس الغني، الأمر الذي ميز ديانته بشكل ملحوظ . وبما أنه كان ذا طبيعة محبة للجمال فقد فهم ـ ربما كما لم يفهم أي من المؤسسين الدينيين ـ كيف يخضع العوامل الجمالية لاستخدام الحياة الروحية ، وامتدت جهوده المتحمسة لتجنيد الفن لخدمة الديانة من الكتابات المقدسة الى الأزياء الثمينة للكهنة العاملين ، والى تزيين البقاع المقدسة ، وكان ماني سابقا لعصره إذ فهم كيف يخلط الصورة بالكلمة .

ومع هذا فيا له من مشهد مختلف ذاك الذي يقدمه ماني في نصوصه العقدية ،فهو غالبا ما اكتفى هنا بالمخطط الرقمي التأملي الذي كان عظيم الرواج في العهود الكلاسيكية المتأخرة ليزوده باطار العمل، وتتحكم الأنظمة العددية الثلاثية والرباعية والخماسية والسباعية بنظامه ، وتتوازن الأجزاء المختلفة من عقيدته توازن الروائع المعمارية ، وبدأت

الميول نحو التوقع بوساطة الأرقام الأمر الذي كان شائعا بين المتدينين في تلك الأيـام من أواخـر العصـور الكلاسيكية ، وبشـكل آكبر بين الغنطوسيين • بدأت مع ماني تتجاوز حدودها الطبيعية ، لا بل تجاوزت مع أتباعه في الصين جميع حدود المعقول ،وخنقت تقريبا جميع المظاهر الأخرى لتعاليمه ، ومن أنه كانت هنالك نية تعليمية متعمدة ومقصودة من قبل ماني ، فلقـد تـم تصميم النظـام العددي لمساعدة الايداع في الذاكرة ، وتحصيل مبادئه الأساسية بوساطة هذه الوسيلة ، ولربما أنه تخيل في الوقت نفسه ـ على غرار النمط الفيثاغورثي المحدث ـ وجود أسرار خاصة في العلاقة المتبادلة بين الأرقام • وفي هذا الصدد إن ولعه بعلم التنجيم يحتاج الى تفسير ، فهو قد كان هنا أيضا ممثلا نموذجيا للثقافة الكلاسيكية المتأخرة •

وكان ماني في جدله ـ وبقدر ما يتعلق الأمر بنقد المسيحية على أساس أنها تنظيم ـ لاهوتي رئيسي ـ وريثا بشكل خاص لابن ديصان ومرقيون ، وفيما يتعلق بموقفه الكلي كان على العموم آكثر تطرفا في تهجماته على جميع العقائد والمذاهب السابقة ـ حسبما وصف الديانات التي سبقت ديانته ، وذلك في نفس الوقت الذي نجده فيـه يعطي هذه الديانات الاعتراف المناسب بأصالتها النسبية ، فهو قد اعتبر نفسه المالك الوحيد للحقيقة المطلقة ، وكمتلق للوحي السماوي شعر آنه حر الارادة في أخذ أي شيء رغب فيه من العقائد الأخرى أو نبذه •

ولم يكن ماني فيلسوفا دينيا بالمعنى الدقيق للكلمة بل كان نموذجا مـن نمـاذج صـانعي المعجـزات ، وحاملـي الوحـي ، ومـع ذلـك تستطيع فحوى أساطيره أن تجد تعبيرا مجردا ، وقـد حدث ذلك بشكل رئيسي في فلسفة الاسكندر الليكوبولي ، الذي ربما شعر بقوة أكثر مما

شعره الجميع أن ماني لم يكن فيلسوفا بـــل كان صاحب أســاطير ، وفي الحقيقة إن اختيار ماني للأساطير كاسلوب طبيعي له للتعبير دليل على ذكائـــه ٠

وهو لم يكن الفيلسوف المفكر بشكل منطقي بل كان المتكلم اللاهوتي التوفيقي ، ولم يكن النظام الذي قدمه نظاما فلسفيا دينيا بل كان وحيا سماويا ٠

وقد بحث عن المنافع لنظامه ، واستخلص لذلك المواد من كل مكان ، وقد فعل ذلك عن عمد ، ولربما لم يشهد العالم أبداً لا من قبل ولا من بعـــد شخصية توفيقيـــة واعية لذاتها مثل شخصيته ، ولـــم يكن شيئـــا ــ بالنسبة له ــ طبيعيا أكثر من النظر الى المسائل من وجهة نظره الخاصة ومتابعة العمل وفق هذا المنهاج ، ولو أن الحقيقة عرفت دائما وأضاءت ــ ولو بطريقة ناقصة ومتعثرة ــ خلال جميع الأديان العظيمة إذاً لكان ماني محقا في أخذ ما ناسب خطته الخاصة من جميع النظم السابقة ٠ومن الواضح أن هذا لم يكن ممكنا دائما دون التعرض لتناقضات منطقية غير أنه لم يكن هنالك أي شيء ملحوظ حول هذا في حال ماني ، وكان منطق أرسطو قد أصبح معروفا بالنسبة للسريان منذ وقت مبكر نسبيا ، غير أنه ليس هنالك ما يوحي أن ماني قد عرفه بشكل من الأشكال ، ومع ذلك لو افترضنا أنه اطلع عليه فهو لم يشعر أبداً أنه ملزم به أو مرتبط، هذا وسبق أن استشهد بماني على اعتبار أنه ممثل للهلنستية ــ الآسيوية، ولا شك في صحة هذا ، لكن ينبغي إلقاء الالحاح على عبارة «الآسيوية» ٠ هذا وأن اكتشاف السمات الهلنستية لدى ماني والمانوية ــ على الرغم من أن المراقب الحديث لن يقع اختياره عليها على اعتبار أنها الأهم ــ

هي التي ستشغل الدور الأعظم تأثيراً في الشرق الأوسط · لقد نقلت المانوية الى الفكر الاسلامي مسألة التوقعات عن طريق الأرقام مع التنجيم والممارسات الطقوسية وجميع أنواع العلم الوظائفي الزائف ، ولا شك أنه لا يوجد هنا أي أثر للاستنتاج المنطقي ·

وبناء عليه فان عظمة ماني ومكانته التاريخية لم تمحق ، ومع ذلك يجب تقويمه حسبما كان ، وما أراد أن يكون ، أي : حامل الوحي السماوي ، ورسول النور ·

المصادر

هناك مجموعة مكثفة من الأبحاث موجودة في كتاب تابيرغ :
ص٧٠ـ٩١(١٩٣٥)٣٤ Forschumgen uber den Manidaismus ZNW
وفي كتـــاب رايس « مدخـــل الى دراســـة المانويـــة ، والمجلدة الأولى من Anolecta Eplemeridestheologicae والمجلدة الثانية من٠ ص٤٥٣ـ٤٨٢ (١٩٥٧) ٣٣ Lovanienses والقســم الثـــاني من المجلـــدة الثالثـــة Lovaniensia Biblicaet Orientalia ص ٣٦٢ ـ ٤٠٩ ، كما وهناك ثبت رائع بالمصادر (حتى عام ١٩٤٥) في « تاريخ الديانات العام » تأليف بوخ (باريس ١٩٤٧) ٣/٤٤٦ـ٤٤٩ ٠

الفصل الأول :

لقـــد جرت ترجمـــة النقش الكبير العـــائد لسابور الأول وكرتير والتعليق (بشكل مختصر بعض الشيء) من قبل سبرنغلنغ في كتـــاب « ايران القرن الثالث ـ سابور وكرتير » ـ شيكاغو ١٩٥٣ ٠

وجرت ترجمة وتحقيق نص نقش سابور العظيم الوارد بالاغريقية مع مقارنته بالنصوص الفرثية والفارسية الوسيطة مع التعليقات من قبل ماريق في بحثه Res Gestae divi saporis في مجلة سورية: ٣٥/٢٩٥ـ٣٦٠ (١٩٥٨) ٠

وجرت الاشارة الى كميات النصوص الأدبية فيكتاب هونغمان ماريق:
Recherches sur les Res Gestae divi saporis (Memooires in 8 de l'Academie royale de Belgique (lettres) XLVII Fasc 1 V)

وكتـــــاب روستوفتزف

Res Gestae divi saporis and Dura (Berytus VII / 1943 PP 17 - 60)

وكتاب انسلين

Xu Den Kriegan des sassaniden schopuri (sitzungsberilte : der Bareischen der Wiss enschalten Phil - hist Xl. 1947, S, Munich 1949)

وتعالج الدراسات التالية مختلف جوانب أحوال الآداب المعاصرة:

- Baumstark, dz, 1933, col, 345, etseq . Cumont, craib 1931 PP 233 - 250, Craib 1952, PP 238 - 260 .

ـ وبحث سيغال : « بعض النقوش السريانية من القرنين الثـاني والثالث م » • دورية معهد الدراساتالشرقية والافريقية (لندن ١٩٥٤) ١٦/١٣ ـ ٣٦ •

- Streck, Seleucia und Ktesifon, AOXVI, 3 - 4 (Leipzig 1917)

- Widen gren, « Iranisch - semitsche Kulturbegegung in parthis ther Zeit » AGF 70 (Cologne - Opladen 1960).

بالنسبة لليهود في بلاد الرافدين وإيران ، انظر :

Widengren, « quelques Rapports entre uifs et Iraniens a l'epoque des parthes » Vt, suppl, IV / 1957, PP 197 - 241 .

بالنسبة للمسائل المرتبطة بالمسيحية السورية ، يظل أفضل وصف يمكن أن يوجد في كتاب بوركت « المسيحية الشرقية المبكرة » (لنـدن ١٩٠٤) ويمكن أن يقارن بهذا الكتاب كتاب : Hellenes mus

Baumstark « Ostsy Ris ches chris ten tum und osts yrischer mces, Romis che quartol schript 1908, PP 17 - 35, وكتـــــاب :

Bauer Rechtglaubigkeit und Ketzerei in altesten chris tentem (Tubingen 1934).

وكذلك في بحث وايدنغرين « عناصر رافدية في المانوية » UUA ١٩٤٦ـ٣

ـ من أجل بعض المصطلحات م:ل « بولسا وحولا وناموسا » انظر :
Duval - Berthelot,
« La chinie au moyen age, II, paris 1893- P. 240, N. 3.
ونواجه عبارتي « حولا وناموسا » في الأدب المندعي ٠

وقد جعل هرنك « مرقيون » موضوع بحث مفصل هو « مرقيون :
das Evangelum vom Fremden Gott
هـي دراسة ينقصهـا التحليل الديـنـي (ليبزغ١٩٢١)

لا توجد دراسة حديثة عن ابن ديصان ، يمكن ـ على كل حال ـ الاستعاضة عن ذلك بدراسة :
Cckaeder « Bar desanes von Edessa » ZKGLI / 1932 PP 21 - 24.
وقد جرى انزال المزيج الغنطوسي في فكر ابن ديصـان الى الحضيض ٠

ـ جرت في السنوات الأخيرة ترجمة « أغنية اللؤلؤة » ثلاث مـرات الى الألمانية :
Adam, « Die Psalme ndes thomas und dos perlenliecr alszeugnisse vars christlicher Gnosis, Beih ZNW 24, Berlin 1959. Widengreen, «Iranische Geistes nelt (Baden - Baden 1961) PP 256 - 262. Bornkamm, « Hand-buch d. neutest Apokryphen, II, PP 349 - 353 .
والحقيقة القائمة في هذه القصيدة هي أن «سلوقية» لم تكن قد غدت عاصمة مملكة الفرثيين ، وهـي تستدعي الانتباه ، وهـذا يدعـو الى الافتراض أن تاريخها أبكر عندما كانت العاصمة ما تزال في الشرق ٠

وجرت معالجة عبادة مثرا في بحث مشهور لكن قديم تأليف كومونت بعنوان : « عبـادة مثرا » (الطبعـة الثالثة ليبزغ ١٩٢٣) ، ويمـكن مقارنـة هـذا البحث بالموضوع الـذي كتبـه وايدنغرين بعنـوان
« Stand und Auchgoben der Iranischen Religionsgeschichte »
(ليـدن ١٩٥٥) ص ١١٣ ـ ١٢٠ (كذلـك في نومـن ١/١٩٥٤ ١٩٥٥/٢) وهناك مختصر سريع في « كتاب الشرقيات » : ٤٤/٢/٧ ـ

٥٥ ، ومن المهم معرفة أن المثراوية قد عثر عليها في أوروك (انظر :
Lenzen XIV, vorlaupiger Bericht... PP18 - 20
و٧ـ٨و٤٥ ، وانظر أيضا
Widengren, « Die Religionen, stuttgary 1965, PP 222 - 32).
من أجل بداية ظهور وانتشار اليهودية الايرانية الغنطوسية ، انظر كتاب دورسي « أوراق سرية غنطوسية مصرية » باريس ١٩٥٨ ص ١٧٠ ٠٠٠٠

بالنسبة للمندعية يوجد الآن وصف عظيم التفصيل في كتاب « المندعية » ١ ـ ٢ ٠ (كوتنجن ١٩٦٠ ـ ١٩٦١) وهنالك معالجة قصيرة للموضوع في بحث وايدنغرين «المندعية» في مجلة كتاب الشرقيات: ٨٣/٧ ـ ١٠١، والآراء في الجهتين متطابقة حول الأصل الغربي للمندعية ٠

إن موقف رودلف حول الأسطورة المندعية المعروفة باسم « حران كويثه » ومسألة العلاقة بين المندعية والفرثيين قائم على أساس موضوعي وهو غير مقبول لدي انظر بحثي المندعية : ٥٥/١ ٠٠٠ ومن جانب آخر أنا متفق مع كوخ (ط٠ ١٩٥٧) ص ٤٠١ ـ ٤٠٨ ٠

جرت معالجة العلاقة بين الديانة الايرانية أيام الفرثيين والثقافة السامية في بحث وايدنغرين:« العلاقات بين الثقافات الايرانية والسامية في عصر الفرثيين » بالنسبة للزروانية انظر بحث زاهنر « زروان والمعضلة الزروانية » (أكسفورد ١٩٥٥) وبحث وايدنغرين : « Stand und Aufgaben » ص ٨٨ وما يليها ٠

الفصل الثاني :

بالنسبة لحياة ماني يبقى كتاب بوخ« المانوية ـ المؤسسوالعقيدة » باريس١٩٤٩ أفضل دراسة حديثة مفصلة يمكن الاعتماد عليها ، وطبعا

هناك مسألة أو مسألتين يمكن تعديلهما على ضوء المواد الجديدة ، ومن أجل تأريخ صحيح معتمد حول رحلة ماني الى الهند واجتماعه بشابور ، يمكن العثور عليه في بحث ماريق ، وهذا البحث عظيم الأهمية للتأريخ للفترة الساسانية المبكرة بشكل عام ، حيث يجري عرض القضايا بشكل تدريجي ويتم تأييدها بمنطق صحيح (ويستحق ما جاء في مجلة سورية ١٩٥٨/٣٥ • من روايات اهتماما خاصا) فقد جرى هنا تبني التواريخ التي اعتمدها نولدكه •

وجرى ايجاد حل دائم لمسألة أصل ماني في بحث هننغ في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية • لندن ١٩٤٣ : ٥٢/١١ • التعليق ٤ •

بالنسبة لدعوة ماني من قبل « التوم » الرسول السماوي ، انظر بحث وايدنغرين : « فوهومنـــه العظيم ورسول الرب » UUA ١٩٤٥ و ٥ ص ١٠ ـ ٤١ ، وينبغي تذكر ما سلف قوله في هذا الكتاب ص ٢٥ حول الحياة الصوفية لماني • انظر كلمنت Stromata, III 6- 48, 3.

بالنسبة للوضع الديني والسياسي أيام حكم أردشير وشابور ، انظر: Wikander, « Feuerpries ter in Kleinasien und Iran (Lund 1946) خاصة الصفحات ١٢٥ ـ ١٩١ و بحث وايدنغرين: « Stand und Aufgaben » ص ٥٨ ـ ٧٧ ، ١٣٧ ـ ١٤٥ •

جرى سوء فهم المصطلح الهام « المساعدون » من قبل هننغ في بحثه في مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية : ١٩٤٢/١٠ ص ٩٤٩ فترجمه « أصدقاؤه » •

ينبغي الانتباه الى أن كرتير المذكور في ص ٣٩ على أنه ابن أرطبان والذي ورد ذكره في نقش شابور هوليس عــدو ماني الكبير كما حدده هننــغ بشكل خاطيء في بحثــه في مجلة معهــد الدراسات الشرقيــة : ١٩٤٢/١٠ ، وهي غلطة تباها بوخ ، وقد صحح هذه الزلقة أحيانا •

يمكن الاستفادة من النص « م ٤٧ » والاستنتاج أن ماني كان قادرأ على التحدث مع الأمير مهرشاه بلغته الخاصة ٠

الفصل الثالث :

لا بد من العودة ثانية الى دراسة بوخ المعتمدة ، وقد جرى تقديم وصف رائع وشامل لنظام ماني من قبل بولوتسكي في دراسته بعنوان « المانوية » ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ ، ولقد حاولت الالحاح بزيادة على الخلفية الايرانية وخاصة مسألة الصلة مع الزروانية ٠

وجرى وضع تصميم الصفات الروحية الخمسة القائمة في الرب من قبل شيدر ص ٢٨٥ وذلك بالنسبة للاغريقية والسريانية ٠

أما بالنسبة للحوار المقدم في ص ٥١ وما يليها وحول رواية ثيودور بارقونيه بشكل عام ينصح القارىء الى الترجمة الألمانية الصحيحة التي قدمها شيدر ص ٣٤٢ــ٣٤٧ وجرت مناقشة الكلمات : « تابشلام ميتي/ تيغرط شينا وشلاما » من قبل وايدنغرين أثناء البحث في العناصر الرافدية ص ٩٤ وما يليها ٠

وجرى فحص فكرة « نؤوس العظيم » من قبل وايدنغرين في « فوهومنه العظيم » وتمت ترجمة النص الوارد في القفالايا الحاوي لعبارة « نؤوس العظيم » لكن لم يحقق بعد : انظر

Bohlig « Wissenschaftl, Zeitschrift der Martin - Luther - Unirerstat 6 Halle - Uittenberg, V, No. 6 / 1956, P 1083.

ومن أجل فكرة « مزج » انظر :

Kephalaia CXXI. « Nyberg, A 1931, P 29 et, seq

بالنسبة لـ « أرتفزد » في التقاليد الأرمينية الرائجة ، انظر :

Wikander, « Feuer Priested, P. 99, et seq.

لقد توجب على الاسم السرياني Splenditenens انتظار تصحيحه من قبل بولوتسكي نهائيا ، وغدت القراءة بشكل عام « صفط زيوا »وتقوم الصعوبة في ندرة وقوع الفعل « صفت » لكن تجد حلها إذا جرى تقبل أن لهجة « ف » يمكن استبدالها ب « ب » وأن « صافط زيوا » تساوي العبارة الأكادية « صابت زيم » وتعكس التصاميم الاغريقية واللاتينية المعنى نفسه تماما ، انظر المناقشة في بحث روزنتال :

:Die aramaistische Fonchungseit theodor Noldekes veroffentli chungen (Leyden 1939) P. 151 .

ومن أجل وجهة نظر أبكر انظر : كومونت « أبحاث حول المانوية » بروكسل ١٩٠٨ ـ ١٩١٢ ص ٢٢ ، الحاشية الأولى مع تعليق من قبل كوغنر وبوركت « ديانة المانويين » كمبردج ١٩٢٥ ص ٢٨ ٠

وفيما يتعلق بالمحيط وربما الخلفية الرافدية ، انظر : كومونت « أبحاث حول المانوية » (١٩١٥/٧٢) ص ٣٨٤ ـ ٣٨٨ ٠

ينبغي مقارنة صعود عناصر الضياء مع النص الوارد في Kausitaki - Upanishad I. 2 فيما يتعلق بفكرة مرور الأرواج عبر طريق المجرة ، انظر « ما بعد الحياة في الوثنية الرومانية » تأليف كومونت (نيوهافن ١٩٢٣) ص ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٥٢ ٠٠٠٠

ويمكن ايجاد دراسة خاصة حول فكرة « بغي الأراكنة » في كومونت « أبحاث » ص ٥٤ ـ ٦٨ ، وقبل كل شيء لدى :

« Benveniste, mo XXVI / 1932 - 33 »

وفيما يتعلق بالتوقعات الطبية المتصلة بالأصل و « بنيوما » انظر :

Olerud « L'idde de macrocosmos et de microcosmos le tine de platan » (Uppsalo 1951) PP 58 et seq, 92 et seq, 97,

وانظر أيضا : Schumacher. Antiké medizin, I » (Berlin 1940).

الفصل الرابـع :

ـ عالج بوخ عقيدة الفداء المانوية في دراسة خاصة ، ومن أجـل فكرة الفداء في المانوية انظر :

« Vide Eranos Jahrbueh » 1936, Zurich 1937, PP. 183 - 286 .

ـ بالنسبة للاسم نامرائيل ، انظر الدراسة التي قام بها فورلاني

AANDL, Ser VIII- Vol VI / 1951 » PP. 519 - 531.

ـ ماتزال قراءة اسم «أشقلون» بشكل صحيح وتفسيره موضع شك، وعلـى مستوى الشكل فقط يمكن اعتبار الاسـم علـى أساس شـكل « الأفعال » من الجـذر « شقل » مع نهايـة « أون » التي هي عـامة في السريانية ، وبذلك غدت الكلمة « أشقلون » لكن لا يمكن المضي أكثر من هذا ٠

ـ تعود السمة الانسانية وأصولها الى بوخ في بحثه « المانوية » ص ٨٠ ٠

ـ فيما يتعلق بصيغة الماضي والحاضر والمستقبل، انظر وايدنغرين (ZRGG / 952. P. 103) الريغفيدا : ١٠/٩٠/٢ حيث تقدر قدمها ٠

بالنسبة لمصطلح« العصاة »انظر وايدنغرين: « العناصر الرافدية » ص ٤٢ ٠٠٠ و « محمد رسول الله » UUA ١٩٥٥ : ١/١٦٢ـ١٦٤ ٠

جرت دراسـة الخلفيـات الرافدية للمانوية في كتـاب وايدنغرين « العناصر الرافدية » ويمـكن الآن اضـافة بعض الأشياء لاستخلاص برهان هناك، ولا يمكن الدخول هنا في مناقشات صادرة عن هذا الكتاب٠

ـ ذكر رتزستين في كتابه :

« Varchristliche Erlosungslehren- KA 92 / 1922, P 188 etseq » :
النظير الهندي للفكرة التي جرى ذكرها في متن الكتاب ص ٦٢ ٠

ـ بالنسبة للميول « الغنطوسية » في الديانة الهندية ـ ايرانية انظر وايدنغرين « ZRGGLV / 952 PP. 97 - 105 »

ويمكن ايجاد انعكاسات وجهة النظر التي اتخذها بولوتسكي في متن الكتاب في الصفحة ٦٣ ، انظر كتابه :

« Ein Mani - Fand in Agypten » (Berlin 1933) P 71 :

وقد جرت معارضة ذلك حديثا من كلوب :

« Die religions geschtliche schule » (Gottingen 1961) P 105

ـ وكشــف ويكنــدر في : « Vayu I (Lund 1941) P. 42 etseq » الخلفيات الهنديــة ـ ايرانيــة للتجسيدات اللاهوتية ، وغالبا ما جرى تجاهل بحثه الرائع وبشكل كامل أحيانا ،

ـ وبالنسبة « لهادوكست نسك » انظر وايدنغرين OLZ 1963, Cols 536 et seq »

ـ بالنسبة لتصميم كونشن كوصيفة سماوية ، انظر : « 4 : Y. 26 » وللترجمة الفهلوية انظر : بيلي « مشاكل زروانية » (أكسفورد ١٩٤٣) ص ١١٥ ـ وايدنغرين « ZRGGIV / 1952, P 113 »وعــالج وايدنغرين فكرة الكنز بشكل مختصر في : « فوهو منه العظيم » ص ٨٤ـ٨٦ .

ـ يمكن ايجــاد الحكايات الأوستكية ليبترادز في بحث دومزيل : « Legendes surlesnartes » باريس ١٩٣٠ ص ٥١ ..... وتستحــق فكرة أندرياس الفحص الدقيق ، ويمكن ايجاد بعض الملاحظات النافعة في بحــث فوتشــر « La vieille route de L'Inde II (Paris 1947) P 293 »

وجاء تفسير جاكسون (JAOS 45 / 1925) جــاعلا التأريخ مبكراً للمواد الأخيرة،وبالنسبة لما جاء في ص٦٧ ينبغي ملاحظة أن النص(T. M. 180) قد جرى تحقيقه من قبــل لي كوق في بحثه :

Turkische manichaica aus chotscho, II (Berlin 1919) P 5 et seq.

إن « فــزرغ كاريكــار » هــو اســم آخــر « للحــرب العظيمــة » « AZXVI. 35)

الفصل الخامس :

إن قول ليدزبارسكي: «كتابة ماني الآرامية؟» (OLZ 1927 Cols. 913 - 917 » قد قدمه بمثابة رأي قصد به أنه في الوقت الذي اختار به الكتابة الآرامية البابلية لكتاباته ، اعتمد أيضا على لغة بابل الآرامية (Col. 414) ولا بد من الموافقة من جهة أخرى مع بوركت بأن قطع البردى التي وجدت في مصر تظهر بشكل واضح أن ماني قام فعلا بصياغة كتاباته بالسريانية ، وتشير القطع الشعرية التي احتفظ بها ثيودور بارقونية ، التي كتب حولها شيدر مقالة مدهشة (Ein Lied von Mani, ILZ. 1926. Cols. 104 - 107) الى نفس الاتجاه ، ولا يمكن الموافقة على الرأي الذي روج له ليدزبارسكي في دراسته : « الكتابة المانوية » (SBAW) ١٩١٦ ص ١٢١٣–١٢٢٢ ، لأنه وصل بين الكتابة الآرامية والتدمرية، وسعى الى ايجاد نقاط توافق بين الأبجدية المانوية والكتابة التدمرية البدائية ، وقد جرى عرض التشابه الشديد بين الكتابة المانوية والبابلية في الصور التي جاءت في ص٢٦ من مقال مونتغمري – جامعة بنسلفانيا • مجلة المتحف (١٩١٢) ٣ / ٢٠٧–٢١١ ، وتتوافق نتائجه مع نتائجي بشكل كبير ، وفي ضوء الأحوال الحالية ليس من المستبعد أن يكون ماني قد استخدم بعض التعابير القريبة من اللغة القديمة والقريبة أيضا من السريانية الرهاوية وأنه لم يستخدم اللسان الآرامي الشرقي ، ومع ذلك تبقي هنالك احتمالات أن ماني تبنى في فترته المندعية المبكرة بعض المصطلحات مثل : بان ، ربى ، صافط ، زيوا ، وبعض الخصوصيات الأخرى ، الأمر الذي لا يمكن بحثه هنا •

ما تزال الرواية الوحيدة هي التي لدى ألفارك : « Lec ecritures manicheennes, II » باريس ١٩١٩ ، ولقد كان هذا عملا رائعا في ضوء المعلومات المتوفرة آنذاك ، إنما على ضوء المعلومات المتوفرة الآن ينبغي اعادة النظر والتعديل •

بالنسبة لشاهبهرغان انظر بويس « فهرس المخطوطات الايرانية في الكتابات المانوية في المجموعة الطرفانية الألمانية (برلين ١٩٠٦) ص٣١٠ (مخطوطة ٤٧٠) ٠

بالنسبة للانجيل انظر بويس (نفس المصدر) ص : ٣ (مخطوطة ١٧) ١٣ (مخطوطة ١٧٢) ٤٤ (مخطوطة ١٦٤٤) ٤٩ (مخطوطة ٧٣٣) ١٠٩ (مخطوطة ٥٤٣٩) ٠ وبالنسبة لكنز الحياة ص ٦٢ (مخطوطة ٩١٥) ٠

بالنسبة لكتاب الجبابرة، انظر هننغ (BSOASXI / 1943, PP 52 - 74) حيث جمعت الأجزاء المتوفرة ونقشت ، ووقع في النقوش الآرامية لكل من الحضر وتدمر اسم « عوجا » الذي يدعو الى الافتراض بتعايشه مع « عوجيا » الذي نعثر عليه في كتاب الجبابرة ، انظر آيضا وايدنغرين « الثقافة الايرانية السامية في العصر الفرثي » ص ٤٥ ٠

أخبرني الاستاذ بوهلغ أنه يبدو أن غالبية الرسائل التي كانت متبقية قد تلفت خلال ظروف لها علاقة بالحرب العالمية الثانية، وبالنسبة للرسالتين غير المعروفتين انظر شمدت بولوتسكي (Ein Mani - Fumitin Agypten P. 39) وبالنسبة لأجزاء الرسائل في الايرانية الوسيطة انظر بويس « الفهرس » : ص ٢٩ (مخطوطة ٤٥٥) ص ٤٦ (مخطوطة ٧٣١ ومخطوطة ٧٣٣) ص ٥٤ (٨٠١ أ) ٦٠ (مخطوطة ٨٨٢) ص ٦٩ (مخطوطة ١٢٢١ ومخطوطة ١٣١٣) ص٧٣ (مخطوطة ١٥٢٤) إن قائمة برسائل ماني موجودة في الفهرس للنديم ٠

بالنسبة للقطع المتبقية من الايرانية الوسيطة انظر بويس (الفهرس) : ص ٢ (المخطوطة ٣) ص ١٧ (مخطوطة ٢٣٦) ص ١٩ (مخطوطة ٢٧٠ أ) ص ٢٩ (مخطوطة ٤٥٤/١ ـ سيئة النسخ ـ)

ص ٣٧ (مخطوطـة ٥٢٣) ص ١١١ (مخطوطـة ٥٥٦٩) ص ١١٨ (مخطوطة ٦٠٣١) ص ١١٩ (مخطوطة ٦٠٣٣) ٠

وجرى البحث باختصار فيسمات القفالايا منقبل شمدت بولوتسكي المصدر الســابق ص ١٧ــ٢٣ ، وبشكل مفصــل من بوهلغ : « مشاكل مانويه » (ميونخ ١٩٥٣) ٠

وبالنسبة لنشاط حواريي ماني المقربين انظر بويس (الفهرس) وقد قدمت التفاصيل على الصفحة ١٢ ــ الفقرة : ١٢ ٠

ــ ظهرت الاكسفاستفانيفت في الترجمة المحققة للنص التركي وقد أرفقت بتعليقات رائعة وذلك من قبل بنع : « Museon XX XVI / 1923, PP. 137 - 242 » ٠ انظــر أيضــا أسميسن : « دراسات في المانويــة » ــ كوبنهاجن ١٩٦٥ ٠

ــ جرى تحقيق القطع الصغدية من قبل هننغ « صغديكا » ــ لندن ١٩٤٠ ص ٦٣ــ٦٧ ٠

ــ جرى نشر صلاة الاعتراف الصينية من قبل وولد شمدت ، انظر وولد شمدت ــ لنتز :
« Die Stellung Jesu in Manichaismus (Berlin 1926) P. 123 »

ــ جرى تحقيق صيغة الاعتراف المخصصة للصديقين وترجمتها مع تعليقات من قبل هننغ :
« Ein manichaischs Bet - Und Beichtduch (Berlin 1937).

ــ بالاشــارة للملاحظــة الواردة في ص ٨٣ ، أرغب بالقول أنــه بقدر ما وصل الى معرفتي فان هننغ كان أول من بين أن الاكسفشتار قد زينت بالصور ، انظــر اللوحــة ٨ ــ ب في كتــاب لي كوق « المنمنمات المانوية » برلين ١٩٢٣ ، وفيها تظهر قراءة صيغة اعترافيه ، انظــر :
« Bet - Und Beichbuch . P. 12 »

من أجل الفقرة المتعلقة بالتراتيل وآدابها ، انظر آلبري « كتاب مزامير مانوية » (ستوتغارت ١٩٣٨) وهذا الكتاب له أهمية خاصة وينبغي استخدامه خاصة بالارتباط مع الفترة التي جرى فيها تأليف كتاب « ساف ـ سودربيرغ » « دراسات في كتاب المزامير القبطية المانوية » . (أوبسالا ١٩٤٩) .

ـ بالنسبة لألفاظ المزمور الصيني ، انظر وولدشمدت ـ لنز ، المصدر السابق ص ١٢ .

ـ لقد قمت بتفحص بعض الأخطاء في الترجمة في كتابي « عناصر رافدية » ص ١٧ ، ٢٠ ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ١٢٥ .

لقد جرى تدوين مصادر القطع الزرادشتية من قبل بويس في كتاب « التراتيل المانوية في الفرثية » (أكسفورد ١٩٥٤) ص ١ ، التعليق ٦ .

ـ من أجل أدب المواعظ انظر : يانغ « Manichaishe Erahlermuseon XL / 1931, P 1 - 36 ». هننغ « حكايات صغدية » مجلة معهد الدراسات الشرقية والأفريقية ـ لندن ١٩٤٥ : ١١/ ٤٦٥ ـ ٤٨٧ ، وبالنسبة للصيغ الصغدية والتركية للبوذية انظر على سبيل المثال : بانغ ، نفس المصدر ص ٧ .

بالنسبة لمزامير توماس ، انظر : ساف ـ سودربيرغ المذكور أعلاه ص ٨٥ ـ ١٥٤ ، هذا ويمكن القول أنه يبدو أن المصطلح المندعي « أثرا » يمكن رؤيته في كل مكان يساوي عبارة « أغنياء » انظر على سبيل المثال : ساف ـ سودربيرغ ، المصدر المذكور أعلاه ص ٩١ ، وفي كتاب المزامير الثاني نجد في ص ٢٠٤ وما يليها عبارة « أخوانه الأغنياء » تساوي « اخوانه الأثرا » (الأثرياء ؟) .

ـ جرت مناقشة المصطلحات الاقطاعية في الآداب المندعية والمانوية من قبل وايدنغرين : « الثقافة الايرانية السامية في العصر الفرثي » ص ٥٨ وما يليها .

الفصل السادس :

ـ من أجل التنظيم بشكل عام ، انظر بور : « الديانة المانوية » (كوتنجن ١٩٢٨) ص ٢٦٤ ـ ٢٧٢ ، ٢٨١ ـ ٢٩٠ .

ـ بالنسبة لطبقات المؤمنين الخمسة ، انظر بوركت « الديانة المانوية » ص ١٠٥ ـ ١٥٧ .

ـ يتخذ هيننغ موقفا مغايراً بعض الشيء : آسية العظمى/١٩٥٢، انظر ما يلي ص ١٥٧ .

ـ كان رئيس الكنيسة المانوية في الجماعات الايرانية يدعى باسم « سرار » وفي الفرثية سردار .

ـ بالنسبة لرعاية « المجتبين » انظر أيضا آلبري : « ZNW XX XVII / 1938, P. 7 et seq » وقد اختصر في هذه الحالة قداسا .

ـ بالنسبة لهذا الموضوع ، انظر وجهة النظر التي تبناها بور في المصدر المذكور سابقا ص ٢٧٣ ـ ٢٧٩ . بوخ « تاريخ الديانات العام » ٣/١١١ ...

ـ بالنسبة للعلاقة بين صعود الروح والطهارة في الماء المقدس والدخول الى غرفة الزفاف ، انظر وايدنغرين « العناصر الرافدية » ١٠٩ ـ ١٢٢ .

ـ بصدد الفصل (١٤٦) من القفالايا ، انظر ملاحظة بوهلغ الى بوخ في كتابه « المانوية » ص ١٨٣ ، الملاحظة .

ـ انظر في هذا المجال بشكل خاص آلبري :
« Das Manichaischle Bema - Fest, ZNWXXXVII / 1938 PP. 2 - 10 »
النص المنقول في المتن في ص ١٠٤ ، يمكن رؤيته هناك في ص ٨ .

ـ بالنسبة للطائفة المانوية انظر أيضا بور ، نفس المصدر السابق ص ٢٨٠ .

ـ بالنسبة لفكرة أن المسيح وماني بمثابة « شجرة الحياة » انظر وايدنغرين : « العناصر الرافدية » ص ١٢٤ وما يليها ٠

ـ جرت مناقشة مصطلحات التعميد مثل « آقيم وقيم » وسواها لدي وايدنغرين في « العناصر الرافدية » ص ١٢٣ وما يليها ٠ سيغلبيرغ « مصبوتا » (أوبسالا ١٩٥٨) ص ١٥٢ـ١٥٤ ، ورودلف « المندعية » ٢ / ٩٥ (ليسا مقنعين بوجهات نظرهما) ولم تجر محاولة حتى الآن لرؤية وضعها على ممارسة الطقوس ، وفي الحقيقة ينبغي هنا توسيع الاقتراح ، ويمكن أن نضيف أن « التصوير » كان مقطعا (آفستادهيم) تجري مواجهة في التقاليد الايرانية الوسيطة ٠

الفصل السابع :

أقيم المقطع الأول على لى كوق « المنمنمات المانوية » ص ١٣ ، مع اللائحة المثبتة هناك للصور الكبيرة ٠

ـ جرى تحقيق وترجمة « ديوان آباتور » المندعي من قبل الليدي درور (الفاتيكان ١٩٥١) ٠

ـ فيما يتعلق بتصوير الكتابات الغنطوسية ، انظر آلفارك « الفن المانوي : ١ / ٢٣ ٠

ـ ويمكن ايجاد تفاصيل عن الصور في المخطوطات الهلنستية واليهودية ـ الهلنستية في كتاب وايزمان « صور على مدارج ومجموعات » (برنستون ١٩٤٧) ٠

ـ بالنسبة لمشكلة التصوير في الكتب المانوية وعلاقة ذلك بتصوير الكتب المعاصرة قد جرى اهماله حتى الآن ، وما جاء حوله في متن الكتاب يحتاج الى توسيع ٠

ـ جرت معالجة فكرة ماني كنبي من السماء في كتاب وايدنغرين « محمد رسول الله » ص ٨٣ ٠

ـ بالنسبة لمعلوماتي عن المخطوطات المانوية التي لم أستطع الوصول اليها ، اتبعت بكل بساطة لى كوق ، المصدر المذكور سابقا ص ١٥ وما يليها ٠

ـ أذكر أن كل من الشاهنامه وأغنية اللؤلؤة قد ذكرتا الحرير كمادة للكتابة ٠

ـ فيما يتعلق بنمط التصوير المانوي ينبغي القول أن تزينات الأرضيات الجميلية التي جرى اعادتها ، هي بشكل واضح تعود الى الفترة الساسانية المبكرة ولربما الى الفن الفرثي ، وهي موجودة ليس على التزيينات الساسانية للأرضيات والبحرات فحسب ، لكن على التزيينات المجوسية التي وان ظهرت بشكل ساساني إلا أنها تعود الى نمط فرثي ، انظر وايدنغرين « الثقافة الايرانية السامية في الفترة الفرثية » ص ٧٠ ٠

النص المنقول في الصفحة ١١٥ موجود لدى لى كوق ـ المصدر المذكور أعلاه ، ص ٣٦ ٠

قام أرنولد في كتابه « استمرار بقاء الفن الساساني في الصور الفارسية » (أكسفورد ١٩٢٤) ص ١٤ ـ ٢٣ بمباشرة الدراسة على أساس مدهش وبطريقة مثيرة فقد درس مثلا الطريقة التي جرى فيها تمثيل صاحب الناي في الصور المانوية وفي الفنون الفارسية الاسلامية كل على حدة ، كما أن التأثير المانوي على تطور فن التصوير في الكتب الاسلامية بشكل عام قد جرى الالحاح عليه من قبل كوهل في كتابه « منمنمات في الاسلام الشرقي » (برلين ١٩٢٣) ص ١٨ ٠

الفصل الثامن :

ـ جعلت المكتشفات الحديثة بحث دي ستوب : « انتشار المانوية في الامبراطورية الرومانية » (غنت ١٩٠٩) قديما ، وقد جاءت الدراسات المنقول عنها هنا داعمة له ٠

ـ عالج ستلاف في كتابه :

« Melanges de philologie de litterature et d'histore ancienes offertsa Alhred Ernout » (Paris 1940)PP 345 - 354

مسائل صحة وخلفيات مرسوم دقلشيان، وقد أعطى المؤلف نفسه اهتمامه الى العلاقات بين المانوية ونرسيس الملك العظيم والأمير العربي عمرو ، انظر :

« Melanges syriens offertsa M. Rene Dusssaud » (Paris 1939) PP 227 - 234 .

يبدو أن المسألة المفروضة بحقيقة أن نرسيس هو الذي نكل بالمانويين إما لم يجر اعتبارها بشكل جدي أو أنها لم تلاحظ ، وفي هذا المجال هناك نصوص هامة تعكس عَمْراً آخذا دوراً بين المانوية ونرسيس وذلك في الوثائق القبطية الباقية ، انظر : شمدت بولوتسكي ، المصدر المذكور سابقا ص ٢٨ ٠ وانظر :

« Vergote - Jaarbericht » Exoriente Luz - III 9-10/1952, PP 74-83.

حيث يعالج بشكل مختصر مسألة المانوية في مصر ٠

ـ يلح بوركت في المصدر المذكور سابقا ص ٨ ـ ١٠ على أهمية الفترة الفلسطينية اعتباراً من عام ٣٧٥ ، كما أن « حياة بروفيروس الغزي » متوفرة بتحقيق غريغور ـ كوغنر ، انظر ماركوس دياكونوس: « القديس بروفيري » (باريس ١٩٣٠) ٠

ـ بالنسبة لموقف أغسطين وعلاقته بالفكر المانوي » انظر كتاب ألفارك : « تطور ثقافة القديس أغسطين » (باريس ١٩١٩) ص ١٩٣ ، ٢١٣ ، ٥٠٧ ـ ٥١٣ ، وكتاب « الكتابات المانوية » ٢/ ١٦١ ـ ١٦٩ ٠

ـ كان فاوست أعظم ممثل للمانوية داخل الامبراطورية الرومانية (متن الكتاب ص ٤٣ ، ١٢٥) الذي لم يقدر حق قدره كشخصية ، انظر كتاب بروكنر : « فاوست بن مايلف » (بازل ١٩٠١) الذي يحوي مادة

مختصرة جيدة حول الجدل المانوي ، وقد قام بروكنر باضفاء أهمية أكبر من اللزوم على أصل فاوست ٠

ـ لقد جرى وصف تاريخ المانوية في الفترة المبكرة من قبل فجدا Vajda انظر « RSO 17 / 1938 » ص ١٧٣ ـ ٢٢٩ مع تفاصيل غنية، وجرى تقديم الاشتقاقات الصحيحة واستخدامات عبارة « زنديق »من قبل شيدر في (Iranische Beitrage » Komigsberg 1930 ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦

وفي : « Schriten der Konigsberger Oelehrten Oesellschaft »
طبعة السنة السادسة رقم ٥ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ، وقد ورد ذكر ابن المقفع من قبل المسعودي في المروج : ٢٩٣/٨ مع آخرين أنهم ترجموا كتابات ماني وابن ديصان ومرقيون ٠

بالنسبة للجدل الاسلامي المانـوي ، انظر نابيرغ المصـدر السابق /١٩٢٩ ٤٢٥ ـ ٤٤١ ، وهنالك مناقشة نافعـة من قبـل غويدي في « La lottra tra L'Islane il Manicheismo » (روما ١٩٢٧) حيث جرت ترجمة النصوص ذات العلاقة وتحقيقها ٠

جرى تحقيق مواد الشهرستاني من قبل كورتون بعنوان « كتـاب الديانات وفرق الفلاسفة » (ليبزغ ١٩٢٣ ـ ط ثانية) وهناك ترجمة قام بها هاربروكر :
« Religionss parzheien und philosophenschulen »(Halle 1850)
وقد غدت هذه الترجمة في كثير من جوانبها قديمة ٠

ـ إن النظريات المانوية بالجدل موجودة لدى المسعودي في مـروج الذهب : ٣/ ٤٣٥٠٠٠ ط٠ بافت دي كورتيل وبربيردي مينارد، وينبغي مقارنة النص الموجود في « البنداهشن » تحقيق أنكلساريا ص ١٦ مـع هذا النص ، وهناك ترجمة قمت بها متوفرة في ص ١٣٠ وما يليها من :
« Olerccd - Lɩdee de macrocos mos ».
وفي ص ٦٦ وما يليها من : « Iranische Gesiteswelt »

وكذلك من قبل زيهز في ص ٣١٨ من كتاب زروان ـ معضلة زرادشتيه » (أكسفورد ١٩٥٥ » ٠

ـ جرى وصف تاريخ المانوية في الصين من قبل تشوفانس وبلليوت في « بحث حول نشاط المانوية في الصين » ـ المجلة الآسيوية ١٩١٣ص٩٩ ـ ١٩٩ ، ٢٦١ ـ ٣٩٤ ، حيث هنالك مواد غنية جداً ، كما وجرت ترجمة وتحقيق الرسائل الصينية والتعليق عليها من قبلهما في نفس المجلة (١٩١١) ص ٢٩٩ ـ ٦١٧ ٠

وجرى نشر ملف التراتيل الكبير من قبل وولد شمدت ولنزفيوترجم بشكل كامل من قبل « Die stellung Jesu in Manichaismus » تسوي ـ تشي في مجلة معهد الدراسات الشرقية والافريقية (١٩٤٣ ـ ١٩٤٦)١١/١٧٤ ـ ٢١٩ ٠ وينبغي آن يضاف الى هذا القطع الصغدية، وقد صدر نص محقق منها من قبل هننغ وهالون « دراسة مكثفة لعقيدة ونمط تعليمات ماني والبوذية حول النور » ٠ آسية العظمى (ن٠س ٢/ ١٩٥٢ / ص ١٨٤ ـ ٢١٢ ٠

وبالنسبة للأحوال في المملكة التي أرستها قبيلة الايغور نمتلك الآن دراسة رائعة من قبل : أ٠ فون نمابيان :
« Das Vigurische Kunigr eichvon chatscho »
(برلين ١٩٦١) وقد لاقت الجوانب الحضارية المختلفة ما تستحقه من عناية ٠

الفصل التاسع :

إن الصورة التي قدمت هنا تختلف بشكل كبير عن الصورة التي رسمها جاكسون في بحثه في مجلة معهد الدراسات الشرقية والافريقية ١٩٣٨/٥٨ ص ٢٣٣ ـ ٢٤٠ ، وقد آثار شيدر سؤاله في
« cerform und Fortbildungen des Manichaischen systems »

(أعيدت طباعتــه من مكتبة محاضرات وربيرغ ٤ / ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ ، ليبزغ ١٩٢٧) ص ١٢١ ٠

ــ يمكن الوقوف على موقف بوخ المختصر في « المانوية » ص ٧٣ حيث قال :

« Malgre toutes ses ambitions, dans le Manicheisme comme dans tout gnosticus me, cette science que se croit pure Rauson se resout en mythes ».

ويمكن قراءة وجهة نظر بوخ المنقولة في ص ١٣٨ في « المانوية » ص ٦٩، ووجهة نظري التي أثبتها هنا تقول أنه من غير الممكن بالنسبة لي قبول النظرية التي طرحها شيدر في :

« Urhorn umt Fort bildungen des manichaischne systems »

وقد تبنى هنا فرضية بوركت الواردة في « ديانة ماني » وعلى أساسهــا اعتبر ماني مسيحي غنطوسي حتى أنه ذهب من هذا الى القول بأن نظامه يشغل دوراً جميلا في المسيحية (كــذا) وعميقا (كــذا) المصدر ذاتــه ص ١٥١ ،ولا شك أن مسيحيتها غريبة حقا سواء أكانت جميلة أمعميقة، ففرضية هذه المسألة والحكم فيها ليس قائما على اعتبارات أكاديمية ٠

وفي الوقت نفسه (المصدر ذاته ص ١١٨) يتابع شيدر قوله بــأن التنظيم المانوي بأكمله وافتراضاتــه واقتراحاته هي أمور معروفــة في طريقة التفكير الاغريقية وبطرائق التعليم الاغريقية ، وهذا هو السبب الذي جعله يقدم أولا في ص ٥٧ وقبل كل شيء « الأفكــار الهلنستية في جذور النظام » وتبع هؤلاء بمــا دعــاه باسم الامتدادات التــي شملت المصطلحات السريانية والايرانية الوسيطة للأفكار الأساسية ، وكانت نتيجة هذا حالة من التناقض ، لم يلاحظها شيدر كما هو واضح ، فهو قد وسم أفكار ماني والأسماء التــي استخدمها في كتاباته بأنهــا امتدادات (Fostbildungen) بينما دعا الأفكار الاغريقية التي لم يستخدمها قط

والتي لم تشكل جزءاً من لغته الأشكال الأساسية « Urform » ولا شك أن هذه حالة شاذة من عمليات بناء الحقائق ٠

وليس هنالك من شك أنه في الفترة الأخيرة من حياة ماني ، تأثر ماني الى درجة ما بالمسيحية،وأصبح المسيح يعني بالنسبة له أكثر من ذي قبل،لكن هذا جاء بشكل رئيسي لاعتبارات تبشيرية،ولاشك أنه باتواضحا الخلاف بين ماني والمانوية من جهة والمسيح والمسيحية من جهة ثانية ، ونرى مبالغة أخرى على أهمية المسيحية بالنسبة لماني في بحث وولد شمدت ــ لينز السابق الذكر ، وقدم بيترسون مقارنة في « الآداب اللاهوتية » ١٩٢٨ / ٢٤٦ حيث قال : « ولهذا كان ضروريا أن يحمل المخلص اسم يسوع ، وهذه لم تكن نقطة مساومة في نظام ماني ، وفي تاريخ الديانة نجد في هذه الحالة ، أن النظام وحده ، وليس الاسم هو الذي ربط بشكل عرفي ، ويمكن أن يستبدل بآخرين لهم الأهمية »٠

وكان بوهلغ في بحثه « التأثير المسيحي في المانوية » في مجلة الجمعية الآثارية ١٥/١٩٦٠ ص ٤١ ــ ٦١ ، حذراً جداً في تقديره للعناصر المسيحية ، ومع ذلك لا يبدو أنه ضروريا للموضوع أو أساسيا ، أن يجري الاهتمام بالبنية الايرانية ، لأن الأمور التي ذكرت في الموضوع الحالي لم تعرها الاهتمام في أي مكان ، والتحد الذي يثيره بيترسون فيه بعض الفائدة لبوهلغ أيضا ، فقد كان يمكن ليسوع بالنسبة للمانوية أن يأخذ اسما آخر ٠

ولقد أوضحت في ص ٧٢ أن ايران كانت لها حدودها مع العالمين الشرقي والغربي ، ونتيجة لذلك فان الشكل الرافدي الايراني للنظام يمثل بنيانها الأساسي في حين كانت الأشكال المسيحية والبوذية من المانوية امتدادات لها ٠

الملحق الأول

ترتيلة الروح(*)

مقدمة أولى ـ الغنطوسية :

الغنطوسية هي مصطلح عام يطلق على سلسلة عريضة من نظم التأملات الدينية التي تتماثل في نظرتها الى أصل الانسان ونهايته ، وهي تعتبر من الناحية الرسمية بمثابة هرطقة من الهرطقات المسيحية في قرونها الأولى ، ولقد بات من المقرر ـ الآن ـ أن الغنطوسية سبقت بتاريخها قيام المسيحية ، فبعض الطوائف الغنطوسية مثل « الفالنتيين Valentinians والهرامسة في مصر ، والمندعيين (الصابئة) في جنوب العراق ـ الذين ما زالوا موجودين حتى يومنا هذا ـ كانوا من حيث الأصل وثنيين بشكل محض ، ويلاحظ أنه في التاريخ المبكر للكنيسة كانت الحدود بين الأرثوذكسية والهرطقة عائمة ، فبعض المفكرين الأوائل الذين تميزوا بطابعهم الغنطوسي قد اعتبروا أنفسهم مسيحيين مثل : مرقيون (ق ثاني م) وأورغن (أوائل ق ثالث م) علما بأن هذين قد اعتبرا كفاراً فيما بعد من قبل الكنيسة الرومانية ، حتى المانوية التي كانت فيما مضى منافسا رئيسا للمسيحية قد أبدت بعض التشابه مع الغنطوسية .

وكانت جميع الديانات الغنطوسية ديانات تعتمد عقيدة الخلاص [الفداء] التي تسلط الأضواء على مصير روح الانسان بعد وفاة الجسد ، وأداة « الخلاص » هي « غنطس » التي تعني المعرفة [أو

★ مشهورة أيضا باسم « أغنية اللؤلؤة » وهكذا وردت في نص الكتاب .

العرفان] ، إنما هذه المعرفة المشار اليها لها علاقة شبه معدومة مع العقل والمنطق ، ذلك أنها تهتم بفهم الأشياء المقدسة مثل عرفان الرب ، والمعرفة الضرورية للخلاص ، وهذه الغنطسة لا تتحصل من العقل أو به بل من خلال نوع من الالهام الداخلي أو الوحي ٠

والاله في الغنطوسية إله بعيد وغريب ، يقطن في مملكة النور بعيداً جداً عن الكون وهو لم يخلق الكون ، ولا يعبأ به أبداً ، وذلك أن التورط مع العالم الصغير يمكن أن ينقص من كماله ، أما الكون فقد أوجد وحُكم من قبل أرباب أدنى ، وكان خلق هذه الأرباب هو الموضوع الرئيسي للتأملات الغنطوسية ٠

ودفعت ضرورة المواءمة بين إله الخير القادر وبين وجود الشيطان الى قيام سلسلة واسعة من الميثولوجيا الذكية التي سردت فيها تفاصيل أخبار الخليقة بشكل دقيق ومرتب وذلك في مناطق مصر وسورية والمناطق التي لم تنتشر فيها أشكال الغنطوسية الثنوية ، ذلك أنه كان لدى غنطوسية ايران الثنوية مهام أبسط ، بتبني مبادىء تقول بالتعادل بين النور والظلام ، وهي بذلك من الممكن القول أنها اعتبرت العالم شراً دون الاساءة المسبقة الى خير النور ٠

وتشبه الأرض في الميثولوجيا الغنطوسية النقطة الداخلية القصوى لسجن واسع ، وهناك شبه كبير بينها وبين العالم السفلي لدى الاغريق أو الجحيم المسيحية ، والأرض محاطة بالعادة بعدد من الأكوان تدور حول نفس المحور عددها سبعة ، مع أن بعض المفكرين الغنطوسيين يرفعون عددها الى أكثر من ذلك ، وحكم كل كون من الأكوان أركون شرير من بين سبعة أراكنة أشرار (ربط اسم كل منها بكوكب من الكواكب السبعة) وتنتظم شؤون الكون الثامن ـ وهو أبعدها ـ بالنجوم الثابتة ، وحدد استبداد الأراكنة القدر أو قانون الطبيعة ٠

وكما أن الأرض محاطة بسبعة أكوان كذلك روح الانسان مغلفة بسبعة أغلفة وهي الطباع أو الميول التي تشكل النفس ، والنفس مثلها مثل الجسد هي من مخلوقات الأراكنة الذين أضفوا عليها طبيعتهم الشريرة ، والروح فقط التي هي الشعاع المقدس تحتوي على عناصر نورانية أساسية وهي لذلك نقية ، ففي الفوضى الواسعة التي سبقت خلق العالم وقع جزء من الأشعة النورانية في شراك العالم المادي ، وقد جرى تكوين جسد الانسان خصيصا ليمسك بهذه الاشعاعات ويمنعها من النجاة ٠

وهكذا نجد أن قوام الخلاص هو تحرير الروح من سجنها الجسدي، فبذلك يمكنها أن تصعد الى عند الله ، هذا وقد سبب لها تعايشها الطويل مع الجسد نسيان أصلها السامي وطبيعته الحقة ، وبعبارة أخرى سبب لها الجهل ٠ وبناء عليه فالجهل هو المعادل الغنطوسي للذنب ، والخلاص من الجهل هو المعرفة التي تقود نحو الخلاص الذي لايتوصل اليه الانسان بدون عون نيل هذه المعرفة المُخلِّصة ، وهو يحتاج الى مخلص يريه الحقيقة ، ويقود روحه خارج سجنها المظلم ٠ ويصل المُخلِّص ـ الذي هو مخلوق غير مباشر للاله ـ الى الأرض متنكراً في جسد أرضي من أجل خديعة الأراكنة ، ويقوم بايقاظ شعاع النور المكبل من نومه ، ويعلمه كلمات المرور السرية التي هي ضرورية للتفوق على الأراكنة ، وجعل العبور للروح ممكنا من خلال الأكوان السبعة ، وهو ـ أي المُخَلِّص ـ الذي يقود الطريق ، وفي نهاية الحياة الدنيا سوف تتجمع أجزاء النور المفقودة فوق ، في مملكة النور ٠

وتنطلق مُثل الغنطوسية ومقاصدها من هذا التصور الكوني على أساس أن الجسد ورغباته هما شر لأنهما يمنعان الروح من الخلاص ، وبناء عليه تشجع الغنطوسية اللامبالاة تجاه الجسد، ويمارس الصديقون من الغنطوسية صنوفا متطرفة من أشكال الزهد والرهبانية ٠

والمعلومات الحديثة حول الغنطوسية هي فتات، لأن كتاباتها المقدسة جرى تدمير معظمها بوساطة الملاحقة اليقظة للأثوذكسية المسيحية ، لكن ليس هنالك من شك في أن الغنطوسية كانت عبارة عن قوى دينية فعالة في القرون المسيحية المبكرة ، وهناك النظائر الصارخة ، ومعالم الشبه الشديدة بين العقائد المسيحية والغنطوسية ، فعلى سبيل المثال نجد أن في عملية تقسيم القديس بولص الانسان الى : روح ، ونفس ، وجسد ، ـ التي لا نظير لها في اليهودية ولا تشابه ـ برهان محرج لآباء الكنيسة المسيحية ، هذا ويلاحظ أنه لم يكن للغنطوسية كنيسة واحدة ، وفي الحقيقة إن في اقدام الغنطوسية على الالحاح على الالهام الداخلي تشجيع للتوقعات الفردية وهو منتج للعديد من الفرق ، ولا شك أن هذا التمزق يضاف إليه أعمال التنكيل المسيحية الدؤوبة قد أسهم اسهاما كبيراً في اختفائها النهائي ، لكن مع هذا تظل الغنطوسية مع قريبتها المانوية ـ بحكم كونهما جزءاً من العالم الفكري الذي تأصلت فيه المسيحية ـ بلا شك معلما واضحا فوق التفكير الديني للغرب .

مقدمة ثانية ـ ترتيلة الروح :

إن ترتيلة الروح عبارة عن نظم غنطوسي يرقى بتاريخه الى القرن الثالث للميلاد ، وقد وصلتنا كجزء من « أعمال القديس توماس » وهو مصنف غنطوسي أبو غرفاوي(*) له ميول تأملية تأويلية، كان هدفه وصف مهمة الرسول توماس في الهند ، ومع أنه من المفترض أن تكون ترتيلة الروح قد جرى نظمها من قبل القديس توماس في سجن هندي فان لها علاقة ضئيلة مع بقية أجزاء الأعمال، ومن المؤكد أنها سابقة لها بالتاريخ، وهذا الشعر متوفر الآن في كل من الاغريقية والسريانية على أنه من الواضح أن السريانية هي الأصل ، ومن الممكن أن كاتبها هو ابن ديصان

★ غير معترف به رسميا من قبل الكنيسة .

الذي كان غنطوسيا سوريا تمتع بشهرة كبيرة (وجد في حوالي ٢٠٠ م) وهو مؤسس أدب اللغة السريانية ٠

وتروي الترتيلة عقيدة الخلاص الغنطوسية ـ التي هي عقيدتها المركزية ـ على شكل حكاية ، فالأمير هو المُخَلِّص الذي جاء الى العالم ليوقظ أجزاء النور النائمة ، واللؤلؤة هي الرمز الغنطوسي للضوء المكبل ، فهي كنز مشع محاطا بما يشبه الكهف من الصدف الحيواني . المخبأ في الأعماق المظلمة ، لكن يلاحظ أنه مع ازدواجية الرموز التي هي سمة للميثولوجيا الغنطوسية تقمص الأمير بالحال شكل ووضع شخصية « الروح » المكبلة ، لكن ما لبث أن جعله عالم المادة الشرير [رمز له هنا بمصر لأنها بلاد عقيدة الموت والموتى] ينسى هويته الحقيقية ، ويغرق في سبات عميق من الجهل ٠

هذا وإن شخصية « المُخَلِّص المُخَلَّص » ـ أي المُخَلِّص نفسه بات بحاجة الى فداء ـ هي شخصية عادية في الميثولوجيا الغنطوسية ، عندما تكون الشخصيات المقدسة متورطة في العالم الأدنى ، وقد تكررت هذه الازدواجية في الهويات في رموز أخرى، فثوب «المُخَلِّص» السماوي يمثل نفسه السرمدية ، وهو نوع من المضاعفة ، أو أن ذاته قد حفظت في الممالك العليا بينما كان هو نفسه في الأسفل، وهذه الذات كاملة بأعمالها الصالحة ، وعند نهاية المهمة تتحد ثانية به ، أما الأخ التوأم ، أو التالي في المرتبة فهو أيضا شكل من أشكال الذات السرمدية ٠

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ترمز ثياب المصريين الى سجن الروح الأرضي المظلم ، وحين وضع الأمير على نفسه الثياب المصرية آلبسها بالمادة الشريرة، وشبيه هذا أننا نجد في الميثولوجيا الغنطوسية المُخَلِّص يتولى حمل ذنوب العالم بشكل طبيعي بحت ، ويقوم بدمج هذه الذنوب وإدخالها الى جسده ، وبذلك يكون قادراً على إنهاك قواها الشريرة ،

لأنه عند الموت يدع جسده خلفه ، ويتولى جسده السماوي ، وهكذا نجد الأمير في ترتيلتنا يقذف ثيابه المصرية بعيداً ، ويرتدي ثوبه السماوي المتلألىء ، ويقطن بشكل أبدي في مملكة آبائه ٠

الترتيلـة :

عندما كنت طفلا صغيراً ٠
أعيش في مملكتي ، فيدار أبي ٠
كنت سعيداً في الثروة والمنزلة ٠
وبين أولئك الذين ربوني ٠
من ديارنا في الشرق ٠
بعث بي والداي ٠
الكنوز في مخزننا ٠
جمعوها لي في صرة[١] ٠
كبيرة ، لكنها خفيفة جداً ٠
بحيث أتمكن من حملها بيدي ٠
ذهب بيب ـ إليا[٢] ٠
وفضة غازاك Gazzak [٣] العظيم ٠
وياقوت الهند ٠
وعقيق بيت كاشان[٤] ٠

---

(١) ترمز صرة المؤن الى التعليمات الروحية ـ أوغنطس ـ التـي يوصلها المتخلص الى المؤمنين ٠

(٢) كانت إليامرسى قديماً في الشمال الغربي لآسية الصغرى ، وعملت في احدى المرات مرفأ لمدينة بيرغاموم القديمة ٠

(٣) أوغازاكا ، قصر الفرثيين العظيم في ميديا (بلاد الجبل) العليا ٠

(٤) أو ارض كوشان ، يراد بها افغانستان الحالية ٠

وربطت أحجار الماس بحزامي ٠
التي تستطيع سحق الحديد ٠
ونزعوا الثوب المتلألىء عني ٠
الذي كانوا قد صنعوه بدافع حبهم لي ٠
وعباءتي الأرجوانية ٠
التي كانت قد قيست وحيكت لقامتي ٠
وعقدوا ميثاقا معي ٠
وخشية أن أنسى ٠
كتبوه على قلبي :
إذا ما انحدرت نحو مصر ٠
وجلبت اللؤلؤة الوحيدة ٠
الموجودة في وسط البحر(١) ٠
يحرسها التنين الشاخر(٢) ٠
عند ئذ سترتدي ثوبك المتلألىء من جديد ٠
والعباءة التي تبتهج بهـا ٠
وستكون مع أخيك الذي يليك في المرتبة ٠
وريثا لمملكتنا ٠
تركت الشرق وانحدرت ٠
وكان معي رفيقان ٠
لأن الطريق خطرة ، ومن الصعب ايجادها ٠
وكنت صغيراً كيما أتمكن من أخذها ٠

---

(١) غالبا ما يستخدم البحر في الغنطوسية كرمز لعالم المادة أو الظلام ٠

(٢) التنين هـو حاكم نظم العالم الشريرة ، وسلفـه الميثولوجي هـو تيامات الذي ذبحه مردوك ، الرب البابلي ٠

عبرت حدود ميشان[1] مكان اجتماع ·
تجـــار المشرق ·
وصلت الى بلاد بابل ·
دخلت أسوار ساربوغ[2] ·
وانحدرت الى مصر ·
وتركني رفيقاي ·
وذهبت الى مكان التنين ·
وسكنت بجوار جحره ·
منتظراً حتى يكون قد نام ·
كيما أستطيع أخذ اللؤلؤة منه ·
كنت وحيداً تماما ·
وغريبا عن أولئك الذين عشت معهم ·
ثم رجلا من جنسي ــ رجلا حراً ·
رجلا من الشرق ، كان ما رأيت[3] ·
شاب جميل وقوي ·
ابنا للزعماء ·
أتى إليّ وصار صديقي ·
وجعلته شريكا في مطلبي ·

---

(١) أوميسان ، ومعناها « الأرض المتوسطة » ومن المحتمل وجود منطقتين في بلاد الرافدين القديمة حملتا الاسم نفسه ، واحدة قرب فم نهر دجلة والثانية بعيداً عنها في أعلاها على نفس النهر ·

(٢) أو المتاهة ، وهو بناء مليء بالممرات المضلة ، وقد عرف العالم القديم أربع متاهات كبيرة ، واحدة منها كانت في مصر قرب قاهرة اليوم مزينة بالأعمدة الكثيفة والتماثيل العملاقة والنصب المنقوشة وجميع صنوف الفن المصري ·

(٣) من المحتمل أن يكون هذا نمطا ثانيا من أنماط ازدواجية الرموز ·

وحذرته من المصريين ·
ومن معاشرة القذريين ·
لكنني ارتديت ثوبا مثل أثوابهم ·
خشية أن يحتقروني كغريب ·
وخشية أنني عندما أذهب لآخذ اللؤلؤة ·
يوقظوا التنين ضدي ·
لكن بهذه الوسيلة أو تلك ·
رأوا أنني لم أكن من سكان ريفهم ·
وعاملوني بخداع ·
وأعطوني طعامهم لآكل منه ·
ثم نسيت أنني كنت ابنا للملوك ·
وخدمت ملكهم ·
نسيت اللؤلؤة ·
التي كان أبواي قد أرسلاني من أجلها ·
فقد ثقل عبء طعامهم عليَّ ·
وسقطت في نوم عميق ·
لكن كل ما حدث لي ·
علم به والداي وكانا حزينين كثيراً ·
وتم الاعلان في مملكتنا :
إن على الجميع الاسراع الى بابنا ·
ملوك وأمراء الفرثيين ·
وجميع نبلاء الشرق ·
وضعوا خطة لانقاذي ·
حتى لا أُترك في مصر ·

كتبوا رسالة إليّ[1] ·
ووضع كل نبيل اسمه عليها :
« من أبيك ملك الملوك ·
ومن أمك سيدة الشرق ·
ومن أخيك الذي يليك في المرتبة ·
انهض من نومك وأصغي ·
الى كلمات رسالتنا ·
تذكر أنك ابن ملوك ·
وانظر الى أية عبودية أنت تخضع ·
تذكر اللؤلؤة ·
التي أسرعت الى مصر من أجلها ·
فكر بالثوب المتلألىء ·
وتذكر عباءتك الرائعة ·
التي سترتديها من جديد بمثابة لباسك المبهرج ·
عندما في لائحة الشجعان ·
يتلى اسمك ·
مع أخيك الذي يلينا في المرتبة ·
ستكون وريثا في مملكتنا » ·
رسالتي ! رسالة من الملك ·
مختومة بيده اليمنى ·
حتى تكون آمنة من الأشرار ·
أولاد بابل وشياطين ساربوغ القساة » ·

(١) تعتبر الرسالة ، أو الدعوة ، التي أيقظت « الروح » النائمة من جهلها بمثابة رمز من رموز الغنطوسية المعتمدة ·

طارت على شكل نسر ٠
ملك جميع الطيور ٠
طارت وهبطت الى جانبي ٠
وأصبحت كلها كلاما ٠
وفجأة استيقظت ونهضت من سباتي ٠
لدى سماعي صوتها وصوت خشخشتها ٠
تنبهت واستيقظت من نومي ٠
أخذتها وقبلتها ٠
وفككت الختم عنها وقرأت ٠
وتبعا لما انطبع على قلبي ٠
كانت كلمات الرسالة المكتوبة ٠
تذكرت أنني كنت ابن الملوك ٠
افتقدت منزلتي الحرة ٠
وتذكرت اللؤلؤة ٠
التي تم إرسالي الى مصر من أجلها ٠
ووضعت تعويذة على الشخص المخيف(١) ٠
التنين الشاخر ٠
وهدأته لينام ، ولاطفته ليذهب في سبات عميق ٠
وعزمت عليه باسم والدي ٠
وباسم الذي يلينا في المرتبة ٠
وأمي ، ملكة الشرق ٠
واختطفت اللؤلؤة ٠
وانعطفت لأعود الى منزل والدي ٠

---

(١) التعويذة مؤثرة ، لأن الضوء مسمم للظلام كما الظلام مسمم للضوء ٠

ثوبهم القذر وغير النظيف ·
خلعته وخلفته في ديارهم ·
وأخذت طريقي عائداً مباشرة ·
الى نور ديارنا في الشرق ·
ورسالتي ، موقظتي ·
وجدتها أمامي على الطريق ·
فكما أيقظتني بصوتها ·
قادتني بنورها ·
قاطنة في الحرير ·
أضاءت بشكلها أمامي ·
بصوتها وقيادتها ·
جعلتني أسرع في طريقي ·
بحبهـا جذبتني ·
تقدمت وعبرت ساربوغ ·
وودعت بابـل على يساري ·
ووصلت ميشان العظيمة ·
ميناء التجـار ·
الذي يقوم على شاطىء البحر ·
ثوبي اللامع الذي كنت قد خلعته ·
والعباءة ملفوفة به ·
أرسلهما لي والداي من رمثا ـ ركن[1] ·
على أيدي خازنين ·

(١) ربما في مرتفعات هيركانيا Hyrcania وهي مقاطعة من مقاطعات الامبراطورية الفارسية وقعت في جنوب ـ شرقي بحر الخزر ·

الذي يثقون باخلاصهما ٠
لقد نسيت كيف كان شكلها ٠
لأنني كنت طفلا عندما تركتها ٠
في منزل والدي ٠
وتقدمت الآن نحوها ٠
بدا الثوب لي ٠
مثل مرآة لنفسي ٠
رأيت فيه كله نفسي بأسرها ٠
عدت الى نفسي بعودتي إليه ٠
كنا اثنين في التمييز ٠
وواحد في الشبه ٠
والخازنان اللذان جلباه أيضا ٠
بطريقة مماثلة رأيت ٠
أنهما كانا اثنين ، لكنهما واحد في الشبه[1] ٠
حيث كانت هنالك علامة ملكية منقوشة عليهما ٠
كتلك التي كانت على أيدي الشخص الذي كان قد آعاده إليّ ٠
هنا كان كنزي وثروتي ٠
ثوبي اللامع المطرز ٠
المتلألىء بالألوان العديدة ٠
المحاك بالذهب والزبرجد والياقوت والزمرد ٠
وجزوع العقيق من كل لون ٠
وثبتت درزاتـــه ٠

---

(١) من المحتمـــل أن فـــكرة الشبح في الغنطوسية صادرة عن عقيدة ايرانيـــة موجودة في الأفستا [البستاه] تفيد أنه بعد وفاة المؤمن تظهر مشاعره لنفسه ٠

وصنع ببراعة في البيت العالي ·
بأحجار من الألماس ·
بدت جميعها ملصوقة ·
وصورة ملك الملوك ·
طرزت عليه جميعـه ·
ومثل حجر اللازورد ·
كانت ألوانها المتعددة ·
ثم رأيت من جديد فوقها جميعا ·
حركات المعرفة تهتز ·
ورأيتها تستعد ·
كما لو أنها تريد أن تتكلم معي ·
سمعت نبرة صوتها ·
عندما تكلمت الى أولئك الذين أنزلوها :
« أنا النشيطة في الأعمال ·
(التي ربوها له قبل والدي)[1] ·
وأدركت في نفسي أن طبيعتي
نمت تمشيا مع أعمالـه » ·
وبحركاتها الملكية ·
صبت ذاتها عليّ ·
وعلى أيدي المعطيين ·
أسرعت عليّ أتمكن من أخذها ·
وحرضني الحب على المثابرة ·
وأنه يجب عليّ أن أركض لأقابلها وأستلمها ·

(١) غير مفهوم في كل من الاغريقية والسريانية ·

مددت يدي وأخذتها •
بألوانها الجميلة كسيت نفسي •
عباءتي ذات الألوان البراقة •
ألقيتها حول نفسي بكامل اتساعها •
وارتديتها ومضيت •
الى باب الترحاب والطاعة •
الى جلالة[1] والدي الذي أرسلها إليّ •
لأنني نفذت أمره •
وهو أيضا نفذ ما كان قد وعد بــه •
اختلطت مع نبلائــه •
ذلك أنه ابتهج بي ورحب بقدومي •
وعدت إليه في مملكته •
لأنه بصوت المديح •
يمجده جميع خدمه •
والآن تعهدوا بأنهم الى باب •
ملك الملوك ينبغي احضاري •
جالبا هديتي ولؤلؤتي •
يتوجب عليّ المثول أمام الملك •

(١) عبارة الأصل هي « زيوا Ziwa » شعار الملك •

الملحق الثاني

الكفالايـا

مقدمـة :

أثبتت مصادر قديمة متنوعة وجود جماعات مانوية مزدهرة في مصر، في العصر الروماني ، وبسبب الاختفاء شبه الكامـل لكتابات المانويـين أنفسهم ، فقد اعتمدت إقامة المعرفة الحديثة عن ديانتهم ، بشكل كبير على ما ورد في نصوص الحملات العنيفة ضدها ، وهكذا فـان اكتشاف رزمة من ورق البردي المانوي الأصلي في عام ١٩٣٠ باللغة القبطية قد مثل اكتشافا أثريا رئيسا ، فقد تم اكتشاف هذه البردية في مدينة المعادي بالقرب من ليكوبولس Lycopolis في مصر الوسطى ، واشتملت المجموعة على تراتيل باسم « الكفالايا » Kephalaia ، أو « الفصول » .

وتبدو النصوص على أنها ترجمات من اللغة السريانية الى اللغـة القبطية، وهي لغة المصريين الشعبية، ومن المحتمل أن المبشرين المانويين ، قـد حملوا معهـم النسخ السريانية الأصلية الى مصر ، ومـن الممكن أن « ليكوبولس » كانت مركزاً للنشاط الديني الأبعد ، ويبدو أن المصريين اكتشفوا بالمصادفة البردية في صندوق خشبي ، في قبو أحد الآثار ، ثـم جـرى تقسيمها وبيعها لعدد متنوع مـن تجار الآثار ، الذين قدموهـا بدورهم الى علماء الآثار، هذا وإن موقع المكتشفات منطقي، لأن المانويين كانوا جماعة مضطهدة ، ومن المحتمل أن صاحب البردية وجد آنذاك أنه من الحكمة اخفاؤها .

وعلى الرغم من أن الصندوق الخشبي قد حمى البردية من التفسخ الكامل ، فقد وجدت ـ على الرغم من ذلك ـ في مرحلة متقدمة من الاهتراء ، ذلك أن مدينة المعادي واقعة على مقربة من أحد المستنقعات ، وكان القبو الذي وجدت فيه هذه البردية عرضة للفيضان ، عندما كان سقوط الأمطار غزيراً ، ولقد ثبت أن الماء الصحراوي مالح ، وهو لهذا مخرب بشكل خاص ، وقد عملت البردية بمثابة مصفاة للملح ، الأمر الذي سبب التصاق حواف الأوراق ، مع بعضها بعضا بقوة ، مما شوه الكتابة تماما في كل مكان تشكلت فيه البلورات ، ولم يتمكن علماء الآثار من فصل الصفحات ، واحياء جزء مقروء من النصوص إلاّ بوساطة منها مع كل من الزرادشتية أو البوذية ٠

ويؤكد ماني في الفصل الأول ـ التالي نصه ـ منزلته النبوية ، العمل الحساس والدؤوب المعقد ٠

اشتملت الكفالايا في الأصل على عدة مئات من الفصول ، قد ضاع ثلثها على الأقل ، ولا يمكن تحديد مؤلفها ، مع أنه قد يكون واحداً من حواريي ماني الأصليين ، ويجري تصويره في الاستهلال وهو يوجه أتباعه ليتذكروا تعاليمه ويكتبوها، وتتألف الفصول المتنوعة من حوار بين ماني وأناس كانوا يسألونه أسئلة وهو يجيب عليها ، وهو كنبي يقوم بشرح مجرى المعارك بين النور والظلام ، والانبثاقات المضاعفة عن إله العظمة والخلق النهائي للكون وذلك في تفصيل معقد بشكل واسع ٠
خليفة الأنبياء الثلاثة [بوذا ، زرادشت ، يسوع] فان الكفالايا ـ كما ويلخص كامل سيرته ، وعلى الرغم من آنه يعلن عن نفسه بوضوح بأنه

هو متوقع من نص مانوي غربي ـ تظهر مواءمة مع الديانة المسيحية أكثر

الفصل الأول من الكفالايــا

حول قــدوم الرسول

هذا هو الفصل الأول الذي سأله أتباعه فيه
عن رسالته وعن مجيئه الى العالم
بأي أسلوب حدث ••••
للتجول في كل مدينة وكل بلد
وبأية وسيلة جرى ارساله
••••• في البداية ، قبل أن يكون قد اختار جماعة المؤمنين به •
تحدث الرسول اليهم قائلا : أنا •••••
•••• لكن سأجعله معروفا بالنسبة لكم •••••
• • • • • • • • • •
••••• اعلموا يا أحبائي أن جميع الرسل
المرسلون منذ الأبد الى العالم يشبهون
فلاحي التربة، بينما تشبه الجماعاتالمؤمنة بهم، التيهم اختاروها
شهور برموثي Pormuthi وبوافي Paophi [1] ••••••
(النص مفتت الى درجة تتعذر فيها الترجمة)

---

(١) قارن هذا مع ما جاء في انجيل يوحنا قوله : « أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام » ١/١٥ .

٠٠٠٠٠ برموثي لأن الفلاح يأتي ويزرع بذور الحبوب
ومن ثم النباتات ، ويكون مشغولا من البداية ٠
٠٠٠٠٠ الحبوب ويعاني العذاب معها ، وعندما يأتي موسم الحصاد في ذلك العام ويصبح حبّه ناضجا للحصاد
عندها يأتي الفلاح ويحصد ، مثل [بستاني الفواكه ؟] من البداية
٠٠٠٠٠ يشغل نفسه بثماره ويرعاها وهو
٠٠٠٠٠ وتنضج ويأتي ويقطفها من الشجرة ٠
[هكذا] الرسل أيضا الذين يأتون الى العالم ٠٠٠٠٠
[تجري في السبعين سطر التالية مقارنة حصاد الثمرة الناضجة مع اختيار المجتبين والسماعين] ٠
٠٠٠٠٠٠ لقد حدث مجيء الرسول مراراً وتكراراً ٠
٠٠٠٠ كما أخبرتكم : من شيث
الابن الأول المولود من آدم ، الى انوش [أيضا اينوخ ، من] اينوخ الى سام بن نوح[1] ٠
٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠
٠٠٠٠٠ جماعة المصلين ثم [أرسل]
٠٠٠٠٠ بـوذا الى الشـرق ، وأرسـل أورنتس Aurentes[2]
وآخرون ٠٠٠٠
٠٠٠٠٠ الذين جرى ارسالهم الى الشرق ، من قدوم بوذا
وأورنتس وحتى مجيء زرادشت[3]

(١) انظر الأصحاح الخامس من سفر التكوين في العهد القديم من الكتاب المقدس ٠
(٢) غير محدد الشخصية يقينا ، لعله تصحيف أناندا Ananda حواري بوذا المخلص ٠
(٣) يعتقد الباحثون المعاصرون أن بوذا وزرادشت كانا متعاصرين أو متقاربين ٠

الى بلاد فارس ، عندما أتى في تلك الأيام الى الملك

هيستاسب[١] ، من مجيء زرادشت وحتى مجيء يسوع ٠

[المسيح] ابن إله العظمة[٢] ٠

إن قدوم عيسى المسيح ، سيدنا ، لقد أتى (؟) ٠٠٠٠٠٠

٠٠٠٠ بالروح والجسم[٣] ٠٠٠٠٠

كما أخبرتكم عنه ٠٠٠٠

لقد أتى بدون[٤] وأعلن لحوارييه من جديد

أنه اتخذ شكل العبد ، ظاهراً بمظهر الرجال[٥]

هبط ، وأظهر نفسه في العالم في

طائفة اليهود ، اختار اثني عشرته[٦]

واثنين وسبعينه[٧] ونفذ ارادة أبيه الذي

---

(١) من المفترض هو داريوس الأول (حكم ٥٢١ ـ ٤٨٦ ق٠م) فاسمه يقترن مع اسم زرادشت ٠

(٢) تبعاً للمانوية خلق يسوع بشكل غير مباشر من قبل إله العظمة ، حيث صدر عنه ، والآلهة عند المانوية هم خمسة :

١ ـ إله الخليقة وهو الأعظم ؛ ٢ ـ أم الحياة مع الرجل الأول ؛ ٣ ـ الروح الحية ؛ ٤ ـ الرسول الثالث ؛ ٥ ـ يسوع المشع ٠

(٣) الكلمة المستخدمة هي « سوما Soma» تعني « أبديا » من الجسم وليس كلمة « ساركس Sarx » التي تعني الجسد الذي يفنى بعد الموت ٠

(٤) تعارض محتويات هذا السطر ما سبق قوله في السطرين السابقين ولعل مرد هذا الى خطأ من الناسخ ٠

(٥) قارن ما جاء هنا بما جاء في رسالة بولص الرسول الى أهل فيلبي (٢/٧) قوله : صورة الجسد وضع نفسه في أيدي القوى الشيطانية ٠

(٦) انظر متى : ١/١٠ ؛ مرقص : ١٤/٣ ؛ لوقا : ١٣/٦ ٠

(٧) هم سبعون وليس اثنان وسبعون في لوقا ١/١٠ حيث جاء قوله : « وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي » ٠

كان قد أرسله الى العالم ، عندها نهض الشرير[١] ٠
حاسداً ضد طائفة اليهود ٠ دخل الشيطان
الى داخل يهودا الأسخريوطي أحد الاثني عشر
التابعين ليسوع[٢] ووشى به الى طائفة اليهود
على الرغم من أنه أعطاه قبلة بين يديه
من اليهود وجماعات الجند[٣] [اليهود] ،
من جانبهم ألقوا القبض على ابن الله [أعلنوه]
خارجا على القانون ، في اجتماع لهم ، وأدانوه ،
ظلما ، مع أنه لم يرتكب أي إثم ، ورفعوه
على أخشاب
الصليب وصلبوه مع اللصوص على الصليب[٤]
وأنزلوه من على الصليب ، ووضعوه في القبر [و]
بعد ثلاثة أيام ، نهض من الموت ، وهو
أتى الى حوارييه وظهر لهم وألبسهم
بالطاقة ، وأقحم روحه المقدسة فيهم[٥] [وبعث]
بهم الى العالم بأسره ، حتى يبشرو
باله العظمة[٦] وأما بالنسبة اليه ، فقد صعد الى السماء
(النص شديد التفتت تتعذر ترجمته)

---

(١) حاكم مملكة الظلام ــ أي الشيطان ٠
(٢) انظر لوقا ٣/٢٢ ؛ يوحنا ٧/١٣ ٠
(٣) الخبر في متى : ٤٩/٢٦ : مرقص : ٤٤/١٤ : لوقا : ٤٧/٢٢ ٠
(٤) انظر متى : ٣٨/٢٧ ؛ مرقص : ٢٧/١٥ ٠
(٥) ورد خبر أقحام (نفخ) الروح في انجيل يوحنا : ٢٢/٢٠ حيث جاء قوله : « ولما قال لهم اقبلوا روح القدس » ٠ والذي في بقية الأناجيل هو أنه (المسيح) أرسل حوارييه الى العالم للتبشير انظر : مرقص : ١٥/١٦ ؛ متى : ١٩/٢٨ ٠
(٦) انظر الحاشية رقم /٦/ أعلاه ٠

وبينما كان الرسل ما يزالون في العالم ، انضم اليهم بولص ،
الرسول ، وخرج أيضا وبشر ......
.....وأعطى القوة للرسل ، وعززهم .
[النص شديد التفتت تتعذر ترجمته]
بعد الرسول بولص ، بالتدريج ، يوما بعد
يوم وصل جميع بني البشر وانغمسوا في الآثام . وتركوا العدل
والطريق الصعب والضيق خلفهم ، وفضلوا
. . . .
[أن] يمشوا على الطريق الواسع .
وظهر في ذلك الوقت من جديد رجل عادل في آخر جماعة للمصلين .
ورجل قويم[1] ممن انتمى الى المملكة[2] ، هو
انضم الى ......
..... وأعدوا (؟) كنيسة ربنا ، تبعا الى
[قوتهم] لكنهم صعدوا أيضا الى أرض
النور ، بعدهم تدريجيا
انحلت الكنيسة من جديد . وبقي العالم بدون
كنيسة ، مثل شجرة يقطفها المرء ويأخذ ما عليها
من ثمار ، بحيث تبقى بدون ثمار

(١) لعل المقصود هنا هو ابن ديصان ومرقيون ، نشط ابن ديصان في حوالي / ٢٠٠ م / وكان من بين أعلام الغنطوسيين السوريين ، أما مرقيون فقد نشط في القرن الثاني م، وسعى مرقيون وابن ديصان الى ازالة العناصر اليهودية من المسيحية ، وقد جرى حرمانهما وطردهما من قبل الكنيسة المسيحية ، وقامت بعدهما عدد من الفرق التي دانت بتعاليهما وبالتبشير بها .

(٢) المفترض أنها مملكة المجتبين .

[عندما ؟] كانت جماعة المُخلـِّص قد صعدت الى السماء ، عندها
حدثت نبوتي ، التي سألتموني عنها ، منذ ذلك الوقت فصاعداً
جرى ارسال الفارقليط ، روح الصدق ، الذي ،
أتى اليكم في هذا الجيل الأخير ، كما المُخلـِّص
قال : عندما سأذهب سأرسل الفارقليط اليكم
[وعندما] يأتي الفارقليط ، سيقود العالم بعيداً [عن]
الاثم ، وسيتكلم معكم عن العدل ، و
[عن الاثم وعن] القضاء[1] ٠
[النص مفتت جداً]
٠٠٠٠ لكي يبشر حول فارقليط الصدق ، لأنه
٠٠٠٠ قد أتى ليظهر نفسه لذلك الذي
عرفـــه ٠٠٠٠٠٠
[النص مفتت جداً]
٠٠٠٠٠ وسيحررهم ٠ لكن عندما الكنيسة ٠
قد ترعرعت ، يكون قد آن الأوان لانقاذ أرواحهم ٠
مثـــل
شهر برموثي الذي يكون العشب ناضجا فيه بشكل كاف
ليتم حصاده ٠ في هذا الوقت نفسه ، قام هو [فخلق]
شكلي الذي أحمله في أيام أرطبان[2]
ملك الفرثيين ، لكن في أعوام أردشير

---

(١) في انجيل يوحنا الفارقليط هـو « روح القدس » الذي يأتي عوضـا عن يسوع وهو المريح وروح الصدق ٠

(٢) أرطبان الخامس (حكم ما بين ٢٠٨ــ٢٢٦ م) هو آخر الملوك الفرثيين ٠

ملك فارس نموت ، وأصبحت أعظم ، وآن الأوان ،
في العام الذي كان فيه الملك أردشير[1] على وشك
أن يستلم العرش ، نزل الفارقليط الحي ، وجاء الي ، وتحدث
إلي ، وأباح لي سر العلم المكنون
الذي كان محجوبا عن الأكوان والأجيال
وهو سر الأعماق[2]
والأعالي[3] • وأباح لي سر النور
والظلام ، وسر المعركة والحرب(؟)
والحرب الكبيرة •••• التي أثارها الظلام[4]
[وبعد ذلك ؟]
أظهر لي أيضا كيف أن النور ••••
الظلام خلال تداخلهما ، وكيف جرى تأسيس هذا العالم
ونورني أيضا كيف أن الفلك[5] قد جعلت ثابتة ، بحيث
سمحت آلهة النور لأنفسها بالنزول اليها
لكي تصفي النور وتنقيه
من خارج الخلق ، لتطرح الحثالة[6] والرواسب الى
الهاوية ، وسر خلق آدم ، الانسان الأول •
وعلمني أيضا سر شجرة المعرفة

(١) مؤسس الأسرة الساسانية (حكم ما بين ٢٢٤ـ٢٤١ م) أعاد الوحدة الى بلاد الفرس، وأنهى حكم ملوك الطوائف ، وسع حدود الامبراطورية ، أعاد الاعتبار للديانة الزرادشتية •
(٢) الجحيم ، أرض الظلام •
(٣) السماء ، أرض الضياء •
(٤) عدوان الظلام على النور هو الذي بدأ مسيرة خلق الكون •
(٥) الشمس والقمر •
(٦) المادة •

التي أكل آدم منها ، حيث فتحت عيناه بوساطتها[1]
وعلمني أيضا سر الرسل الذين أرسلوا الى العالم لـ
اختيار جماعات المصلين ، وحول سر المجبتين وحول
وصاياهم ، وحول سر الآثمين وأعمالهم
وحول سر السماعين وحول مساعديهم وحول
أحكامهم ، وعن سر الآثمين وأفعالهم ، والعقاب الذي ينتظرهم (؟)
بهذه الطريقة
كل ما قد أتى لينقضي ،
وما سيأتي لينقضي ، أظهره لي الفارقليط .....
وكل شيء تراه العين وتسمعه الأذن ، والعقل
يفكر به ، و ..... من خلاله أصبحت أعرف
كل شيء ، ورأيت الكون من خلاله ، وأصبحت
جسما ،
وروحا ـ في أعوام الملك أردشير الأخيرة
خرجت للتبشير ، وأبحرت الى بلد الهنود ، و
بشرتهم بأمل الحياة ، واخترت هنالك
محصولا جيدأ ، لكن في تلك السنة
توفي الملك أردشير[2] ، وأصبح ابنه شابور ملكا [فأرسل يطلبني ؟]
مضيت من بلاد الهنود الى بلاد الفرس ، ومن
أراضي الفرس وصلت ثانية الى أرض بابل ، ميسان

(١) تختلف هذه النظرة هنا عما جاء في الكتاب المقدس ، كون الافاقة هنا خطوة ايجابية ، بينما في الكتاب المقدس قادت الافاقة نحو اقتراف الذنب .

(٢) ٢٤١ . م .

وسوسن[1] ، ومثلت أمام الملك شابور ، واستقبلني
بحفاوة كبيرة ، وسمح لي بالتنقل في
أقاليمه ، وأن أبشر بكلمة الحياة ٠ وأمضيت أعواما أخرى في
٠٠٠٠٠٠ معه في حاشيته ، وعدة سنوات في
فارس ، في بلاد الفرثيين بعيداً حتى أديابين[2] Adiabene ، و
المناطق المتاخمة لأراضي الامبراطورية الرومانية ٠
[لقد اخترتك ؟] أيها الحصاد الجيد ، يا جماعة
المصلين المقدسة ، التي أرسلني الرب اليك
لقد بذرت حبة الحياة ، وقد ٠٠٠٠٠
٠٠٠٠ من الشرق الى الغرب ، كما ترون
[إن أمنيتي] قد وصلت الى شرقي العالم ، والى أقاليم
جميع الكون في الاتجاه الشمالي ، والاتجاه
[الجنوبي ؟] ولم يفعل مثل ذلك واحداً من الرسل أبداً ٠٠٠٠٠٠
[النص مفتت جداً]
لأن روح الفارقليط التي أرسلت إليّ من
[إله العظمة (؟) ما] جاء لينقضي وما سيأتي لينقضي
أباحه لي ، وكتبت لكم بالتفصيل عن هذا في
كتبي سابقا ٠ وسألتموني الآن من جديد ، انظروا ، لقد أعلنت
المسألة بايجاز لكم ــ وبذلك عندما
سمع حواريوه كل هذا منه ، ابتهجوا كثيراً ،

(١) ميسان ، كانت هذه منطقة في حوض دجلة الأسفل ، وسوسن هي عيلان ، منطقة تقع مباشرة الى الشرق من بابل ٠

(٢) كانت « أديابين » منطقة خصبة في بلاد آشور الى الشرق من دجلة ٠

وتنورت عقولهم ، وخاطبوه بمرح قائلين : شكرنا لك ، أيها المولى ، الذي كتبت لنا عن قدومك في الكتب كما حدث ، وقد آمنا به ، وصدقناه وأخبرتنا به هنا في مختصرات قصيرة ، نحن مع ذلك قبلنا بالكامل ، ونؤمن أنك ، أنت الفارقليط الذي يأتي من الآب ، مظهر جميع الأسرار

[نهاية الفصل الأول]

الملحق الثالث

مزامير توماس

مقدمـة :

إن مجموعة المزامير المسماة « مزامير توماس » هي جـزء من الكنز القبطي الثمين من أوراق البردي المانوية المكتشف في مدينـة المعادي في مصر ، ومن المحتمل أن المزامير تعود بشكلها الحالي الى حوالي /٣٤٠/م، وكما هو الأمر بالنسبة للقفالايا يبدو أن النصوص الأصلية قـد جرى تأليفها في اللغة السريانية ، وتمت ترجمتها الى اللغة القبطية ، كما أن « توماس » الموجود اسمـه في العنوان ، معروف على أنـه كـان داعية للعقيدة المانوية ٠

ولا يروي هـذا المزمور سوى الفصل الأول ، من أخبـار الحـرب الكونية ، التي بلغت أوجها في خلق الدنيا ، وذلك حسب رأي المانوية ٠

من مزامير توماس

١ ـ [بخصوص الاله] وجميع عوالمه وتحريض العدو
[والدي الـ] نور السار ، النور السار
الرائع ، والدي ، النور السار ، النور
السار والمبارك ، والدي ، النور السار
النور السار والمبجل : استدعى
عوالم النور ، وعينهم لاسعاد

عظمته ٠ استدعى عوالم السلام ، التي
لا يوجد فيها تناقض أو نقصان ، واستدعى عوالم
النور ، واستدعى أبناءه ، وصفهم
بينهم ، واستدعى عوالم السلام
واستدعى ثرواته وصفها بينهم
واستدعى عوالم الراحة ، واستدعى
ملائكته وصفها بينهم ، وأوجد
مساكن الحياة ، ووضع الصورة الحية
فيها ووضع فيها الصورة الحية التي
لا تهلك أبداً ، وأثار غيوم
اللمعان المسقطة للندى (؟) والحياة ، واستدعى
ناراً مقدسة ريحا وهواءاً يتنفسان
وأثار ريحا وهواءاً يتنفسان
نفس الحياة ، وأثار جبالا مقدسة
ترسل جذوراً طيبة الرائحة ، وكلها
في تناسق وانسجام : لا يوجد ضعف أو نقص
فيها ، فهي ممتعة ومبهجة في تألقها (؟) وممتلئة
وباقية في الأزل ٠ لا أعرف
أين رآهم ابن الشيطان : نهض
قائلا : هل أستطيع أن أكون واحداً مثلها ، من أين ابن
الشيطان رآهم ؟ نهض قائلا : هل أستطيع أن أكون واحداً
مثلها ؟ من أين ابن الشيطان رآهم ــ ال
فقير ، الذي لا يملك شيئا ، لا ثروات
في خزانته ، ولا بقاء في

ممتلكاته ، ولا ثروات في خزينته ؟ ونهض
قائما ، قائلا : هل أستطيع أن أكون واحداً مثلها · أمسك بأيدي
رفاقه السبعة ، ومساعديه الاثني عشر :
أمسك بأيدي رفاقه السبعة ، وذهب ونظر ؟
إليهم في لحظة ؟ خشية أن يسقط أيا منهم
وينزل ·
خشية أن يذهب ويكون واحداً مثلهم ، وهكذا الاله العظيم ؟
اتخذ الخطوة الأولى ، ودعم جميع ملائكته قائلا :
« اجتمعوا جميعكم ، واحرسوا أنفسهم من عين الشيطان
الذي نظر الى الأعلى » · واحد من أبناء النور
نظر من أعلى ، ورآه : قال لأخوته
الأغنياء : يا أخوتي ، أبناء النور
يا من ليس فيهم ضعف أو نقص : أنا
نظرت الى الهاوية ، ورأيت الشيطان
وابن الشيطان ، رأيت الشيطان وابن
الشيطان راغبا بشن الحرب · رأيت رفاقه السبعة أيضا
ووزرائه الاثني عشر
رأيت الخيَمة مثبة ، النار مضرمة
في وسطها : رأيت البائسين الفقراء ؟ جاهزين
يفكرون بشن الحرب · أنا
رأيت سلاحهم القاسي الجاهز لشن
الحرب ، رأيت المصائد منصوبة ، و

الشباك ملقاة ومنشورة ، بحيث من الممكن للطير الذي يمكن أن ياتي
أن يمسك ... بحيث (؟) لا يمكنه أن ينجو منها ، [أنا
رأيت] هم متكؤون ، يشربون
الخمرة المسروقة ، يأكلون اللحم المنهوب ....

بخصوص قدوم النفس[1]

أولئك الذين ليسوا مثلي صنعوا أنفسهم مثلي ، أولئك
الذين
ليسوا جديرين بي ، جعلوني جديراً ، التعساء (؟) الذين لا ،
ينتمون الى بيت ،
أبي ثاروا ، وحملوا الأسلحة ضدي ، ثاروا ،
حملوا السلاح ضدي ، شنوا الحرب عليّ شنوا
الحرب عليّ ، قاتلوا (؟) من أجل ثوبي المقدس
من أجل نوري المنير ، كيما ينير
ظلامهم ، حاربوا من أجل ريحي الطيب ، كيما
يزكي قذارتهم ، من أجل أخوتي ، أبناء
النور ، كيما يعطوا السلام لأرضهم
حاربوا من أجل أختي ، ساعة النور ، كيما
يمكن أن تدعم بناءهم ، ولذلك ذهب جزء
من
ثوبي وأضاء ظلامهم ،
ذهب ريحي الطيب وزكى نتانتهم ،

(١) المتكلم هنا هو النفس (أو الانسان الأول ـ القديم ـ) .

أخوتي أبناء النور ، ذهبوا ، آعطوا سلاما
الى أرضهم ، وذهبت أختي ساعة النور
وبينما كانت تدعم بناءهم ، حملوا السلاح
ضدي ، شنوا الحرب عليّ ، كانوا يصرخون
ضدي ، مثل الرجال الذاهبين لاخضاع معسكر ما
استلوا السيوف ضدي ، مثل الرجال
الذاهبين لقتل الأسود ، مدوا أيديهم الى القوس
ضدي ، مثل اللصوص الذاهبين لمهاجمة أحد الرجال
. . . لذلك أرسل والدي
العون لي ، ونهض أخوتي ، وأصبحوا كالجسد الواحد معي
بصرخة واحدة ، أطلقها أخوتي ، سورهم
تصدع وانهار ، سورهم[1] تصدع وانهار
وكان حراسهم غير قادرين (؟) على ايقافهم ، كما أن ذاك الذي
يتجول ، وبيده الجرس ، ويصرخ بالحظ السعيد (؟)
وجد ، ضد الصرخة التي أطلقها أخوتي ، الـ
شياطين تركض الى الظلام ، الشياطين تركض الى
الظلام مرتجفة ، وأمسكت بأركونها تماما ، لكن ،
أنا ، قلت لأخوتي ، « تحمّلوني بعد هذه
الساعة » ، كنت أهدىء أخوتي كيما لا
يدمروا سماءهم ، لأني انتظرت ثوبي حتى
يأتي وألبسه الذي سيرتديه ، وسأنتظر
نوري المضيء حتى يجرد نفسه من

(١) بناه أبناء الظلام كجزء من استراتيجيتهم .

ظلامهم ، وسأنتظر ريحي الطيب حتى
يعود الى مكانه ، وسأنتظر أختي
ساعة النور حتى تلقي فسادهم
بعيداً ، سأنتظر أخوتي أبناء النور ، حتى
يتم إكمال اعادة اعتبارهم (؟) ولذلك عندما
ثوبي
المتلألىء يأتي ، وألبسه الذي سيرتديه ، عندما يتجرد
ريحي الطيب من نتانتهم ، ويعود
[الى مكانه :] عندما يغادر نوري المضيء
الظلام ، عندما أخوتي ، أبناء النور
يكملون اعادة اعتبارهم ، عندما أختي ، ساعة
النور ، تذهب وترى أرض النور :
عندها سأضرب قدمي على الأرض ، وأغرق ظلامهم
سأطعن ارتفاعهم برأسي ، وأزلزل
سماءهم ، وستسقط النجوم مثل
• • • سأجتث الظلام وأرميه وأزرع
النور في مكانه ، سأجتث الشر وأرميه
وأزرع الخير في مكانه • العالم
سيكون ممتلئا سيحتوي على الصالحين ، هم على
الأرض سيعيشون بسلام
لن يكون هنالك متمردون بعد الآن ، وكلمة الاثم
لن تلفظ ثانية ، وسيبتهج الأشخاص الأغنياء بالنور
في كل جانب دونما أي حزن ، والذي أخذه الأحياء
أنقذ ، سيعودون ثانية الى ذلك الذي يخصهم •

الملحق الرابــع

هوويداغ مان و أنجادروشنان

Angad Rosnan Huwidagman

مقدمــة :

كان من بين النصوص التي جلبتها حملة أثرية توجهت الى تركستان الصينية في السنوات الأولى لهذا القرن، أجزاء من مجموعتين من التراتيل المانوية عرفتا باسم « هوويداغ مان وأنجادروشنان »، ولم تكن التراتيل مكتوبة باللغة الصينية ، بل كانت مكتوبة باللغة الفرثية ، وهي لغــة ايران الشمالية ــ الشرقية ، ومن المعروف أن الجماعات المانوية نشطت وراجت لفترة من الزمن في الصــين الغربية ، ويمكننا أن نفترض آن المبشرين الايرانيين قد نقلوا مجموعتي التراتيل هاتين الى هناك ٠

وتم بقاء كل من المجموعتين بحالة تفتت على نحو كبير ، فمن بــين مئات الأوراق لم يبق سليما تماما سوى خمس أوراق فقط ، وتم تجميع البقية بصعوبة قصوى، وفي جميع الأحوال، بما أن المجموعتين متشابهتان تماما في الأسلوب والمضمون ، من المحتمل أن مؤلفا واحداً قد ألفهما معا، أو على الأقل مؤلف من بين اثنين قد أثر تأثيراً كبيراً على المؤلف الآخر ، ومن المحتمل أن مؤلف هوويداغ مان ، قد كان مار أموّ ، وهو واحد من حواريي ماني الرئيسين ، وكان مار ــ أموّ الرسول الرئيسي للديانــة المانوية الى الفرثيين ، حيث جرى اختياره لهذه المهمــة بسبب معرفتــه بلغتهم ، وكان مع ماني خلال الأيام الأخيرة من حياة هذا النبي ، ونتيجة

لهذا أصبح موضوع العديد من الأساطير ، وتصنيف مار ـ أموّ يمكن أن يضع تاريخ تأليف هوويداغ مان ، في وقت متأخر من القرن الثالث م ٠

تتألف التراتيل من أشعار رثائية غير موزونة ، مقسمة الى « هندام Handams » أو « أوصال » وهي تستخدم وسائط تذكيرية متنوعة مثل : التكرار المستمر ، واستخدام العبارات المألوفة والجناس ، والكثير من التخيل التصويري ، وهي دراماتيكية في الشكل ، فالروح التي فارقت الجسد لتوها تنهمك في حوار مع المُخَلِّص ، ومن المحتمل أنه تم انشاد التراتيل في جنائز المجتبين من المانويين ، ولا يمكن أن تكون قد أعدت لتسريع النفس في طريقها الى الفردوس ، وحسب العقيدة المانوية تجري مكافأة النفس تبعا لمعارفها الخاصة وفضيلتها ، حيث لا يمكن لجهود الشخص الذي تركها أن تقدم أية مساعدة ٠

وتتبع المجموعتان نمطا شائعا ، فهما تبدآن مع نفس واقعة في محنة، تعذبها الشكوك والشياطين ، وتتوسل الى المُخَلِّص لينجدها ، ويصل المُخَلِّص ، وتذهب الشياطين ، ويتم وعد النفس بالفداء،ولاتتم تسمية المخلص في النص ، وربما جاء ذلك عن عمد ، بحيث يمكن اقتراح أي واحد من المُخَلِّصين الذين اعترفت الديانة المانوية بهم ، وبديهي أنه يجب أن يتم خلق النفس من جديد لعدة مرات ، قبل أن يمكن اتمام تحريرها في النهاية ، ولا يتم ذكر غايتها النهائية إلا بمعان عامة ، وتشير مصادر مانوية أخرى أنه اعتقد أن الروح قد تقيم لفترة قصيرة في الفردوس الجديد ـ مملكة المُخَلِّص الخاصة ـ وذلك قبل بلوغها الى مملكة النور السامية العلو ٠

مـــن
هو ويــداغ مــان

٤ ـ آ

من الذي سيحررني من المكامن والسجون التي تجمعت فيها الشهوات غير المرغوبة ؟

من الذي سيحملني فوق فيضان البحر الهائج ـ منطقة الصراع التي لا راحـــة فيها ؟

من الذي سينقذني من فكي كل وحش من الوحوش التي تدمر البلاد (؟) بلداً تلو الآخر بدونه رحمة ؟

من الــذي سيبعدني عن الأسوار ويأخذنـــي عبر الخنادق المليئـــة بالمخاوف والتي ترتجف من الشياطين المفترسة ؟

من الذي سيبعدني عن التقمصات ، ويحررني منها جميعا ، ومـــن جميع الحركات التي لا راحة فيها ؟

بكيت من أجل نفسي قائلا : هل من الممكن انقاذي من هذا ، ومـــن الرعب من الوحوش التي تفترس بعضها بعضا ٠

أجساد الرجال ، وطيور الهواء ، وأسماك البحار والمخلوقات ذوات الأربع ، وجميع أنواع الحشرات ٠

من الذي سيبعدني عن هؤلاء وينقذني منهم جميعا، حتى لا أنحرف وأسقط في مهالك هذه النيران ؟

وهكذا لن أعبر بين الأدناس فيهم ، ولـــن أعود ثانية عـــن طريق التقمص حيث جميع أنواع المزروعات قد انتزعت ٠٠٠؟

من الذي سينقذني من المرتفعات المبتلعة والأعماق المفترسة التيهي كلها جحيم ومآسي ٠

٦ ـ ب

سوف آخذك بحرارة ، وأحلق فوق الأجنحة ، عاليا فوق جميع قوى الظلام وأمراء التمرد •

وسأقودك نحو الهدوء الأول في تلك الأرض[١] ، وسأريك الآلهــة ، وذاتي المقدسة •

ولسوف ترقص طربا في حمد وشكر ، ولسوف تكون بلا حزن •• سوف تنسى المآسي ولسوف ترتدي ثوبا مشعا، وتتمنطق بحزام من نور، ولسوف تضع على رأسك تاج العزة ، ولسوف ••• خلال ••• الجواهر المشعة ••• المنفعة •

[أربعة أبيات مفقودة]

بدعوة[٢] روحانية [بني على ذلك؟] البناء حصن[٣] طويل وعريض من أجل الامبراطور النبيل • قصر في مملكة الانسان الأول ولادة[٤] ، لأنه ألبس فيه نفسه بالسرور ، وأضفى عليها تاج السلطان •

وأضفى على جميع رفاقه التاج ، وكسى أجسادهم بأثواب السعادة، وجميع المؤمنين والصديقين كساهم بالحمد وأضفى عليهم التاج،وحكموا الآن بسعادة مع أنهم قيدوا مرة لمجرد تسمياتهم[٥] وتعرضوا للآلام على أيدي أعدائهم •

---

(١) الفردوس •

(٢) حرفيا « بوساطة فم روحي » خلقت الفردوس بكلمة « الرب » •

(٣) يعني الفردوس الجديد •

(٤) الانسان الأول •

(٥) عوقبوا لمجرد تسميتهم أعضاء في الطائفة المانوية •

وجعلوهم ••• مع كل ••• خلال ذلك التجلي

[أربعة أبيات مفقودة]

العودة من ••• الأعماق جرى ضمانها من خلال النصر، لأن الأعداء خضعوا ، والكذب الأعلى في المقدمة •

••• هو اليوم الذي يعلن فيه الاله النافع عن ذاته ، رب عوالم النور سيري ذلك الشكل المشع والمتلألىء ، وشكل الجلالة لجميع الأرباب الذين يقطنون هناك •

[نهاية هذه القطعة من القسم السادس]

من أنجاد روشنان

ـ ٦ ـ

عندما تفوهت بهذه الكلمات ، بروح مرتجفة لمحت المُخَلِّص ، حيث شع أمامي •

لمحت منظر جميع ربابنة [مراكب النور] الذين هبطوا معه ليرافقوا روحي •

وشخصت بناظري في ذلك الاتجاه ، ورأيت جميع الأموات وقد أخفاهم الرسول •

وأصبح جميع المخربون بعيدين عني ، وكانت أمراضهم خطيرة وآلامهم مأساوية •

لقد أخفي مشهدهم ، وهرب ظلامهم بعيداً، وكل شيء كان ذا طبيعة مقدسة بلا نظير •

---

(١) لربما الرسول هنا واحد من شخصيات المانوية الكبار •

وأشع من هناك نور ، سارّ ومفرح ، ومليء بالحبور ، فغطى على عقلي كله ·

وتكلم معي بسرور مطلق ، ورفع روحي من اضطراب عميق (؟)

وخاطبني قائلا : تعالي أيتها الروح، لاتخشين شيئا، آنا عقلك[1]، وبشائر الأمل والسعادة لك ·

وأنت ··· ثوب جسمي ، الذي جلب الازدراء الى قوى الظلام ···

أنا نورك ، مشع ، وأولي ، وعقلك العظيم ، وآملك الكامل ·

— ٧ —

تعالي أيتها الروح ، وأبعدي عنك الخشية ، لقد سقط الموت، وهرب المرض بعيداً ·

انتهى عهد أيام الاضطراب ، وغادر رعبها وسط سحب من النيران

تعالي أيتها الروح ، تقدمي نحو الأمام ، لا تدعي هناك أية رغبة لبيت المنغصات ·

الذي هو مهدم كليا ، وحقا جرى نفي آلام الموت من ديارك ·

وجميع الضربات التي عانيت منها في الجحيم[2] ، والمحن التي مررت بها في النهاية والبداية ·

اقتربي أكثر ، بسرور ، دونما أسف ، لا تستلقين راضية في مسكن الموت ·

لا تلتفتي الى الخلف ، ولا تعبأي بأشكال الأجساد ، المسجاة هنـاك بتعاسة ، فهم وأتباعهم ·

---

(١) يأخذ العقل في الميثولوجيا المانوية دور المخلّص أحيانا ·

(٢) على الأرض ·

انظري ، لقد عادوا خلال كل عملية تقمص ، وخلال كل ألم ، وكل غصة (؟) سم ٠

انظري ، لقد تقمصوا بين جميع أنواع المخلوقات، وصوتهم مسموع في الزفير المحترق ٠

اقتربي أكثر ، ولا تكوني متعلقة بهذا الجمال الهالك بجميع أشكاله إنه يسقط ويذوب كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس ، لا ديمومة لأي شكل جميل ٠

إنــه يذبل ويخبو كالوردة المكسورة ، التــي ستجف تحت الشمس رونقها ٠

اقتربي بعد ، أيتها الروح ، ولا تكوني متعلقة بعــدُ الساعات ولا بمرور الأيام ٠

لا تلتفتي نحو أي مشهد زائل ٠ الرغبة[1] هي الموت ، وتقود نحو الدمــار ٠

ما أن تأتين أيتها الروح ٠٠٠ سأقودك الى الأعالي الى موطنك الأصلي سأريك العهد (؟) ٠٠٠٠ الأمل الذي اشتقت إليه ٠٠٠٠

تذكري أيتها الروح ، ألقي نظرة على الألم (؟) الذي حملتيه خلال آلام دمارك ٠

اعتبري العالم وسجن الخليقة ، لأن جميع الرغبات ستتدمر بسرعة ٠

سيأخذ الرعب والنار والخراب جميع الذين يعيشون هناك ٠

ستنشطر الأعالي بسكانها ، وستسقط السموات جميعها في الأعماق
وسيطبق فخ الدمار بسرعة على أولئك الذين يتبجحون هنا ٠

---

(١) الرغبة بالأشياء الموجودة على الأرض ٠

وسيحل الدمار بجميع الممالك مع أشعة النجوم كلها ، وسيلحق العار بعزتهـا ٠

سيعاني جميع الأمراء ومتمردوا الحدود بتعاسة وبشكل أبـدي في النار الملتهبة ٠

وستبدد كل رغبة ، وكل مشهد مشع (؟) خلال ٠٠٠٠

الحياة بدءاً من بذرة ونبتة ستتدمر بسرعة وستزول ٠

جميع الشهوات المزينة بجميع سحرها ٠٠٠ النار، سوف تتراكم عليها

كل مبنى ٠٠٠ جرى تأسيسه ـ سيتدمر كـل منها دمـاراً كاملا ، وسينهار عليهم ٠

الملحق الخامس

مزامير إلى يسوع

مقدمــة :

تشكل هذه الترتيلة الرفيعة جزءاً من مجموعة من المزامير الى يسوع ضمن بردية قبطية مانوية ، عثر عليها في مدينة المعادي، ويبدو آن النص هو نص جنائزي ، وتشير الأسطر السبعة الأخيرة الى آنــه يحيي ذكرى وفاة واحد من المجتبين المانويين ، ويبدأ بدعاء موجه الى المُخَلِّص ، وهو في هذه الحالة يسوع ، وينتهي بصعود الروح منتصرة الى الفردوس ·

ويستخدم المزمور رقم/٢٤٦/عدداً من التشبيهات المانوية، فالأرض هي مأوى القوى الشيطانية ، والحيوانات المفترسة التي تسحق النفس البريئة والصافية ، والنفس هي غريبة في العالم ، ووجودها هو ثقــل عليها ، والموت مرحب به كنجاة من الظلام الى الضياء ، ويعتبر المزمور النفس بمثابة وحدة متكاملة ، إنما كممثل للضوء المنفي كله ، والنفس جزء ايجابي من الآلة العظيمة والقادرة ، وقدرها مرتبط بقدر الكون ·

من مزامير إلى يسوع

ـ ٢٤٦ ـ

تعال إلي يا قريبي ، أيها الضياء ، يا دليلي ·

··· تحدثني نفسي بأنك وجدت مخلصك : المسيح المدافع عنك سيستقبلك في مملكته ·

منذ أن تقدمت الى الظلام ، أعطيت ماء لأشرب الذي ٠٠٠٠٠[١] لي ، أنا حملت تحت الحمل الذي ليس لي[٢] ٠

إنني وسط أعدائي ، الوحوش تحيط بي ، الحمل الذي أحمله هو السلطان والنظم[٣] ٠

هم أحرقوا (؟) في غضبهم ، وثاروا ضدي ، وركضوا الى ٠٠٠ إليّ مثل الشياه التي ليس لها راعي ٠

وتوزعتني المادة[٤] وأولادها بين بعضهم بعضا ، لقد أحرقو (؟) ني بنارهم وأعطوني مشابهات مرة ٠

إن الغرباء الذين اختلطت بهم ، لا يعرفونني، لقد تذوقوا حلاوتي، ورغبوا بالاحتفاظ بي بينهم ٠

لقد كنت حياة لهم ، وكانوا موتا لي ، لقد حملت تحتهم،وارتدوني كثوب فوقهم ٠

أنا في كل شيء، أنا أحمل السموات، أنا الأسس ، أنا أدعم الأرض، أنا الضوء الذي يشع ، ويعطي البهجة للروح ٠

أنا الحياة لهذا العالم ، أنا الحليب في كل الأشجار ، أنا الماء العذب الموجود تحت أبناء المادة ٠

٠٠٠ أنا تقدمت الى الـ ٠٠٠ الأكوان[٥] ٠٠٠ لقد بعثوا بي الى الـ ٠٠٠٠

---

(١) كان الماء واحداً من أبناء الظلام ، لعل الكلمة المفقودة « تشل ، تسمم » ٠

(٢) يعني حمل جميع الكون ٠

(٣) أي النظم الشيطانية التي تحكم العالم ٠

(٤) المادة هي الظلام أو شخصية الشيطان ، وأولادها هم : الدخان ، النار الريح الماء ، والظلام ٠

(٥) أبناء الظلام ، كل منهم كون ٠

إنني أحمل هذه الأشياء حتى أنفذ ارادة [أبي] ، فالانسان الأول هو أبي الذي نفذت ارادته •

اعلموا أنني أخضعت الظلام ، اعلموا أنني أطفأت نيران النوافير ، عندما استدار الكون[1] مسرعا ، كما تتسلم الشمس الأجزاء المصفاة من الحياة[2] أيتها النفس ، اشخصي بناظريك نحو الأعلى ، وحدقي بوثاقك ••• لقد وصلت إليه ، آباؤك يدعونك •

اذهبي الآن في فلك[3] النور وتسلمي [اكليل عظمتك ، وارجعي الى مملكتك ، وامرحي مع جميع الأكوان] •

المجد والعظمة لسيدنا ماني،[وللصديقين والى نفس مريم المباركة]•

---

(١) كون السموات •

(٢) جزء النور ، المستولى عليه من قبل المادة •

(٣) الشمس والقمر •

الملحق السادس

من مروج الذهب ومعادن الجوهر
لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي
[ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م]

...... زرادشت بن أسبيمان ، وهو نبي المجوس ، الذي آتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس ، واسمه عند المجوس بستاه[١] ، وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها ، من الكليات والجزئيات ، والكليات : هي الأشياء العامة ، والجزئيات : هي الأشياء الخاصة ، مثل زيد يموت يوم كذا ، ويمرض فلان في وقت كذا ، ويولد لفلان في وقت كذا ، وأشباه ذلك .

ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم ، وليس في سائر اللغات أكثر حروفا من هذا ، ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابينا « أخبار الزمان » و « الكتاب الأوسط » وآتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن ايراد مثلها ، ولا يدركون كنه مرادها ، وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أبانه زرادشت وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير ، وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعد ووعيد ، وأمر ونهي ، وغير ذلك من الشرائع والعبادات ، فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب الى عهد الاسكندر ، وما كان من قتله لدارا بن دارا ، فأحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب .

---

(١) يعرف حاليا باسم « الأفستا

ثم صار الملك بعد الطوائف الى آردشير بن بابك ، فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إسناد ، فالفرس [والمجوس] الى هذا الوقت لا يقرأون غيرها ، والكتاب الأول يسمى بثناه .

ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه ، وسموا التفسير زندا ، ثم عمل للتفسير تفسيراً ، وسماه بازند ، ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرناه ، وسموا هذا التفسير بارده ، فالمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل ، فصار علماؤهم وموابذتهم يأخذون كثيراً منهم بحفظ آسباع من هذا الكتاب ، وأرباع وأثلاث ، فيبتدىء كل واحد بما حفظ من جزئه فيتلوه ، ويبتدىء الثاني فيتلو جزءاً آخر ، والثالث كذلك الى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب ، لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال ..... [١/٢٢٩ـ٢٣٠]..... وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة الذي أضيف اليه الزنادقة ، وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن أسبيمان ـ على حسب ما قدمناه من نسبه فيما سلف من هذا الكتاب ـ بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية ، وعمل له التفسير ، وهو الزند ، وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند، على حسب ما قدمناه ، وكان الزند بيانا لتأويل المتقدم المنزل ، وكان من أورد في شريعتهم شيئا بخلاف المنزل الذي هو البستاه ، وعدل الى التأويل الذي هو الزند ، قالوا : هذا زندي ، فأضافوه الى التأويل ، وأنه منحرف عن الظواهر عن المنزل الى تأليف هو بخلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : زنديق ، وعربوه ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم ، وأبى حدوث العالم .

الملحق السابع

من كتاب

الفهرست للنديــم

أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق

[ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م]

مذاهب المنانية

قــال محمــد بن اسحق : ماني بن فتّق بابك بن آبي برزام مــن الحسكانية ، واسم أمه مس ، ويقال اوتاخيم ، ويقال مرمريم ، من ولد الأشغانية • وقيل أن ماني كان أسقف قنى والعربان من آهــل جوخي وما يلي بادرا وباكسايا ، وكان أحنف الرجل ، وقيل إن أصل آبيه من همذان ، انتقل الى بابــل ، وكان ينزل المدائن في الموضــع الذي يسمى طيسفون ، وبها بيت الأصنام • وكــان فتق يحضره كما يحضر سائــر الناس ،فلما كان في يــوم من الايام ، هتف بــه من هيكل بيت الاصنام هاتف : « يا فتق لا تأكل لحما ، ولا تشرب خمراً ، ولا تنكح بشراً » ، تكرر ذلك عليه دفعات في ثلاثة أيام ، فلما رأى فتق ذلك لحق بقوم كانوا بنواحــي دستميسان معروفون بالمغتسلة ، وبتيك النواحي والبطائــح بقاياهم الى وقتنا هذا ، وكانوا على المذهب الذي أمر فتق بالدخول فيه، وكانت امرأته حاملا بماني ، فلما ولدته ، زعموا كانت ترى له المنامات الحسنة ، وكانت ترى في اليقظة كأن آخذاً يأخذه ، فيصعد به الى الجو ، ثم يرده ، وربما أقام اليوم واليومين ، ثم يرد ، ثم ان اباه أنفذ فحمله

الى الموضع الذي كان فيه ، فربي معه وعلى ملتـــه ، وكان يتكلم ماني ، على صغر سنه ، بكلام الحكمة ٠

فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحي ، على قوله ، من ملك جنان النور ، وهو الله ، تعالى عمـــا يقوله ٠ وكان الملك الذي جـــاءه بالوحي يسمى التوم ، وهو بالنبطية ، ومعناه القرين ، فقال له : « اعتزل هذه الملة فلست من أهلها ، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات، ولم يأن لك أن تظهر لحداثة سنك » ٠ فلمـــا تم له أربع وعشرون سنة ، أتـــاه التوم ، فقال : قد حان لك أن تخرج فتنادي بأمرك ٠

الكلام الذي قال له التوم :

عليك السلام ماني ، مني ومن الرب الذي أرسلني اليك واختارك لرسالته (ور رِوان باجسا) ، وقد أمرك ان تدعو بحقك وتبشر ببشرى الحق من قِـبله ، وتحتمل في ذلك كل جهدك ٠

قالت المانوية : فخرج يوم ملك شابور بن أردشير ، ووضع التاج على رأسه ، وهو يوم الأحد أول يوم من نيسان ، والشمس في الحمل ، ومعـــه رجلان قد تبعاه على مذهبه ، أحدهما يقال له شمعون ، والآخر زكـّوا ، ومعه أبوه ينظر ما يكون من أمره ٠

قال محمد بن اسحق : ظهر ماني في السنة الثانية من ملك الغالوس الرومي،وظهر مرقيون قبله بنحو مائة سنة فيملكطوس انطونيانوس، في السنة الأولى من ملكه ، وظهر ابن ديصان بعد مرقيون بنحو ثلاثين سنة ، وانما سمي ابن ديصان ٠ لأنه ولد على نهر يقال له ديصان ٠

وزعم ماني أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام، واستخرج

ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكذلك القلم الذي يكتب به كتب الديانات مستخرج من السرياني والفارسي ، وجول ماني البلاد قبل أن يلقى شابور نحو أربعين سنة ، ثم إنه دعا فيروز آخا شابور بن أردشير ، فأوصله فيروز الى أخيه شابور ٠

قالت المنانية : فدخل اليه وعلى كتفيه مثل السراجين من نور، فلما رآه أعظمه وكبر في عينه ، وكان قد عزم على الفتك به وقتله ، فلما لقيه داخلته له هيبة ، وسر به وسأله عما جاء فيه ، فوعده أنه يعود اليه. وسأله ماني عدة حوائج منها أن يعز أصحابه في البلاد وسائر بلاد مملكته، وان ينفذوا حيث شاؤا من البلاد ، فأجابه شابور الى جميع ما سئل ، وكان ماني دعا الهند ، والصين ٠ وأهل خراسان ، وخلّف في كل ناحية صاحبا له ٠

ذكر ما جاء به ماني

وقوله في صفة القديم تبارك وتعالى وبناء العالم

والحروب التي كانت بين النور والظلمة

قال ماني : مبدأ العالم كونين أحدهما نور ، والآخر الظلمة ، كل واحد منهما منفصل من الآخر ٠ فالنور هو العظيم الأول ، ليس بالعدد ، وهو الاله ملك جنان النور ، وله خمسة أعضاء : الحلم ، والعلم ، والعقل ، والغيب ، والفطنة ، وخمسة أخر روحانية وهي : الحب ، والايمان ، والوفاء ، والمروءة والحكمة ٠

وزعم أنه بصفاته هذه أزلي ، ومعه شيئان أزليان : أحدهما الجو ، والآخر الأرض ٠

قال ماني : وأعضاء الجو خمسة: الحلم والعلم ، والعقل، والغيب،

والفطنة ، وأعضاء الأرض ، النسيم ، والريح ، والنور ، والماء والنار ، والكون الآخر وهو الظلمة أعضائها خمسة : الضباب ، والحريق ، والسموم، والسم ، والظلمة ، قال ماني : وذلك الكون النير مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما ، والنور يلقى الظلمة بصفحته ، ولا نهاية للنور من علوه ولا يمنته ولا يسرته ، ولا نهاية للظلمة في السفل ولا في اليمنة واليسرة ·

قال ماني : ومن تلك الأرض المظلمة كان الشيطان ، لا آن يكون أزليا بعينه ، ولكن جواهره كانت في عناصره آزلية ، فاجتممت تلك الجواهر من عناصره ، فتكونت شيطانا ، رأسه كرأس أسد ، وبدنه كبدن تنين ، وجناحه كجناح طائر ، وذنبه كذنب حوت ، وأرجله أربع كأرجل الدواب ، فلما تكون هذا الشيطان من الظلمة وتسمى ابليس القديم، ازدرد واسترط[1] وأفسد، ومر يمنة ويسرة ونزل الى السفل في كل ذلك يفسد ويهلك من غالبه ، ثم رام العلو ، فرأى لمحات النور فأنكرها، ثم رآها متعالية فارتعد وتداخل بعضه في بعض ولحق بعناصره، ثم إنه رام العلو ، فعلمت الأرض النيرة بأمر الشيطان وما همّ به من القتال والفساد ، فلما علمت به ، علم به عالم الفطنة ، ثم عالم العلم ، ثم عالم الغيب ، ثم عالم العقل ، ثم عالم الحلم ، قال : ثم علم به ملك جنان النور ، فاحتال لقهره · قال : وكان جنوده أولئك يقدرون على قهره ، ولكنه أراد أن يتولى ذلك بنفسه ، فأولد بروح ثمانيه · وبخمسة عالميه وبعناصره الاثنتي عشرة ، مولوداً وهو الانسان القديم ، وندبه لقتال الظلمة · قال : فتدرع الانسان القديم بالأجناس الخمسة ، وهي الالهة الخمسة : النسيم والريح والنور والماء والنار ، واتخذهم سلاحا ،

(١) كذا بالأصل ، ومعنى استرط ، ابتلع ، ولعل العبارة « ازداد واشتطّ » ·

فأول ما لبس ، النسيم وارتدى علــى النسيم العظيم بالنور المشــع ، وتعطف على النور بالماء ذي الهباء ، واكتن بالريح الهابة ، ثم أخذ النار بيده كالمجن والسنان ، وانحط بسرعة « من الجنــان » الى آن انتهــى الى الحد مما يلي الحربي ، وعمد ابليس القديم الى أجناسه الخمسة : وهي الدخان والحريق ، والظلمة ، والسموم ، فتدرعها وجعلها جُنة لــه ، ولقى الانسان القديم ، فاقتتلوا مــدة طويلة ، واستظهر ابليس القديم على الانسان القديم ، واسترط من نوره ، وأحاط به مع أجناسه وعناصره ، واتبعه ملك جنان النور بآلهة أُخر ، واستنقذ واستظهر على الظلمة ، ويقال لهذا الذي اتبع به الانسان ، حبيب الأنوار ، فنزل وخلص الانسان القديم من الجهنمات مع ماأخذ، وأسر من أرواح الظلمة ·

قال : ثم إن البهجة وروح الحياة ظعنا الى الحد ، فنظرا الى غور تلك الجهنم السفلى، وأبصرا الانسان القديم والملائكة وقد أحاط بهم ابليس، والزجريون العتاة ، والحياة المظلمة ، قال : فدعا روح الحياة ، الانسان القديم بصوت عالي كالبرق في سرعة ، فكان الها آخر ·

قال ماني : فلما شابك ابليس القديم بالانسان القديم بالمحاربــة ، اختلط من أجزاء النور الخمسة بأجزاء الظلمة الخمسة ، فخالط الدخان النسيم ، فمنها هذا النسيم الممزوج ، فما فيه من اللذة والترويح عــن الأنفس وحياة الحيوان فمن النسيم ، وما فيه من الهلاك والايذاء فمن الدخان ، وخالط الحريق النار ، فمنها هذه النار ، فما فيها من الاحراق والهلاك والفساد فمن الحريق، وما فيها من الاضاءة والانارة فمن النار، وخالط النور الظلمة ، فمنها هذه الأجسام الكثيفة ، مثل الذهب والفضة وأشباه ذلك ، فما فيها من الصفاء والحسن والنظافة والمنفعة ، فمــن النور ، وما فيها من الدرن والكــدر والغلظ والقساوة فمن الظلمــة ، وخالط السموم الريح ، « فمنها هذه الريح »، فما فيها من المنفعة واللذة

فمن الريح، وما فيها من الكرب والتعوير والضرر فمن السموم، وخالط الضباب الماء ، فمنها هذه الماء ، فما فيه من الصفاء والعذوبة والملائمة للأنفس فمن الماء ، وما فيه من التغريق والتخنيق والاهلاك والثقل والفساد فمن الضباب •

قال ماني : فلما اختلط الأجناس الخمسة الظلمية بالأجناس النورية ، نزل الانسان القديم الى غور العمق ، فقطع أصول الأجناس الظلمية لئلا تزيد ، ثم انصرف صاعداً الى موضعه في الناحية الحربية ، قال : ثم أمر بعض الملائكة باجتذاب ذلك المزاج الى جانب من أرض الظلمة يلي أرض النور ، فعلقوهم بالعلو ، ثم أقام ملكا آخر فدفع إليه تلك الأجزاء الممتزجة •

قال ماني : وأمر ملك عالم النور بعض ملائكته بخلق هذا العالم ، وبنائه من تلك الأجزاء الممتزجة لتخلص تلك الأجزاء النورية من الأجزاء الظلمية ، فبنى عشر سموات ، وثماني أرضين ، ووكل ملكا بحمل السموات وآخر برفع الأرضين ، وجعل لكل سماء أبوابا اثني عشر بدهاليزها عظاما واسعة ، كل واحد من الأبواب بازاء صاحبه وقبالته ، على كل واحد من الدهاليز مصراعين ، وجعل في تلك الدهاليز ، في كل باب من أبوابها ست عتبات ، وفي كل واحدة من العتبات ثلاثين سكة ، وفي كل سكة اثني عشر صفا ، وجعل العتبات والسكك والصفوف ، من أعاليها في علو السموات •

قال : ووصل الجو بأسفل الأرضين على السموات ، وجعل حول هذا العالم خندقا ليطرح فيه الظلام الذي يستصفى من النور ، وجعل خلف ذلك الخندق سوراً لكي لا يذهب شيء من تلك الظلمة المفردة عن النور •

قال ماني: ثم خلق الشمس والقمر لاستصفاء مافي العالم من النور، الذي اختلط بشياطين الحر ، والقمر يستصفي النور الذي اختلط

بشياطين البرد ، في عمود السبح ، يتصاعد ذلك مع مايرتفع من التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر ، قال : فيدفع ذلك الى الشمس، ثم ان الشمس تدفع ذلك الى نور فوقها في عالم التسبيح ، فيسير في ذلك العالم الى النور الأعلى الخالص ، فلا يزال ذلك من فعلها حتى يبقى من النور شيء منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه، « فعند ذلك » يرتفع الملك الذي كان يحمل الأرضين ، ويدع الملك الآخر ، اجتذاب السماوات ، فيختلط الأعلى على الأسفل ، وتفور نار فتضطرم في تلك الأشياء ، فلا تزال مضطرمة حتى يتحلل ما فيها من النور .

قال ماني : ويكون ذلك الاضطرام ، مقدار ألف سنة وأربعمائة وثمان وستين سنة .

قال : فاذا انقضى هذا التدبير ، ورأت الهامة روح الظلمة ، خلاص النور وارتفاع الملائكة والجنود والحفظة ، استكانت ورأت القتال ، فيزجرها الجنود من حولها ، فترجع الى قبر قد أعد لها ، ثم يسد على ذلك بصخرة تكون مقدار الدنيا ، فيردمها فيه ، فيستريح حينئذ من الظلمة وأذاها ، وزعمت الماسية من المانوية أن النور يبقى منه شيء في الظلمة .

ابتداء التناسل على مذهب ماني

قال : ثم ان أحد أولئك الأراكنة[1] والنجوم والزجر والحرص والشهوة والاثم ، تناكحوا ، فحدث من تناكحهم الانسان الأول الذي هو آدم ، والذي تولى ذلك ، أركونان ذكر وانثى ، ثم حدث تناكح آخر ، فحدث منه ، المرأة الحسناء التي هي حواء . قال : فلما رأى الملائكة الخمسة، نور الله وطيبه الذي استلبه الحرص، وآسره في ذينك المولودين،

---

(١) جمع أركون (أو أرخون)وتعني بالاغريقية ، خاصة في تاريخ أثينا القديم «حاكم».

سألوا البشير وأم الحياة والانسان القديم وروح الحياة ، أن يرسلوا الى ذلك المولود القديم من يطلقه ويخلصه، ويوضح له العلم والبر، ويخلصه من الشياطين ، قال : فأرسلوا عيسى ومعه إله ، فعمدوا الى الأركونين فحبسوهم ، واستنفذوا المولودين ، قال : فعمد عيسى فكلم المولود الذي هو آدم، وأوضح له الجنان والآلهة ، وجهنم والشياطين والأرض والسماء والشمس والقمر ، وخوفه من حواء وأراه زجرها ومنعه منها، وخوفه أن يدنو اليها، ففعل • ثم إن الاركون عاد الى ابنته التي هي حواء، فنكحها بالشبق الذي فيه ، فأولدها ولداً أشوه الصورة أشقر ، واسمه قاين ، الرجل الأشقر ، ثم إن ذلك الولد نكح أمه ، فأولدها ولداً أبيض، سماه هابيل • الرجل الأبيض ، ثم رجع قاين فنكح أمه ، فأولدها جاريتين ، تسمى احداهما حكيمة الدهر ، والأخرى ابنة الحرص ، فاتخذ ابنة الحرص قاين زوجة ، ودفع حكيمة الدهر الى هابيل فاتخذها امرأة له •

قال : فكان في حكيمة الدهر فضل من نور الله وحكمته ، ولم يكن في ابنة الحرص من ذلك شيء، ثم إن ملكا من الملائكة صار الى حكيمة الدهر، فقال لها : احفظي نفسك ، فانه يولد جاريتان مكملتان لمسرة الله ،ووقع عليها ، فولدت منه جاريتين، فسمت احداهما فرديادِ ، والأخرى برفرياد فلما بلغ هابيل ذلك احتشى غضبا وشمله الحزن ، وقال لها : ممن جئت بهذين الولدين ، احسبهما من قاين ، وهو الذي خالطك ، فشرحت له صورة الملك ، فتركها ومضى الى أمه حواء ، فشكا اليها ما فعله قاين ، وقال لها : بلغك ما فعله بأختي وامرأتي ، فبلغ ذلك قاين ، فعمد الى هابيل فدمغه بصخرة فقتله ، ثم اتخذ حكيمة الدهر امرأة •

قال ماني: ثم ان أولئك الأراكنة وذلك الصنديد[1] وحواء، اغتموا لما رأوا من قاين ، وعلم الصنديد لحواء رطانة السحر لتسحر آدم ،

(١) من الواضح أن النقل هنا عن ماني غير متصل ، بل فيه انقطاع •

فمضت ففعلت ، وتصدت له باكليل من زهر الشجر ، فلما رآهـا آدم لشهوته وقع عليها ، فحملت منه وولدت رجلا جميلا صبيح الوجه ، فبلغ الصنديد ذلك ، فاغتم له واعتل ، وقال لحواء : إن هذا المولود ليس منا وهو غريب ، فرامت قتله ، فأخذه آدم ، وقال لحواء : إني أغذه بألبان البقر وثمار الشجر ، وأخذه ومضى ، فأنفذ الصنديد الأراكنة ليحملوا الشجر والبقر ويباعدوها من آدم ، فلما رأى آدم ذلك، أخذ ذلك المولود، وأدار حوله ثلاث دائرات ، ذكر على الأولى اسم ملك الجنان ، وعلـى الثانية اسم الانسان القديم ، وعلى الثالثة اسم روح الحياة ، وتنجى وضرع الى الله جل اسمه ، فقال له : إن كنت أنا اجترمت اليكم جرما ، فما ذنب هذا المولود ؟! ثم إن واحداً من الثلاثة عجل ومعه اكليل البهاء أخذه بيده الى آدم ، فلما رآه الصنديد والأراكنة ، مضوا لوجوههم .

قال : ثم ظهرت لآدم شجرة يقال لها لوطيس ، فظهر منها لبن فكان يغذي الصبي به ، وسماه باسمها ، ثم سماه بعد ذلك شاثل ، ثم إن ذلك الصنديد نصب العداوة لآدم ولأولئك المولودين ، فقال لحواء : اطلعي الى آدم فلعلك أن ترديه إلينا ، فانطلقت فاستغوت آدم ، فخالطها بالشهوة ، فلما رآه شاثل وعظه وعذله ، وقال له : هلم ننطلق الى المشرق ، الى نور الله وحكمته ، فانطلق معه ، وأقام ثم الى أن توفي ، وصار الى الجنان ، ثم ان شاثل،وفرياد، وبرفرياد،وحكيمة الدهر أمهما دبروا بالصديقوت بحق واحد وسبيل واحدة الى وقت وفاتهم ، وصارت حواء ، وقـاين ، وابنة الحرص الى جهنم .

صفة ارض النور وجو النور وهما الاثنان
اللذان كانا مع إله النور ازليين

قال ماني : لأرض النور أعضاء خمسة : النسيم، والريح ، والنور، والماء ، والنار ، ولجو النور أعضاء خمسة : الحلم ، والعلم ، والعقـل،

والغيب ، والفطنة ؛ قال : العظمة ، هذه الأعضاء العشرة كلها التي هي للجو والأرض ، قال : وتلك الأرض النيرة ذات جسم نضيرة بهجة ، ذات وميض وشروق ، يشرق عليه صفاء طهرها ، وحسن أجسامها • صورة صورة ، وحسنا حسنا ، وبياضا بياضا ، وصفاء صفاء ، وبهجا بهجا ، ونوراً نـورا ، وضياء ضياء ، ومنظرا منظراً ، وطيبا طيبا ، وجمـالا جمالا ، وابوابات ابوابات ، وبروجا بروجا، ومساكن مساكن ، ومنازل منازل ، وجنانا جنانا ، وأشجاراً أشجاراً ، وغصونا غصونا ذات فروع وثمار ، بَهِـجة المنظر ، ونور بهي بألوان شتى ، بعضها أطيب وأزهر من بعض ، وغماما غماما ، وظلا ظلا ، وذلك الاله النير في هذه الأرض أزلي • قال : وللاله في هذه الأرض عظمات اثني عشر ، يسمون الأبكار، صورهم كصورته كلها علماء عاقلون ، قال : وعظمات يسمون العمـار العالمون الأقوياء ، قال : والنسيم حياة العالم •

صفة ارض الظلمة وحرّها

قال ماني : أرضها ذات أعمـاق وأغوار وأقطـار وأطباق وردوم وغياض وآجام ، أرض متفرقة متشعبة ، مملوءة حرشات وينابيع دخان منها من بلاد ، بلاد ، ومن ردم، ردم ، وتتبع النار منها من بلاد ، بلاد• وتتبع الظلمة من بلاد بلاد، وبعض ذلك أرفع من بعض، وبعضه أسفل، والدخان الذي ينبع منه ، وهو حمـة الموت ، ينبع من ينبوع غـور ، قواعده من ألوفية ربوات • وعناصر النار ، وعناصر الريح الشديدة المظلمة ، وعناصر الماء الثقيل ، والظلمة مجاورة لتلك الأرض النيرة فوق ، وتلك أسفل ، لا نهاية لواحد منها في جهة العلو ، والظلمة من جهة السفل •

كيف ينبغي للانسان ان يدخل في الدين

قال : ينبغي للذي يريد الدخول في الدين أن يمتحن نفسه ، فان

رآها تقدر على قمــع الشهوة والحرص وترك أكل اللحمان ، وشرب الخمر والتناكح ، وترك أذية الماء ، والنار والسحر والرياء فليدخل في الدين • وإن لم يقدر على ذلك كله ، فلا يدخل في الدين ، وإن كان يحب الدين ، ولــم يقدر على قمــع الشهوة والحرص ، فليغتنم حفظ الدين والصديقين ، وليكن له بازاء أفعاله القبيحة ، أوقات يتجرد فيها للعمل والبر والتهجد ، والمسألة والتضرع ، فان ذلك ينفعه في عاجله أو آجله • وتكون صورته الصورة الثانية في المعاد ، ونحن نذكرها فيما بعد ، انشاء الله « تعالى » •

الشريعة التي جاء بها ماني والفرائض التي فرضها

فرض ماني على أصحابه عشر فرائض على السماعين ، ويتبعها ثلاث خواتيم ، وصيام سبعة أيام أبداً في كل شهر ، فالفرائض هي : الايمان بالعظائم الأربع : الله ، ونور ه، وقوته ، وحكمته ، فالله جل اسمه ملك جنان النور • ونــوره الشمس والقمر ، وقوتــه الأملاك الخمسة : وهــي النسيم ، والريح ، والنور والمــاء ، والنــار ، وحكمته الدين المقدس ، وهو على خمسة معــاني : المعلمين ، ابنــاء الحلم ، المستمعين ، ابناء العلم ، القسيسين ، ابناء العقل ، الصديقين ، أبناء الغيب ، السماعين ، ابناء الفطنة ، والفرائض العشر : تــرك عبادة الأصنام ، ترك الكذب ، وترك البخــل ، ترك القتل ، الزنــا ، ترك السرقة ، وتعليم العلم والسحر ، والقيام بهمتين وهو الشك في الدين ، والاسترخاء والتواني في العمل •

وفرض صلوات اربع او سبع

وهو أن يقوم الرجل فيمسح بالماء الجاري أو غــيره ، ويستقبل النيـّر الأعظم قائمــا ، ثم يسجــد ويقــول في سجوده مبارك هادينــا الفارقليط رسول النــور ، ومبارك ملائكته الحفظة ، ومسبح جنوده

النيرون ، يقول هـذا وهـو يسجد ،ويقوم ولا يلبث في سجوده ويكون منتصبا ، ثم يقول في السجدة الثانية : مسبح أنت أيها النير ماني هادينا، أصل الضياء ، وغصن الحياء ، الشجرة العظيمة التي هي شفاء كلها ، ويقول في السجدة الثالثة : اسجـد واسبح بقلب طـاهر ولسان صادق للاله العظيم ، أبـي الانوار وعنصرهم ، مسبح مبارك أنت وعظمتك كلهـا ، وعالموك المباركون الذيـن دعوتهم ، يسبحك مسبـح جنـودك وأبرارك وكلمتك وعظمتك ورضوانك ، من أجل أنك أنت الاله الذي كله حق وحياة وبرر • ثم يقول في الرابعة : اسبح واسجد للالهة كلهم والملائكة المضيئين كلهم وللانوار كلهم « وللجنود كلهم » والذين كانوا من الاله العظيم ، ثم يقول في الخامسة : أسجد وأسبح للجنود الكبراء ، وللآلهة النيرين الذين بحكمتهم طعنـوا واخرجوا الظلمـة وقمعوها ، ويقول في السادسة : اسجد وأسبح لأبي العظمة العظيم المنير ، الذي جاء من العلمين ، وعلى هـذا الى السجـدة الثـانية عشرة ، فـاذا فرغ من الصلوات العشر ، ابتدأ في صلاة أخرى ، ولهم فيها تسبيح لا حاجة بنا الى ذكره •

فاما الصلاة الأولى ، فعند الزوال • والصلاة الثانية ، بين الزوال وغروب الشمس ، ثم صلاة المغرب بعـد غروب الشمس • ثـم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات • ويفعـل في كل صلاة وسجدة مثـل ما فعل الصلاة الأولى ، وهي صلاة البشير •

فأمـا الصوم : فـاذا نزلت الشمس القوس ، وصار القمر نـوراً كله ، يصام يومـين لا يفطر بينهما ، فاذا أهـل الهلال ، يصام يومين لا يفطر بينهما ، ثم من بعـد ذلك يصام ، إذا صار نـوراً ، يومين في الجدي • ثم إذا أهل الهلال ، ونزلت الشمس الدلو ، ومضى من الشهر ثمانية أيام ، يصام حينئذ ثلاثين يوما ، يفطر كل يـوم عنـد غروب

الشمس ، والأحد يعظمه عامة المنانية ، والاثنين يعظمه خواصهم ، كذا أوجب عليهم ماني •

اختلاف المانوية في الامامة بعد ماني

قال المانوية : لما ارتفع ماني الى جنان النور ، أقام قبل ارتفاعه ، سيس الامام بعده ، فكان يقيم في دين الله وطهارته الى أن توفي ، وكانت الائمة يتناولون الدين واحداً عن واحد ، ولا اختلاف بينهم ، الى أن ظهرت خارجة منهم ، يعرفون بالديناورية ، فطعنوا على إمامهم ، وامتنعوا عن طاعته ، وكانت الامامة لا تتم إلا ببابل ، ولا يجوز أن يكون إمام في غيرها • فقالت هذه بخلاف هذا القول ، ولم يزالوا عليه وعلى غيره من الخلاف ، الذي لا فائدة في ذكره ، الى أن افضت الرئاسة الكلية الى مهر ، وذلك في ملك الوليد بن عبد الملك ، في ولاية خالد بن عبد الله القسري العراق ، وانضم اليهم رجل يقال له زادهرمز ، فمكث عندهم مدة ثم فارقهم ، كان رجلاً في دنيا عريضة فتركها وخرج الى الصديقوت، وزعم أنه يرى أموراً ينكرها، وأراد اللحوق بالديناورية، وهم وراء نهر بلخ • فأتى المدائن ، وكان بها كاتب للحجاج بن يوسف ذو مال كثير ، وقد كانت بينهما صداقة ، فشرح له حاله والسبب الذي أخرجه من الجملة ، وانه يريد خراسان لينضم الى الديناورية ، فقال له الكاتب : أنا خراسانك ، وأنا أبني لك البيع وأقيم لك ما تحتاج اليه ، فأقام عنده ، وبنى له البيع ، فكتب زادهرمز الى الديناورية يستدعي منهم رئيسا يقيمه ، فكتبوا اليه إنه لا يجوز أن تكون الرئاسة إلا في وسط الملك ببابل ، فسأل عن من يصلح لذلك ، فلم يكن غيره ، فنظر في الأمر ، فلما انحل ، ومعناه حضرته الوفاة ، سألوه أن يجعل لهم رئيسا ، فقال : هذا مقلاص قد عرفتم مكانه ، وأنا ارضاه ، وأثق بتدبيره لكم ، فلما مضى زادهرمز ، أجمعوا على تقديم مقلاص ، فصارت المانوية فرقتين ، المهرية ، والمقلاصية •

وخالف مقلاص الجماعة الى أشياء من الدين ، منها في الوصالات ، حتى قدم أبو هلال الديجوري من افريقية ، وقد انتهت رئاسة المانوية إليه ، وذلك في أيام أبي جعفر المنصور، فدعا المقالصة الى ترك ما رسمه لهم مقلاص في الوصالات ، فأجابوه الى ذلك ، وظهر من المقالصة في ذلك رجل يعرف ببزرمهر ، واستمال جماعة منهم وأحدث أشياء آخر ، ولم يزل أمرهم على ذلك الى أن انتهت الرئاسة الى أبي سعيد رجاء، فردهم في الوصالات الى رأي المهرية، وهو الذي لم يزل الدين عليه في الوصالات ولم يزل حالهم على ذلك ، الى آن ظهر في خلافة المأمون رجل منهم ، احسبه يزدان بخت، فخالف في الأمور وأودى بهم، ومالت اليه شرذمة منهم ·

ومما نقمته المقالصة على المهرية ، آنهم زعموا آن خالد القسري حمل مهرا على بغلة وختمه بخاتم فضة ، وخلع عليه ثياب وشي ، وكان رئيس المقالصة في أيام المأمون والمعتصم ، أبو علي سعيد ، ثم خلفه بعد ، كاتبه نصر بن هرمزد السمرقندي · وكانوا يرخصون لأهل المذهب والداخلين فيه أشياء محظورة في الدين ، وكانوا يخالطون السلاطين ويؤاكلونهم ، وكان من رؤسائهم أبو الحسن الدمشقي ·

وقتل ماني في مملكة بهرام بن شابور ، ولما قتله ، صلبه نصفين ، النصف الواحد على باب ، والآخر على الباب الآخر من مدينة جند يسابور ، ويسمى الموضعين ، المار الأعلى والمار الأسفل ، ويقال إنه كان في محبس شابور ، فلما مات شابور أخرجه بهرام ، ويقال بل مات في الحبس ، والصلب لا شك فيه ·

وحكى بعض الناس، أنه كان أحنف الرجلين، وقيل الرجل اليمني، وماني ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويزري عليهم ويرميهم بالكذب و « يزعم » أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم ، بل يقول في مواضع من كتبه إنهم شياطين · فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم أنه الشيطان ·

قال ماني : إذا حضرت وفاة الصديق ، أرسل اليه الانسان القديم إلها نيراً بصورة الحكيم الهادي ، ومعه ثلاثة آلهة ، ومعهم الركوة واللباس والعصابة، والتاج، واكليل النور، وتأتي معهم البكر الشبيهة بنسمة ذلك الصديق ، ويظهر له شيطان الحرص والشهوة والشياطين ، فاذا رآهم الصديق ، استغاث بالآلهة التي على صورة الحكيم ، والآلهة الثلاثة ، فيقربون منه ، فاذا رأتهم الشياطين ولت هاربة ، وآخذوا ذلك الصديق وألبسوه التاج والاكليل واللباس ، وأعطوه الركوة بيده، وعرجوا به في عمود السبح الى فلك القمر ، والى الانسان القديم ، والى النهنهة أم الأحياء الى ما كان عليه أولا ، في جنان النور ، ثم يبقى ذلك الجسد مُلقى، فتجتذب منه الشمس والقمر والآلهة النيرون القوى التي هي : الماء والنار والنسيم ، فيرتفع الى الشمس ويصير إلها ، ويقذف باقي جسده التي هي ظلمة كله ، الى جهنم ٠

فأما الانسان المحارب ، القابل للدين والبر ، الحافظ لهما وللصديقين ، فاذا حضرت وفاته ، حضر أولئك الآلهة الذين ذكرتهم ، وحضرت الشياطين ، واستغاث ومت بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين ، فيخلصونه من الشياطين ، فلا يزال في العالم ، شبه الانسان الذي يرى في منامه الأهوال ، ويغوص في الوحل والطين ، فلا يزال كذلك الى أن يتخلص نوره وروحه ، ويلحق بملحق الصديقين . ويلبس لباسهم بعد المدة الطويلة من تردده ٠

فأما الانسان الأثيم، المستعلي عليه الحرص والشهوة، فاذا حضرت وفاته ، حضرته الشياطين ، فأخذوه وعذبوه وأروه الأهوال ، فيحضر أولئك الآلهة ، ومعهم ذلك اللباس ، فيظن الانسان الأثيم آنهم قد جاءوا لخلاصه ، وإنما حضروا لتوبيخه ، وتذكيره أفعاله ، وإلزامه الحجة في

ترك إعانته الصديقين ، ثم لا يزال يتردد في العالم في العذاب الى وقت العاقبة فيدحى به في جهنم ، قال ماني : فهذه ثلاث طرق يقسم فيه نسمات الناس ، أحدها الى الجنان وهم الصديقون ، والثاني الى العالم والأهوال وهم حفظة الدين ومعينو الصديقين ، والثالث الى جهنم وهو الانسان الأثيم ·

كيف حال المعاد بعد فناء العالم وصفة الجنة والجحيم

قال : ثم إن الانسان القديم يأتي من عالم الجدي ، والبشير من المشرق ، والبناء الكبير من اليمن ، وروح الحياة من عالم المغرب ، فيقفون على البنيان العظيم الذي هو الجنة الجديدة ، مطيفين بتلك الجحيم ، فينظرون إليها ، ثم يأتي الصديقون من الجنان الى ذلك النور فيجلسون فيه ، ثم يتعجلون الى مجمع الآلهة فيقومون حول تلك الجحيم ، ثم ينظرون الى عملة الاثم يتقلبون ، ويترددون ويتضورون في تلك الجحيم ، وليست تلك الجحيم قادرة على الاضرار بالصديقين ، فاذا نظر أولئك الآثمون الى الصديقين يسألونهم ويتضرعون اليهم فلا يجيبونهم إلا بما لا منفعة لهم فيه ، من التوبيخ ، فيزداد الأئمة ندامة وهما وغما ، فهذه صورتهم أبد الأبد ·

اسماء كتب ماني

لماني سبعة كتب، أحدها فارسي ، وستة سوري بلغة سوريا، وذلك: كتاب سفر الأسرار ـ ويحتوي على « أبواب » : باب ذكر الديصانيين ، باب شهادة يستاسف على الحبيب ، باب شهادة ··· على نفسه ليعقوب، باب ابن الأرملة ، وهو عند ماني المسيح المصلوب الذي صلبوه اليهود ، باب شهادة عيسى على نفسه في يهودا ، باب ابتداء شهادة اليمنى بعد غلبه ، باب الأرواح السبع · باب القول في الأرواح الأربع الزوال · باب الضحكة · باب شهادة آدم على عيسى · باب السقاط عن الدين ،

باب قول الديصانيين في النفس والجسد ، باب الرد على الديصانيين في نفس الحياة ، باب الخنادق الثلاثة ، باب حفظ العالم ، باب الأيام الثلاثة ، باب الأنبياء، باب القيامة، فهذا ما يحتوي عليه سفر الأسرار ٠

كتاب سفر الجبابرة ويحتوي ٠٠٠ كتاب فرائض السماعين ٠ كتاب فرائض المجتبين، كتاب الشابر قان ويحتوي على باب انحلال السماعين، باب انحلال المجتبين ، باب انحلال الخطاة ، كتاب سفر الأحياء، ويحتوي ٠٠٠ كتاب فرقماطيا ويحتوي ٠٠٠

أسماء الرسائل التي لماني والأئمة بعده

رسالة الأصلين ٠ رسالة الكُبَّراء ٠ رسالة هند العظيمة ٠ رسالة هيىء البر ٠ رسالة قضاء العدل ٠ رسالة كسكر ٠ رسالة فتق العظيمة ٠ رسالة أرمينية ٠ رسالة أموليا الكافر ٠ رسالة طيسفون في الورقة ٠ رسالة الكلمات العشر ٠ رسالة المعلم في الوصالات ٠ رسالة رحمن في خاتم الفم ٠ رسالة خبرهات في التعزية ٠ رسالة خبرهات في ٠٠٠ رسالة امهسم الطيسفونية ٠ رسالة يمنى في القطر ٠ رسالة خبرهات في ٠٠٠ رسالة طيسفون الى السماعين ٠ رسالة فافي ٠٠٠ رسالة الهدى الصغيرة رسالة سيس ذات الوجهين ٠ رسالة بابل الكبيرة ٠ رسالة سيس وفتق في الصور ٠ رسالة الجنة ٠ رسالة سيس في الزمان ٠ رسالة سقسوس في العشر ٠ رسالة سيس في الرهون ٠ رسالة التدبير ٠ رسالة أبا التلميذ ٠ رسالة مربى الى الرها ٠ رسالة أبا في الحب ٠ رسالة ميسان في النهار ٠ رسالة أبافي ٠٠٠ رسالة بحرانا أبا في الهيولي ٠ رسالة أبا في ذكر الطيب ٠ رسالة أبا في ذكر الطيب ٠ رسالة عبد يسوع في العصبات ٠ رسالة بحرانا في الوصالات ٠ رسالة شاثل وسكنى ٠ رسالة أبا في الزكوات ٠ رسالة حدانا في الحمامة ٠ رسالة افقوريا في الزمان ٠ رسالة زكو في الزمان ٠ رسالة سهراب في العشر ٠ رسالة الكرج والعراب ٠ رسالة سهراب في

الفرس • رسالة أبراحيا • رسالة أبي يسام المهندس • رسالة أبراحيا الكافر • رسالة المعمودية • رسالة يحى في الدراهم • رسالة افعنـد في الأعشار الأربعة • وبعد ذلك ، رسالة الافعند في السعد الأول • رسالة سوفي (في) ذكر الوسائد • رسـالة أبراحيا في تدبـير الصدقة • رسـالة السماعين في الصوم والنذر • رسالة السماعين في النار الكبرى • رسالة الأهوار في ذكر الملك • رسـالة السماعين في تعبير يزدانبخت • رسـالة مينـق (في) الفارسية الأولى • رسالة مينق الثـانية • رسـالة العشـر والصدقات• رسالة اردشير ومينق• رسالة سلم وعنصرا • رسالة حطا• رسالة خبرهات في الملك • رسالة ابراحيا في الأصحاء والمرضى • رسالة اردد في الدواب • رسـالة الحملان النيرة • رسالة مـانا في التصليب • رسالة مهر السماع • رسـالة فيروز وراسين • رسـالة عبدبال في سفر الاسرار • رسالة سمعون ورمين • رسالة عبدبال في الكسوة •

قطعة من اخبـار المنانية
وتنقلهم في البلدان واخبار رؤسائهم

أول من دخل بلاد ما وراء النهر ، من غير السمنية ، من الأديان ، المنانية ، وكان السبب فيه ، أن ماني لما قتله كسرى وصلبه ، وحرم على أهل مملكته الجدل في الدين ، جعل يقتل أصحاب ماني في أي موضع وجدهم ، فلم يزالوا يهربون منـه الى آن عبروا نهـر بلخ ، ودخلوا في مملكة خان ، فكانوا عنده ، وخان بلسانهم لقب يلقبون به ملوك الترك ، فلما نزل المنانية بما وراء النهر ، الى أن انتشر آمر الفرس ، وقوي آمر العرب ، فعادوا الى هذه البلاد ، وسيما في فتنة الفرس • وفي أيام ملوك بني أمية ، فان خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم • إلا آن الرئاسة ما كانت تعقد إلا ببابل في هذه الديار ، ثم يمضي الرئيس الى حيث يأمن من البلاد ، وآخـر ما انجلوا ، في أيـام المقتدر ، فانهم لحقوا بخراسان

خوفا على نفوسهم ، ومن تبقى منهم ستر أمره وتنقل في هذه البلاد • وكان اجتمع منهم بسمرقند نحو خمسمائة رجل فاشتهر أمرهم ، وأراد صاحب خراسان قتلهم ، فأرسل اليه ملك الصين ، وأحسبه صاحب التغزغز ، يقول إن في بلادي من المسلمين أضعاف من في بلادك من أهل ديني، ويحلف له، إن قتل واحداً منهم، قتل الجماعة به، وأخرب المساجد ، وترك الأرصاد على المسلمين في سائر البلاد ، فقتلهم ، فكف عنهم صاحب خراسان ، وأخذ منهم الجزية ، وقد قلّوا في المواضع الاسلامية ، واما مدينة السلام ، فكنت أعرف منهم في أيام معز الدولة نحو ثلاثمائة ، وأما في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة أنفس ، وهؤلاء القوم يسمون اجارى ، وهم برستاق سمرقند والصغد وخاصة بنو نكث •

اسماء وذكر رؤساء المنانية في دولة بني العباس وقبل ذلك

كان الجعد بن درهم ، الذي ينسب اليه مروان بن محمد ، فيقال مروان الجعدي وكان مؤدبا له ولولده فأدخله في الزندقة • وقتل الجعد، هشام بن عبد الملك في خلافته بعد أن أطال حبسه في يد خالد بن عبد الله القسري فيقال إن آل الجعد رفعوا قصة الى هشام ، يشكون ضعفهم وطول حبس الجعد ، فقال هشام أهو حي بعد ، وكتب الى خالد في قتله ، فقتله يوم اضحى ، وجعله بدلا من الأضحية ، بعد أن قال ذلك على المنبر ، بأمر هشام • فانه كان يُرمى ، أعني خالداً ، بالزندقة ، وكانت أمه نصرانية • وكان مروان الجعدي زنديقا •

ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة

أبو طالوت • أبو شاكر ، ابن أخي أبي شاكر • ابن عمي الحريزي • نعمان بن أبي العوجاء • صالح بن عبد القدوس • ولهؤلاء

كتب مصنفة في نصرة الاثنين ومذاهب أهلها ، وقد نقضوا كتبا كثيرة صنفها المتكلمون في ذلك . ومن الشعراء ؛ بشار بن برد . اسحق بن خلف . ابن سيابه . سلم الخاسر . علي بن الخليل . علي بن ثابت . وممن اشتهر أخيراً ؛ أبو عيسى الوراق . وأبو العباس الناشي . والجيهاني محمد بن أحمد .

ذكر من كان يرمي بالزندقة من الملوك والرؤساء

قيل إن البرامكة بأسرها . إلا محمد بن برمك ، كانت زنادقة . وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك . وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقا . واعترف بذلك فقتله المهدي . قرأت بخط بعض أهل المذهب ، أن المأمون كان منهم ، وكذب في ذلك . وقيل كان محمد بن عبد الملك الزيات زنديقا .

ومن رؤسائهم في المذهب في الدولة العباسية

أبو يحيى الرئيس . أبو علي سعيد . أبو علي رجاء يزدان بخت ، وهو الذي أحضره المأمون من الري ، بعد أن آمنه ، فقطعه المتكلمون ، فقال له المأمون : أسلم يا يزدان بخت ، فلولا ما أعطيناك إياه من الأمان، لكان لنا ولك شأن . فقال له يزدان بخت . نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة ، وقولك مقبول ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم . فقال المأمون : أجل . وكان أنزله بناحية المخرم ، ووكل به حفظة ، خوفا عليه من الغوغاء وكان فصيحا لسنا .

ومن رؤسائهم في وقتنا هذا

انتقلت الرئاسة الى سمرقند ، وصاروا يعقدونها ثم ، بعد أن كانت لا تتم الا ببابل . وصاحبهم ثم في وقتنا هذا ...

الديصانيـة

انما سمي صاحبهم بديصان باسم نهر ولد عليه • وهو قبل ماني• والمذهبان قريب بعضهما من بعض وإنما بينهما خلف في اختلاط النور بالظلمة • فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين ؛ فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه ، ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج عنها ، امتنع ذلك عليه • وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما احس بخشونتها ونتنها ، شابكها بغير اختياره ، ومثال ذلك • أن الانسان إذا أراد أن يرفع عنه شيئا ذا شظايا محددة دخلت فيه ، فكلما دفعها ازدادت ولوجاً فيه ، وزعم ابن ديصان ، أن النـور جنس واحد ، والظلمة جنس واحد•وزعم بعض الديصانية ، أن الظلمة أصـل النور ، وذكر أن النور حي ، حساس ، عالم ، وأن الظلمة بضـد ذلك ، عامية ، غير حاسة ، ولا عالمة ، فتكارها •

وأصحاب ابن ديصان بنواحي البطائح كانوا قديمـا ، وبالصين وخراسان أمم منهم متفرقون ، لا يعرف لهم مجمع ولا بيعة ، والمنانية كثير جداً •

ولابن ديصان ؛ كتاب النور والظلمة • كتاب روحانية الحق•كتاب المتحرك والجماد • وله كتب كثيرة • ولرؤســاء المذاهب في ذلك ايضــا كتب ولم تقع الينا •

المرقيونية

أصحاب مرقيون ، وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى أقرب من المنانية والديصانية•وزعمت المرقيونية أن الأصلين القديمين: النور والظلمة، وأن هاهنا كانا ثالثا مزجهما وخالطهما ، وقالت بتنزيه الله عز وجل عن الشرور ، وأن خلق جميع الأشياء كلها لا يخلو من ضرر

وهو مجلّ عن ذلك · واختلفوا في الكون الثالث ، ما هو ، فقالت منهم طائفة : هو الحياة وهو عيسى ، وزعمت طائفة آن عيسى رسول ذلك الكون الثالث ، وهو الصانع للأشياء بأمره وقدرته ، إلا انهم آجمعوا على أن العالم محدث ، وأن الصنعـة بينة فيـه ، ولا يشكون في ذلك ، وزعمت أن من جانب الزهومات ، والمسكر وصلّى لله دهـره ، وصـام أبـدأ أفلت مـن حبائـل الشيطان ، والحكايات عنـه مختلفـة كثـيرة الاضطراب ، وللمرقيونية · كتاب يختصون به · يكتبون به ديانتهم ، ولمرقيون كتاب انجيل ، سماه ··· ولاصحابه عدة كتب غير موجودة إلا حيث يعلم الله ، وهـم يتسترون بالنصرانية ، وهـم بخراسان كثير ، وأمرهم ظاهر كظهور المنانية ·

الماهانية

طائفة من المرقيونية ، يخالفونهم في شـيء ويوافقونهم في شيء ، فهـم يوافقون المرقيونيـة في جميـع الاحوال إلا في النكاح والذبائح ، ويزعمون ان المعدل بين النور والظلمة هو المسيح ، ولا يعرف من امرهم غير هذا ·

الجنجيين

هؤلاء أصحاب جنجي الجوخاني ، وكان هذا الرجل يعبد الاصنام ، ويضرب بالزنجليج في بيت الوثن · فترك ذلك المذهب، وعدل الى مذهب ابتدعه ، وزعم أن ها هنا شيئا كان قبل النور والظلمة ، وآنه كان في الظلمة صورتان : ذكر وانثى ، قال : فكان مع زوجته في الظلمة ، قال : فظهر للأنثى نـور ، وسرق قليـلا من النور ، عـالم الأحيـاء فتحركت كالدودة ، وارتفعت ، فقبلها النور وآلبسها شيئا من نوره ، ثم إنهـا فارقته ، وسرقت منه نوراً ورجعت الى موضعها ، فخلقت من النور الذي

سرقت ، من الـذي ألبسها النور ، السمـاء والجبـال والأرض وسائر الاشياء ، ويزعمون أن النار هي ملكة العالم ، وأشياء نستغفر الله من ذكرها • ولا نعرف لهم كتابا •

مقالة خسرو الارزومقان

هذا أيضا من جوخى ، من قريـة على النهـروان • وكان أصحابه يتفاخرون باللباس والزي ، وكان يأمرهم بذلك • ويزعم أن النور كان حيا لم يزل، وأنه كا ن نائما فغشيته الظلمة ، وأخذت منه نوراً ، وعادت الى موضعها ، فأرسل اليها باله خلقه وسماه ابن الأحياء ، وقال : امض وائتني بما أخذت الظلمة منـي من النور ، فلمـا صار ابن الاحياء الى الظلمة أصابها قد تحاكت ، فحدث منها بقوة النور الذي حصل فيها ، كونان ذكر وانثى ، فمضى وعاد الى النور ، والى معدن الحياة والنفوس، فأخذ منها وألبسها ذلك المولودين • وأنـه يذكر ، أن الماء الذي هـو صبابة الاحتكاك ، خلق منه السموات والارضين ، وما فيها من النجوم والمياه والجبال ، وكان يطعن على عيسى ويعجّزه ، ويكتم مذهبه ولا يذيعه ، ولا كتاب له ، والذي يحفظ من كلامه وكلام اصحابه : نحن الذين حفرنا السرب في العالم ، فسرقنا من الدنيا المال العظيم ، فغُمنا ، فذهبنا الى النهـر • فذهبنا بهن سوداً ، واتينـا بهن بيضا ، ورددناهن مشرقات مضيئات • هذا الكلام يغنون به ملحّنا موزونا • ويشبه مذهبهم في هذا مذاهب الخرمية •

الرشـيين

يزعمون أنه لم يكن غير الظلمة فقط ، وكان في جوفها الماء ، وفي جوف المـاء ، الريح ، وفي الريح ، الرحم ، وفي الرحـم المشيمة ، وفي المشيمة البيضة ، وفي البيضة الماء الحي ، وفي الماء الحي ، ابن الاحياء العظيم، وارتفع الى العلو ، فخلق البريات والأشياء والسموات والأرض والآلهة • قالوا : وابوه الظلمة لا يعلم ، ثم عاد •

المهاجرين

هؤلاء يقولون بالمعمودية والقرابين والهدايا ولهم اعياد • ويذبحون في بيعهم البقر والغنم والخنازير ، ولا يمنعون نسائهم من ائمتهم ، ويبيحون الزنا •

الكشطيين

يقولون بالذبائح والشهوة والحرص والمفاخرة ، ويقولون آنه كان قبل كل شيء ، الحي العظيم ، فخلق من نفسه ابنا وسماه نجم الضياء : ويسمونه، الحي الثاني • ويقولون بالقربان والهدايا والاشياء الحسنة•

المغتسلة

هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح ، وهم صابئة البطائح ، يقولون بالاغتسال ، ويغسلون جميع ما يأكلونه ، ورئيسهم يعرف بالمحسح ، وهو الذي شرع الملة ، ويزعم أن الكونين ذكر وآنثى ، وان البقول من شعر الذكر ، وان الاكشوث من شعر الانثى ، وآن الأشجار عروقه ، ولهم أقاويل شنيعة تجري مجرى الخرافة ، وكان تلميذه يقال له شمعون ، وكانوا يوافقون المانوية في الأصلين ، وتفترق ملتهم بعد ، وفيهم من يعظم النجوم الى وقتنا هذا •

حكاية اخرى في امر صابئة البطائح

هؤلاء القوم على مذاهب النبط القديم • يعظمون النجوم • ولهم أمثلة وأصنام • وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانيين • وقد قيل انهم غيرهم جملة وتفصيلا •

الملحق الثامن

من كتـــاب
المغني في أبواب التوحد والعدل
للقاضي عبد الجبار الهمذاني
[ت ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م]

الكلام على الثنوية القائلين بالنور والظلمة

فصـــــل

في ذكر جمل من مذاهبهم وما تختص بل كل فرقة منهم من المذاهب

إعلم أن كثيراً من المذاهب يُستغنى بذكـــر تفصيله عن التشاغل بذكر نقضه ، وإفساده لتناقضه في نفسه ، وكونه غير مبني على الأدلة والحجاج ، وعلى أصول مقررة ولكون كثيراً منه غير معقول ، ومذاهب الثنوية من هــذا القبيل ، فلذلك عزمنا على ذكر جمــل من مذاهبهم ، وإضافة مذهب كل فريق منهم اليه ليعرف القول في ذلك •

ونعتمـــد في كـــل ما نحكيه على ما أورده الحس بن موسى في كتاب الآراء والديانات ، لأنه موثوق بحكايته •

وما نحكيه عن غيره نبين المحكي عنه ليعرفه الناظر في كتابنا •

ذكر الحسن بن موسى في كتابه من فرق الثنوية المانوية ، وربمـــا قيـــل فيهم المنانية ، وذكر المزدقيـــة والديصانية والمرقونية الماهانية ، وذكر المجوس ، وذكر أحمد بن الحسن المسمعي فرقـــة أخرى يقال لهـــا المقلاصية ، وذكـــرا جميعا من رؤســـاء الثنوية : عبـــد الكريم بن أبـــي

العوجاء ، والنعمان الثنوي ، وأبا شاكر الديصاني ، وابن طالوت ، وابن أخي أبي شاكر ، وعبد الله بن المقفع ، وبشار الأعمى الشاعر ، وغسان الرهاوي ، وحماد عجرد ، وقد حكى عن كل واحد منهم مذاهب يخالف بها صاحبه في الفروع ، وإن كانوا يتفقون في التثنية ٠

حكاية قول المانوية

قالت المنانية ، وهم أصحاب ماني الثنوي ، فيما حكاه الحسن بن موسى : إن العالم مركب من شيئين : نور وظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولا يزالان ، وأحالوا[1] حدوث شيء من الصنعة والتركيب إلا من أصل قديم، وقالوا : لم نر إلا حسَّاسَين قويين دراكين سميعين بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة ، ومتضادان في الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن مختص بالصفاء والنقاء وطيب الريح وحسن المنظر ؛ ونفسه خيرة كريمة نفاعة ، وكل خير وصلاح وسرور من فعلها ؛ ليس فيها شيء من الشر ولا من الضرر ؛ وجوهر الظلمة على ضد ذلك من النقص والكدورة، ونتن الريح وقبح المنظر ؛ ونفسها نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنةضارة ؛ وكل شر وضرر وغم وفساد فمنها يكون ٠

وزعموا أنهما لم يزالا متباينيين ، ثم امتزجا من بعد ، وزعموا أن عالميهما غير متناهيين من كل جهاتهما إلا من جهة تلاقيهما ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : إن النور لم يزل فوق الظلمة ، وهي تحته على الاستواء ٠

وحكى أبو عيسى الوراق عن أكثرهم أن النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال ؛ والظلمة منحطة في ناحية الجنوب ؛ وقال بعضهم : كل واحد منهما الى جنب الآخر ، وقال بعضهم : إن تلاقيهما على جهة

---

(١) من الحيلولة والاستحالة ٠

الانتصاب ، وفي الظلمة اضطجاع ، واختلفوا في تلاقيهما ؛ فقال بعضهم: يتماسان من غير فاصل ، كتماس الشمس والظل ، وهذا قول معظمهم ؛ وقال بعضهم : إن تلاقيهما على المجاورة وبينهما فرجة ·

وزعموا أن كل واحد منهما خمسة أجناس ، أربعة أبدان ، وهي من النور : النار ، والنور ، والريح ، والماء ، والخامس ، هو الروح ، وهو النسيم يتحرك في هذه الأبدان؛ وأبدان الظلمة : الحريق، والظلمة، والسموم ، والضباب ؛ وروحها الدخان ، ويسمونها الهامة[1]· وزعموا أن أبدان النور يخالف بعضها بعضا وتشترك في أنهار نور ، وروح النور لم تزل تنفع أبدانها وتنفعها أبدانها ، وروح الظلمة تضر بأبدانها ، وتضر بها أبدانها ، وحكى عنهم أن الأجناس الخمسة منها : سواد ، وبياض ، وحمرة ، وخضرة ؛ فما كان منها من بياض في عالم النور ، فهو خير ، وما كان منه في عالم الظلمة فهو شر ، ولهما حواس خمس ، فما كان منها في النور فهو خير ، وما كان منها في الظلمة فهو شر ، وزعم أكثرهم أن الأجناس والأرواح جميعها حي حساس ، وقال بعضهم في الروحين ، إنهما حيان ، وأبدان النور حية حياة ظاهرة ، لا حياة حس وتمييز ؛ وأبدان الظلمة وأجناسها ميتة فاسدة ·

وحكى عن أبي عيسى الوراق أن أفعال نفسيهما باختيار ؛ لكن اختيارهما لا يعدو ما في طبعيهما ؛ قالوا : وإنما تختلف الأشياء في الخير ، والشر ، والحسن والقبح ، والعلم ، والجهل ، فيكون بعض ذلك أكثر من بعض على قدر كثرة / أجزاء النور وأجزاء الظلمة ، وقال في المزاج : هو في عالم الظلمة ، دون عالم النور ·

---

(١) كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة ، فتقول : اسقوني ، فاذا ادرك بثأره طارت ، وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت ، وقيل روحه تصير هامة فتطير ، ويسمونه الصدى · النهاية لابن الأثير ·

والذي حكاه المتكلمون أنهم ينفون الأعراض ·

وقال الوراق في كتابه ، وكان ثنويا : هم على ثلاث فرق : فرقة تنفي الأعراض ؛ وأخرى تثبتها أغياراً للأجسام ، وثالثة زعمت أنها صفات ، ولا يقال هي الجسم أو غيره ·

واختلفوا في خلاص النور من الظلمة بعد المزاج ، فمنهم من قال : إن كل النور يتخلص من الظلمة ، ومنهم من قال : يبقى في الظلمة بعضه ، لأن النور إذا تخلص منها جعل بينه وبينها حاجزاً من الظلمة ، وهي أجزاء النور يربطه بها لئلا تعود اليه فتؤذيه · ثم اختلفوا فقال بعضهم : إذا غلبت الظلمة على النور وطال مكثه عمل عملها ؛ وأنكر ذلك سائرهم ؛ وكذلك النور إذا غلب على الظلمة ·

وقال بعضهم : إن سبب المزاج أن « عالم » الظلمة لم تزل تقطع حتى انتهت الى حد النور في وقت المزاج ، وقال آخرون : لم تزل تجول في عالمها فوقعت على النور بالخبط لا بالقصد ، وزعم جلهم في سبب ذلك أن أبدان الظلمة تشاغلت عن الاضرار بروحها بعض التشاغل ، فنظرت الروح فرأت النور ولم تزل تحس بأن معها غيرها ، فبعثت الروح تلك الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لاسراعها الى الشر ، فتحيلت الظلمة في صورة قبيحة في كل جزء من أجزائها الخمسة ، فلما رأى ذلك ملك عالم النور، وجه اليها ملكا من ملائكته من خمسة آجزاء من أجناسه الخمسة فأشرف / على كل جند من جنودها الخمسة فأسرها ، فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلمية ، فخالط الدخان النسيم ، والحياة الروح من النسيم ، والهلاك من الدخان ، وخالط الحريق النار ، فالهلاك والاحراق من الحريق ، والانارة والمنفعة من النار ، وخالط النور الظلمة فمنها الأجسام الكثيفة الغلاظ كالذهب والفضة والحديد والحجر والتراب وما أشبهه ، فما فيها من الحسن والصفاء

والمنفعة فمن النور ومـا فيها من أضـداد ذلك فمن الظلمـة ، وخالط السموم الريح والضباب الماء ؛ فما فيهما من النفع فمن النور وما فيهما من الضرر فمن الظلمة ٠

ثم نزل الانسان القديم الى غور العمق الأسفل فقطع منـه أصول تلك الجنود الظلمية، المأسورة ؛ ثم انصرف صاعداً الى موضعه في الناحية الجنوبية ، ثم اجتذب بعض الملائكة تلك الجنود المأسورة بمـا فيها الى جانب من أرض الظلمة فأقام ملكا قويا من أرض النور في الهـواء بين عالم النور والأجزاء الممتزجة ودفعوا اليه تلك الأجزاء ٠

وأمر ملك عالم النور بعض ملائكته بخلق هذا العالم وبنائه من تلك الأجزاء الممتزجة ، فخلقـه وبنى فيـه تحت ذلك الفلك الحاصل لتلك الأجزاء الممتزجة عشر سموات ، وثماني أرضين ، وكنس عفاريت مـن عفاريت الظلمة تحت الأرضين ، وعمد الى آكابر الشياطين فنبذهـم في السموات ، وفطر السماء الدائرة في فلك البروج ، وربط فيها عفاريت جعلهم مصاقبا للنور ، ووكل ملكا من ملائكته بادارته لكي يسدد تلـك العفاريت / فيمنعها بسددها من الصعود الى النور الأعلى، ومن الاضرار بالنور الممتزج وليتخلص بذلك منها ٠

ووكل ملكا بحمل السماوات ، وآخر برفع الأرضين ، ووصل الجو بأسفل الأرضين الى أعلى السماوات ، وجعل حول هذا العالم خندقا فيه الظلام قد استقصى نوره ، فبقي ظلاما منفرداً ٠

ثم سير الشمس والقمر لاستقصاء ما في العالم من النور ، فالشمس تستقصي النور الذي قد امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستقصي النور الذي امتزج بشياطين البرد ، والنسيم الذي في الأرضين لا يزال يدفع ما فيها من قوى النور وما ينحل من الأرض والنبات ، ولا يزال كذلـك

حتى يبقى من النور شيء معقد، لاتقدر الشمس والقمر على استقصائه، فعند ذلك يرتفع الملك الذي كان يرفع الأرضين ، ويدع الملك الآخر اجتذاب السماوات ، فتنحط الأعالي على الأسافل وتفور النار، فتضطرم في تلك الأشياء حتى ينحل ما فيها من النور ويكون ذلك الاضطرام آلف سنة وأربعمائة سنة وثمان وستين سنة ، فاذا رأت روح الظلمة خلاص النور استكلبت وتاقت للقتال ، فتزجرها تلك الجنود من حولها فترجع مذعورة الى قبر كان أعد لها، ويسد عليها فم ذلك القبر بصخرة كمقدار الدنيا ، فتطم تلك الجنود الكثيرة موضع الدنيا حتى يستوي مع أرض عالم النور ، فيستريح حينئذ من الظلمة ٠

وقد قال ماني : إن آبانا لعِظَمه وجه ملائكته لتحارب ما ابتغى محاربته من الهامة وعفاريتها ، وأمرهم بسجن ما امتزج من النور والظلمة وأن يبنوا منه العالم ، وقال في موضع/آخر : إن النور يفرج[1] بين روح الظلمة وأبدانها حتى لا يمكنها معاودة الامتزاج ٠

وقال في موضع آخر : يفعل بها فعلا لا يجوز معه آن تعاود المزاج ، وتكون حاله حال الفحل إذا خصي لا ينتج ٠

واختلفوا في ملك عالم النور ، فقال بعضهم : هو معظمه وهو روحه وما جاوره ومادته ، وهو بمنزلة جسد الانسان ، فبعضه قلب فيه العلم والتمييز ، وبعضه ليس ذلك فيه ٠

وقال قوم منهم: إن ملك عالم النور في جميع عالمه لا يخلو منه شيء، وقال آخرون : هو وسط عالمه ٠

وقال ماني في أول الشابرقان : إن ملك عالم النور في كل أرضه

---

(١) اي يفرق ٠

لا يخلو منه شيء ، وهو ظاهر باطن لا نهاية له إلا من حيث تتناهى أرضه الى أرض عدوه ٠

وقال بعضهم : الممتزج من الأصلين هو بعض أجسادهما دون أرواحهما ، وفي العالم أشياء كثيرة خالصة غير ممتزجة كالشمس والقمر والنهار ، فكل ذلك نور محض ، والليل ظلمة محضة ٠

وزعم أن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لم تزل في عالم الظلمة ، ولم تزل ممتزجة بمزاج قديم ، وأن المزاج المحدث ، هو مزاج الخير والشر ٠

وقد فرض أصحابهم ورؤساؤهم فرائض نحو : أن لا يقتنوا إلا لباس سنة ، وقوت يوم بيوم ، الى أشياء كثيرة تعبدوا بها ، من صلاة وزكاة ، ودعاء الى الحق ، وترك القتل ، والكذب ، والبخل ، والزنا ، والسرقة ، وأن لا تأتي الى ذي الروح ، ما تكره أن يؤتى إليك ٠

وأول / ما بعث الله تعالى بالعلم آدم ثم شيثا ثم نوحا ، وبعث زرادشت الى أرض فارس ، وبالبددة[1] الى أرض الهند ، وعيسى المسيح الى بلاد المغرب ، ثم ماني خاتم النبيين ٠

هذا كله ذكره ماني ، وإنما أطلنا الحكاية لأنه يغني عن الحجاج وتنكشف للناظر فيه خرافاتهم ٠

حكاية قول المزدقية

حكى الوراق أن قولهم كقول كثير من المانوية في الكونين ، لكنهم زعموا أن النور يفعل على القصد ، والظلمة تفعل بالخبط ٠

والمجوس تحكي عن مزدق أنه كان يبيح الأموال والنساء ويزعم أنه فعل ذلك ليترك الناس التباعد والقتال ، لأن ذلك يقع بسبب الأموال

---

(١) أي بوذا ٠

والنساء ، وهو الذي دعا قباذ الملك الى مذهبه فأجابه ، وخالفه كسرى أنوشروان ، وهو الذي قتله وقتل مستجيبيه •

وكان يذهب مزدق الى أن النور عالم حساس، والظلمة جاهلة عمياء، والمزاج كان على الخبط لا بالقصد •

وزعم أصحابه أنه كان نبيا ، وأنه أباح النكاح ، وقتل مخالفيه ، وإنما أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ، ومزاج الظلمة •

حكاية قول الديصانية

زعموا أن الأشياء من أصلين على ما زعمت المانوية •

وزعموا أن النور حي قادر ، عالم حساس دراك منه يكون الفعل والحركة ، والظلمة موات عاجزة جاهلة راكدة لا فعل لها ولا تمييز معها، والشر يقع منها طباعا •

وزعموا أن النور دراك مبصر، وأن سمعه هو بصره وسائر حواسه، وإنما قيل سمع وبصر لاختلاف التركيب لا لأنهما يختلفان في الحقيقة ، وزعموا أن اللون هو الطعم ، وهو الرائحة ، وإنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضربا من المخالطة، ووجد طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب، وكذلك القول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها •

وزعموا أن النور لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحة فيه ، والظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة فيها •

واختلفوا في المزاج ، فقال بعضهم : إن النور داخل في الظلمة لأنها كانت تلقاه بخشونة وغلظ يتأذى بها ، فأحب أن يلينها ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جنسها، ولكنه بمنزلة المنشار جنسه حديد، وصفحته لينة ، قالوا : فتلطف النور للدخول في تلك الفرج ، وقال بعضهم : بل بادرها فدفعها عن نفسه ، واعتمد فيها فلجج فيها كالانسان الذي يريد

الخروج من الوحل ، فاعتمد عليه ليخرج منه فيزداد لجوجا فيه ، فالنور داخل في الظلمة اختياراً ليصلحها ، فلما دخل فيها صار يفعل الجور والقبيح مضطراً ، ولو انفرد لم يفعل ذلك ٠

حكاية قول المرقيونية

زعم مرقيون أن للنور والظلمة كونا ثالثا ، ليس بنور ولا ظلمة ، وهو متوسط دون الله في النور ، ودون الشيطان في الطباع ، وهو سليم ودفع بغي الشيطان عليه ، فمازجه بنفسه ، وبنى من ذلك المزاج العالم ليتطبب به وينتفع بمنافعه ، وجعل في العالم قوى من قواه تدبره، ورتب البروج والكواكب لذلك ، وقدر منافع الزروع وما يصلحها في الأزمان، فلما رأى / النور تعدي الشيطان على هذا السليم ، بعث الى العالم الممتزج روحا ، وهو روح الله وابنه وهو عيسى، فمن تبعه وترك ملامسه النساء ، وتجنب الزهومات ، فقد أفلت من مكائد الشيطان ٠

وكان مرقيون هذا ممن لقي بعض تلامذة المسيح وأخذ عنه ٠

حكاية قول الماهانية

حكى عنهم موافقة المرقونية ، لكنهم يقولون بالنكاح والذبائح ، ويزعمون أن الثالث المعدل هو المسيح ٠

حكاية قول الصيامية

أضافهم قوم الى الصابئين ، وقوم الى الثنوية ، وزعموا أنهم أهل زهد وورع وتقلل وصوم ، وإمساك عن النكاح ، والذبائح ، يتدينون بذلك ويذهبون مذهب أهل الدهر والاثنين في سائر ما حكيناه ٠

حكاية قول المقلاصية

حكى المسمعي أنهم يذهبون مذهب المنانية ، وخالفوهم بأن قالوا : لا بد من أن يبقى في المزاج شيء من جوهر النور ، لا يقدر النور على

تخليصه ، فاذا طال مكثه في المزاج استحال ، فصار ظلمة وهو تلك القوة التي يربط بها الظلمة ، إذا تخلصت من المزاج •

وحكى الحسن بن موسى جملة من اختلافهم عن حسن بن علي البصري المعروف بأبي سعيد الحصري في المكان والهواء ، وفي الأعراض ، وصحة القياس ، وإبطاله والعفو والقصاص والعلاج ، وإثبات الامام والرئيس وذكر أنهم يختلفون في ذلك أجمع •

وحكى الخلاف فيه عن أبي العوجاء والنعمان وابن أخي أبي شاكر وابن طالوت والثنوية ، ما لا يختص بهذه المذاهب حتى نحكيه ونذكر قولهم فيه •

وأما قول المجوس فسنقرر بعد الكلام على الثنوية ذكر مذاهبهم والنقض عليهم •

وأما المسمعي فذكر عن المانية ، أن النور لم يزل عالما بكون الظلمة لا بل علم كله ، والظلمة لم تزل جاهلة ، ولم يزل في كل واحد من هذين الأصلين صورة عظيمة هي ملكة ذلك الأصل وسائسه فيه ، فالهامة ملكة أصل الظلمة وعالمها ، وأبو العظمة ملك أصل النور وعالمه ، وزعموا أنه لم يزل في وسط عالم النور جبل من أسفله الى أعلاه ، كلما علا دق وليس لعلوه نهاية ، ولم يزل في عالم الظلمة غور عميق يسمى رحم الظلمة ، كلما نزل في عالم الظلمة دق وانحط الى ما لا نهاية له ، ثم تحركت هامة الموت في عالم الظلمة فقتل بعضها بعضا حتى أتت على ذلك الغور ، فدخلت فيه وأتت على أقصى حد الظلمة مما يلي كون النور ، فبصرت بعالمه ، فرأت منظراً حسنا ، فرامت أن تثلمه فوجدته منيعا فرجعت الى عالمها لتحتشد ، ودخلت الغور فحدث عند ذلك الأشجار والحيوان الخمسة : الطيارة ، والزحافة ، والسباحة ، وذوات القوائم ، والحشرات ، ثم أقبلت لمحاربة النور لجهلها بالعواقب ، فباشرت المزاج

بنفسها ، وأبو العظمة لعلمه بالعواقب ، باشر المزاج بنصيب من كونه ، وطائفة من أرواحه ثم قص تمام الحرب، وذكر بعد ذلك كيفية التخلص، وكيفية حدوث العالم والأفلاك ·

وحكى المسمعي عن ابن أبي العوجاء أنه قال بمذهب الثنوية ، واختص بأن قال : إن كل واحد من الأصلين : ينقسم خمسة حواس ، والحاسة التي تدرك الألوان ، غير الحاسة التي تدرك الطعوم ، والتي تدرك الطعوم غير التي تدرك الأراييح ·

وذكر أن ابن المقفع اختص بأن قال : إن النور إنما دبر الظلمة ، وأدخل نفسه فيها لما هو أصلح له من العاقبة ، ونفى ما ذكرته المنانية من الأقاصيص الشنيعة في حرب الأصلين ، وآقر بالحركات وأنها غير الأعيان ، وزعم أن الحركة طبيعية للكونين، وأن حركات النور خير كلها، وحركات الظلمة شر كلها ·

وذكر أن النعمان الثنوي وهو الذي قتله المهدي اختص بأن آنكر الحركات ، على ما ذهبت اليه الثنوية ، وزعم آن الأجسام تتجزأ الى الجزء الذي لا يتجزأ ، وأن الجزء جسم طويل عريض عميق ، إما من جوهر النور ، أو من جوهر الظلمة ·

واختص بشار الأعمى بأن قال : ليس على الناس أكثر من المعرفة ، واجتناب ما كان مكروها في الطباع من : القتل ، والغصب ، والسرقة ، والفساد ، وأنكر أن يكون جوهر النور إلها ومألوها ، وربا ومربوبا ، ومالكا ومملوكا ، كما تذهب إليه الثنوية ، وأنكر أن يكون الجوهر بعضه يصلي لبعض ، أو يضرع الى بعض ·

وحكى عن أبي شاكر أنه كان يقول بقول ابن ديصان ، ويثبت الحركة ويزعم أنها صفة للمتحرك لا هي هو ، ولا غيره ، وآنكر آن

تكون شيئا أو تكون لا شيء ، وقال إن التغاير والقول بأنه شيء لايقعان إلا على الأجسام ، والحركة ليست بجسم •

وهشام بن الحكم عنه أخذ هذا القول في الحركات •

وحكي عن غسان الرُّهاوي أنه يقول بقول المنانية ، ويزعم أن الحركات أجرام لطاف تنحل من المتحرك، وهي باقية الأعيان غير مضمحلة •

وحكي أن ابن طالوت قال بمذهب ابن أبي العوجاء في الحواس ، وزعم أن في كل واحد من هذين الأصلين حاس سادس غير الحواس الخمس، يميز بين المحسوسات ، ويفصل بعضها من بعض ، وجوهره مخالف لجوهر الأصلين وهو كيان لطيف ليس بمرئي ، وإنما يستدل عليه بتدبيره، لولا أنه كذلك ، لم يكن أحد يميز بين لونين وطعم ، فلما وجد التمييز دل على حاسة سادسة •

فهذه جمل أقاويلهم ، ونحن نبين أولا أصل الكلام في إبطال مذهبهم ثم نعطف على ما حكيناه فنشير ، الى إفساد ما فيه شبهة •

الملحق التاسع

من كتاب

الآثار الباقية عن القرون الخالية

لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني

[ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م]

القول على تواريخ المتنبين وامهم المخدوعين عليهم لعنة رب العالمين

ونقول على تأريخ المتنبئين ، فقد خرج فيما بين ما أوردناه من الأنبياء والملوك نفر من المتنبئين ، يقصر الكتاب عن تعدادهم ، والابانة عن أخبارهم ، فمنهم من هلك غير متبع ، ولم يبق إلا الذكر بعده فقط . ومنهم من اتبعه أمة ، وبقيت نواميسه عندها ٠ وهم مستعملون تاريخه، فمن الواجب أن نذكر تواريخ المشهورين منهم ، فان ذلك منفعة في علم أحوالهم أيضا ، وأول المذكورين منهم بوذاسف ، وقد ظهر عند مضي سنة من ملك طهمورث بأرض الهند ، وآتى بالكتابة الفارسية ودعا الى ملة الصابئين ، فاتبعه خلق كثير ، وكانت الملوك البيشداذية ، وبعض الكيانية ممن كان يستوطن بلخ يعظمون النيرين والكواكب ، وكليات العناصر ويقدسونها الى وقت ظهور زرادشت ، عند مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسف ، وبقايا أولئك الصابئة بحرّان ينسبون الى موضعهم، فيقال لهم الحرانية ، وقد قيل أنها نسبة الى هاران بن ترح أخي ابراهيم عليه السلام ، وأنه كان من بين رؤسائهم ، أوغلهم في الدين ، وأشدهم تمسكا به ، وحكى عنه ابن سنكلا النصراني في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم ، فحشاه بالكذب والأباطيل ، أنهم يقولون آن ابرهيم عليه السلام انما خرج عن جملتهم ، لأنه ظهر في قلفته برص ، وآن من كان

به ذلك فهو نجس لا يخالطونه ، فقطع قلفته بذلك السبب ، يعني اختتن ، ودخل الى بيت من بيوت الأصنام ، فسمع صوتا من الصنم يقول له : يا ابرهيم خرجت من عندنا بعيب واحد ، وجئتنا بعيبين اخرج ولا تعاود المجيء الينا ، فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذا ، وخرج من جملتهم ثم أنه ندم بعد ما فعله ، وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم ، زعم ، فلما علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكبش ٠

وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحق الكندي النصراني عنهم ، في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي ، أنهم يُعرفون بذبح الناس ،ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً ٠

ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح ، ويصفونه بالسلب لا الايجاب ، كقولهم : لا يُحد ولا يرى ، ولا يظلم ، ولا يجور ، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً ، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة ، وينسبون التدبير الى الفلك وأجرامه ، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها ويعظمون الأنوار ، ومن آثارهم القبة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق ، وكان مُصلاهم أيام كان اليونانيون والروم على دينهم ، ثم صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم[١] ، ثم تغلب عليها النصارى فصيروها بيعة ، الى أن جاء الاسلام وأهله فاتخذوها مسجدا ٠

وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخي في كتابه في بيوت العبادات ، مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس،وحران فانها منسوبة الى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان ، وبقربها قرية تسمى سلمسين ، واسمها القديم صنم سين،

(١) كذا ، وهو غير صحيح قطعاً ٠

أي صنم القمر ، وقرية أخرى تسمى ترع عوز ، أي باب الزهرة ، ويذكرون أن الكعبة وأصنامها كانت لهم ، وعبدتها كانوا من جملتهم ، وأن اللات كان باسم زحل ، والعزى باسم الزهرة ، ولهم أنبياء كثيرة ، وأكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصري ، واغاذيمون وواليس وفيثاغورس ، وبابا وسوار جد أفلاطون من جهة أمه ، وأمثالهم ·

ومنهم من حرم عليه السمك خوفا أن يكون زغادة ، والفرخ لأنه أبدأ محموم ، والثوم لأنه مصدع محرق للدم ، أو المِنى ، الذي منه قوام العالم ، والباقلاء فانه يغلظ الذهن ويفسده ، وأنه في أول مرة انما نبت في جمجمة انسان ، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أولها عند طلوع الشمس ثماني ركعات ، والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات ، والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات ، وفي كل ركعة في صلاتهم ثلاث سجدات ، ويتنفلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار ، وأخرى في التاسعة من النهار، وثالثة في الساعة الثالثة من الليل ويصلون على طهر ووضوء ، ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون اذ لم يؤمروا بذلك زعموا ، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين ، وفي التنجس عند مس الموتى ، وأمثال ذلك ، شبيهة بالتوراة ، ولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولاها كهنتهم وفاتنوهم ، ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المُقرِب وجواب ما يسأل عنه ·

وقد يسمى هرمس بادريس الذي ذكر في التوراة أخنوخ وبعضهم زعم أن بوذاسف هو هرمس ، وقد قيل أن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية ، فان الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش ، وأيام ارطحشست الى بيت المقدس ، ومالوا الى شرائع المجوس فصبوا الى دين بختنصر ، فذهبوا مذهبا ممتزجا من المجوسية واليهودية

كالسامرة بالشأم ، وقد يوجد أكثرهم بواسط[1] ، وسواد العراق ، بناحية جعفر والجامدة ، ونهري الصلة منتمين الى انوش بن شيث ، ومخالفين للحرانية ، عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم ، إلا في أشياء قليلة ، حتى انهم يتوجهون في الصلاة الى جهة القطب الشمالي ، والحرانية الى الجنوبي • وزعم أهل الكتاب أنه كان لمتوشالح ابن غير لمك تسمى صابي ، وأن الصابئة سُموا به ، وكان الناس قبل ظهور الشرائع وخروج بوذاسف شمنيين سكان الجانب الشرقي من الأرض ، وكانوا عبدة أوثان ، وبقاياهم الآن بالهند والصين والتغزغز ، ويسميهم أهل خراسان شمنان ، وآثارهم وبهارات أصنامهم وفرخاراتهم ظاهرة في ثغور خراسان المتصلة بالهند ، ويقولون بقدم الدهر، وتناسخ الأرواح، وهوي الفلك في خلاء غير متناه ، ولذلك يتحرك على استدارة ، فان الشيء المدور اذا أزيل ينزل مع دوران زعموا ، ومنهم من أقر بحدوث العالم ، وزعم أن مدته ألف ألف سنة مقسومة بأربعة أقسام ، أولها أربعمائة ألف ، وهو زمان الصلاح والخير ، فيجتمع له ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعة وخمسون ، ونظن أنهم يلاحوننا فيما نورده من معنى نجومي لاشتراكنا معهم في علمه فاذن ليس لاعتلال المعتل وتأويل المتأول معنى بوجه من الوجوه ، هذا الذي ذكرناه من أمر القسمة يشهد لأهل مصر في أمر الحدود ، فان مدة حد الزهرة في الحوت أربعمائة سنة على قولهم ومائتان وستة وستون على قول بطلميوس ، وقد قدمنا أن المدة التي بين الاسكندر وأردشير تجاوز الأربع مائة سنة واجتهدنا في تصحيح ذلك •

ونعود الآن فنقول أن الفرس كانوا يدينون بما أورده زرادشت من المجوسية لا يفترقون فيها ولا يختلفون الى ارتفاع عيسى ، وتفرق تلامذته في الأقطار للدعوة ، وأنهم لما تفرقوا في البلاد وقع بعضهم الى

(١) الاشارة هنا الى المندعيين •

بلاد الفرس ، وكان ابن ديصان ومرقيون ممن استجاب وسمعا كلام عيسى، وأخذا منه طرفا، ومما سمعا من جهة زرادشت طرفا ، واستنبط كل واحد من كلا القولين مذهبا يتضمن القول بقدم الأصلين ، وأخرج كل واحد منهما انجيلا نسبه الى المسيح ، وكذب ما عداه ، وزعم ابن ديصان أن نور الله قد حل قلبه ولكن الخلاف لم يبلغ بحيث يخرجهما وأصحابهما من جملة النصارى ، ولم يكن انجيلاهما مباينين في جميع الأسباب لانجيل النصارى بل زيادات ونقصان وقع فيهما والله أعلم ٠

ثم جاء من بعدهما ماني تلميذ فادرون ، وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية ، فتنبأ وزعم في أول كتابه الموسوم بالشابورقان ، وهو الذي ألفه لشابور بن أردشير ، أن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رسل الله تأتي بها في زمن دون زمن ، فكان مجيئهم ، في بعض القرون ، على يدي الرسول الذي هو البد[1] الى بلاد الهند ، وفي بعضها على يدي زرادشت الى أرض فارس ، وفي بعضها على يدي عيسى الى أرض المغرب ، ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوة في هذا القرن الأخير على يدي أنا ماني ، رسول اله الحق الى أرض بابل ٠

وذكر في انجيله الذي وضعه على حروف الأبجد الاثنين والعشرين حرفا ، أنه الفارقليط الذي بشر به المسيح ، وأنه خاتم النبيين ، وأخبر عن كون العالم وهيئته ، بما يضاد نتائج البراهين والدلالات ، ودعا الى ملك عوالم النور ، والانسان القديم ، وروح الحياة ، وقال بقدم النور والظلمة وأزليتهما ، وحرم ذبح الحيوان وايلامه وإيذاء النار والماء والنبات على أبلغ وجه ، وشرع نواميس يفترضها الصديقون ، وهم أبرار المانوية وزهادهم على أنفسهم ، من ايثار المسكنة ، وقمع الحرص والشهوة ، ورفض الدنيا ، والزهد فيها ومواصلة الصوم والتصديق بما أمكن ، وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم واحد ، ولباس

---

(١) أي بوذا ٠

سنة ، وترك الفساد وادامة التطواف في الدنيا للدعوة والارشاد ، ورسوما أخر يفرضونها على السماعين ، أعني أتباعهم والمستجيبين لهم من المختلطين بالأسباب الدنياوية ، من التصديق بعشر الملك ، وصوم سبع العمر والاقتصار على امرأة واحدة ، ومواساة الصديقين وازاحة عللهم ·

ويحكى عنه أنه حلل قضاء الشهوة في الغلمان ان اهتاجت على الانسان ، ويستشهد على ذلك باختصاص كل واحد من المنانية بخادم يخدمه أمرد أجرد ، غير أني لم أجد فيما وقفت عليه من كتبه ذكراً لما يشبه ذلك ، بل سيرته تدل على خلاف ما حكى ، وكانت ولادة ماني ببابل في قرية تدعى مردينو ، من نهر كوثي الأعلى ، على ما حكاه في كتاب الشابورقان ، في باب مجيء الرسول ، في : سنة خمسمائة وسبع وعشرين ، من سني منجمي بابل ، يعني تاريخ الاسكندر ، ولأربع سنين خلون من سني أذربان الملك ، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاث عشرة سنة في سنة خمسمائة وتسع وثلاثين من سني منجمي بابل ، ولسنتين خلتا من سني أردشير ملك الملوك ، وقد صححنا هذا الفصل فيما تقدم مدة ملك الاشكانية وملوك الطوائف ·

واسم ماني عند النصارى، على ما ذكره يحيى بن النعمان النصراني في كتابه على المجوس : قوربيقوس بن فتق ·

ولما ظهر كثر مصدقوه وأتباعه ، وألف كتبا كثيرة لانجيله ، والشابورقان ، وكنز الأحياء ، وسفر الجبابرة ، وسفر الأسفار ، ومقالات كثيرة زعم فيها أنه بسط ما رمز به المسيح ·

ولم يزل أمره يزداد أيام أردشير وابنه شابور ، وهرمز ابنه ، الى أن ملك بهرام بن هرمز ، فطلبه حتى وجده ، وقال : ان هذا خرج داعيا الى تخريب العالم ، فالواجب أن نبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء

من مراده ، فالمشهور من حاله أنه قتله وسلخ جلده ، وحشاه تبنا وعلقه من باب مدينة جنديسابور ، يعرف الى زماننا هذا بباب ماني ، وقتل خلقا ممن استجاب له ٠

وقد حكى جبرائيل بن نوح النصراني في جوابه عن رد يزدانبخت على النصارى أن لأحد تلامذة ماني كتابا يخبر فيه عن منيته ، وأنه حبس بسبب قرابة للملك كان زعم أن به شيطانا ، ووعد شفاءه فلم يقدر عليه ، فجعلت القيود في رجليه ، والجوامع في يديه ، حتى مات في الحبس ، فنصب رأسه بباب السرادق ، وطرحت جثته في المدرجة تنكيلا وتمثيلا به ، وبقي من مستجيبيه بقايا منسوبة إليه ، مفترقة الديار ، لا يكاد يجمعهم موضع واحد في بلاد الاسلام ، إلا الفرقة التي بسمرقند المعروفة بالصابئين ، فأما خارج دار الاسلام فان أكثر الأتراك الشرقية، وأهل الصين والتيبت ، وبعض الهند على دينه ومذهبه،وهم في أمره على قولين، فرقة تقول:إنه لم يكن لماني معجزة،وتحكي عنه أنه أخبر بارتفاع الآيات عند مضي المسيح وأصحابه ، وأخرى تزعم أنه كان ذا آيات ومعجزات،وأن شابور الملك آمن به حين رفعه مع نفسه الى السماء،ووقفا بينها وبين الأرض في الهواء ، وأراه بذلك الأعجوبة ، قالوا : وإنه كان يصعد بين أصحابه الى السماء فيمكث فيها أياما ، ثم ينزل اليهم ٠

وسمعت الأصبهبذ مرزبان بن رستم ، يحكي أن سابور أخرجه عن مملكته ، أخذا بما سنه لهم زرادشت ، من نفي المتنبئين عن الأرض ، وشرط عليه أن لا يرجع ، فغاب الى الهند والصين والتيبت ، ودعا هناك، ثم رجع ، فحينئذ أخذه بهرام وقتله ، لأنه نقض الشريطة وأباح الدم ٠

الملحق العاشر

من كتاب الملل والنحل
للامام أبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني
[ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م]

الزروانيـة :

قالوا : إن النور أبدع أشخاصا من نور كلها ، روحانية نورانيـة ربانية ، لكن الشخص الأعظم ، الذي اسمـه زروان شك في شيء مـن الأشياء ، فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك .

وقال بعضهم : لا بل إن زروان الكبير ، قـام فزمزم تسعـة آلاف وتسعمائة وتسعا وتسعين سنة ، ليكون له ابن ، فلـم يكن ، ثم حـدث نفسه ، وفكر وقال : لعل هذا العالم ليس بشيء ، فحدث أهرمن من ذلك الهم الواحد ، وحدث أهرمزد من ذلك العلم ، فكانا جميعا في بطن واحد، وكان أهرمن أقرب من باب الخروج ، فاحتال آهرمن الشيطان ، حتى شق بطن أمه ، فخرج قبله ، وأخذ الدنيا .

وقيل : إنه لما مثل بين يدي زروان ، فأبصره ورأى ما فيه من الخبث والشرارة والفساد ، أبغضه، فلعنه وطرده ، فمضى واستولى على الدنيا، وأما أهرمزد فبقي زمانا لا يد له عليه ، وهو الـذي اتخذه قوما ربـا وعبدوه ، لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الأخـلاق .

وزعم بعض الزروانية أنه لم يزل كان مع الله شيء ردىء ، إمـا فكرة رديئة ، وإما عفونة رديئة ، وذلك هو مصدر الشيطان .

وزعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن، وكان أهلها في خير محض ، ونعيم خالص ، فلما حدث آهرمن ، حدثت الشرور

والآفات والفتن ، وكان بمعزل من السماء ، فاحتال حتى خرق السماء ، وصعـد ٠

وقال بعضهم : كان هو في السماء والأرض خالية عنه ، فاحتال حتى خرق السماء ، ونزل الى الأرض بجنوده كلها ، فهرب النور بملائكته ، واتبعه الشيطان حتى حاصره في جنته ، وحاربه ثلاثة آلاف سنة ، لايصل الشيطان الى الرب تعالى ، ثم توسطت الملائكة وتصالحا على أن ابليس وجنوده في قرار الضوء تسعة آلاف سنة ، بالثلاثة آلاف التي قاتله فيها ، ثم يخرج الى موضعه ، ورأى الرب ـ تعالى عن قولهم ـ الصلاح فيإحتمال المكروه من ابليس وجنوده ، ولا ينقضي الشر حتى تنقضي مدة الصلح ، فالناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن الى انقضاء المدة، ثم يعود الى النعيم الأول ، وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء يفعلها ، ويطلقه في أفعال رديئة يباشرها ، فلما فرغا من الشرط أشهـدا عليهما عدلـين ودفعا سيفيهما إليهما ، وقالا لهما : من نكث فاقتلاه بهذا السيف ٠٠٠٠

المـانويـة :

أصحاب ماني بن فتك، الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أزدشير، وقتله بهرام بن هرمز بن شابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ، أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ٠

حكى محمد بن هارون ، المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكـان في الأصل مجوسيا ، عارفا بمذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكروا وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسيين، سميعين بصيرين، وهما معذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل ، وإنما يتبين جواهرهما ، وأفعالهما في هذا الجدول :

النور الجوهر :

جوهره حسن فاضل، كريم صاف ، نقي، طيب الريح، حسن المنظر ·

الظلمة الجوهر :

جوهرها قبيح، ناقص لئيم، كدر خبيث، منتن الريح، قبيح المنظر ·

النفس :

نفسه خيرة كريمة ، حكيمة نافعة ، عالمة النفس ·

النفس :

نفسها شريرة لئيمة ، سفيهة ضارة ، جاهلة ·

الفعـــل :

فعله الخير والصلاح، والنفع، والسرور، والترتيب والنظام والاتفاق ·

الفعـــل :

فعلها الشر والفساد، والضر والغم، والتشويش، والتبتير والاختلاف ·

الحيز :

جهة فوق ، وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحيـة الشمال ، وزعـم بعضهم أنه بجنب الظلمة ·

الحيز :

جهة تحت ، وأكثرهم على أنها منحطة من ناحية الجنوب ، وزعـم بعضهم أنها بجنب النور ·

اجناسة :

خمسة ، أربعة منها أبدان ، والخامس روحها ، فالأبدان هي النار، والنور ، والريح، والماء، وروحها النسيم، وهي تتحرك في هذه الأبدان ·

اجناسها :

خمسة أربعة منها أبدان ، والخامس روحها ، فالأبدان هي الحريق، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان ، وهي تدعى الهامة ، وهي تتحرك في هذه الأبدان ·

الصفات :

حية طاهرة ، خيرة زكية ، وقال بعضهم : كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو ، وأرض النور ، لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض ، بل هي على صورة جرم الشمس ، وشعاعها كشعاع الشمس ، ورائحتها طيبة ، أطيب رائحة ، وألوانها ألوان قوس قزح •

وقال بعضهم : ولا شيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع : أرض النور ، وهي خمسة ، وهناك جسم آخر ألطف منه ، وهو الجو ، وهو نفس النور ، وجسم آخر وهو ألف منه ، وهو النسيم ، وهو روح النور •

قال : ولم يزل يولد ملائكة وآلهة وأولياء،ليس على سبيل المناكحة، بل كما تتولد الحكمة من الحكيم ، والنطق الطيب من الناطق، وملك ذلك العالم هو روحه ، ويجمع عالمه الخير والحمد والنور •

الصفات :

خبيثة ، شريرة ، بخسة ، دنسة ، وقال بعضهم : كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم ، لها أرض ، وجو ، فأرض الظلمة لم تزل كثيفة ، على غير صورة هذه الأرض ، بل هي أكثف وأصلب ، ورائحتها كريهة أنتن الروائح ، وألوانها لون السواد •

قال بعضهم : ولا شيء إلا الجسم ، والأجسام على ثلاثة أنواع ؛ أرض الظلمة ، وشيء آخر أظلم منه ، وهو السموم •

قال : ولم تزل تولد الظلمة شياطين أراكنة ، وعفاريت ، لا على سبيل المناكحة ، بل كما تتولد الحشرات من العفونات ؛ قال : وملك ذلك العالم هو روحه ، يجمع عالمه الشر ، والذميمة والظلمة •

ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه ، والخلاص وسببه ، وقال بعضهم : إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق ، لا بالقصد والاختيار ، وقال أكثرهم : إن سبب المزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت

عن روحها بعض التشاغل ، فنظرت الى الروح ، فرأت النور ، فبعث الأبدان على ممازجة النور ، فأجابتها لاسراعها الى الشر ، فلما رأى ذلك ملك النور ، ووجه إليها ملكا من ملائكته في خمسة آجزاء من أجناسها ، فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية ، فخالط الدخان النسيم ، وإنما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم ، والهلاك والآفات من الدخان ، وخالط الحريق النار ، والنور الظلمة ، والسموم الريح ، والضباب الماء ، فما في العالم من منفعة وخير وبركة ، فمن أجناس النور ، وما فيه من مضرة وفساد ، وشر ، فمن آجناس الظلمة .

فلما رأى ملك النور هذا الامتزاج ، أمر ملكا من ملائكته ، فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص أجناس النور من آجناس الظلمة ، وإنما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء آجزاء النور من أجزاء الظلمة ، فالشمس تستصفي النور ، الذي امتزج بشياطين الحر ، والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد ، والنسيم الذي في الأرض ، لا يزال يرتفع لأن من شأنها الارتفاع الى عالمها ، وكذلك جميع أجزاء النور أبداً في الصعود، والارتفاع، وأجزاء الظلمة أبداً في النزول والتسفل حتى تتخلص الأجزاء من الأجزاء ، يبطل الامتزاج ، وتنحل التراكيب ، ويصل كل الى كله وعالمه ، وذلك هو القيامة والمعاد .

وقال : ومما يعين في التخليص والتمييز ورفع أجزاء النور، التسبيح والتقديس ، والكلام الطيب ، وأعمال البر ، فترتفع بذلك الأجزاء النورية في أعمال عمود الصبح الى فلك القمر ، فلا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر الى النصف ، فيمتلىء فيصير بدراً ، ثم يؤدي الى الشمس الى آخر الشهر ، فتدفع الشمس الى نور فوقها ، فيسري في ذلك العالم الى أن يصل الى النور الأعلى الخالص ، ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من أجزاء النور شيء في هذا العالم إلا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل

الأرض ، ويدع الملك الذي يجتذب السموات فيسقط الأعلى على الأسفل ثم توقد نار حتى يضطرم الأعلى والأسفل ، ولا يزال يضطرم حتى يتحلل ما فيها من النور ، وتكون مدة الاضطرام ألفا وأربعمائة وثمان وستين سنة .

وذكر الحكيم ماني في باب الألف من الجبلة ، وفي أول الشابرقان ، أن ملك عالم النور في كل أرضه لا يخلو منه شيء ، وأنه ظاهر باطن ، وأنه لا نهاية له إلا من حيث تناهي أرضه الى أرض عدوه .

وقال أيضا : إن ملك عالم النور في سرة أرضه ، وذكر أن المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة ، واليبوسة ، والمزاج المحدث الخير والشر .

وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال ، والصلوات الأربع في اليوم والليلة ، والدعاء الى الحق ، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا ، والبخل ، والسحر ، وعبادة الأوثان ، وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله .

واعتقاده في الشرائع والأنبياء ، أن من بعث الله بالعلم والحكمة ، آدم أبو البشر ، ثم شيثا بعده ، ثم نوحا بعده ، ثم ابراهيم بعده ـ عليهم الصلاة والسلام ، ثم بعث بالبددة الى أرض الهند ، وزرادشت الى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب ، وفولس [بولص] بعد المسيح إليهم ، ثم يأتي خاتم النبيين الى أرض العرب .

وزعم أبو سعيد المانوي ، رئيس من رؤسائهم ، أن الذي مضى من المزاج الى الوقت الذي هو فيه ، وهو سنة احدى وسبعين ومائتين من الهجرة ، أحد عشر ألفا وسبعمائة سنة ، وأن الذي بقي الى وقت الخلاص ثلاثمائة سنة ، وعلى مذهبة مدة المزاج اثني عشر ألف سنة ، فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة ، من زماننا هذا ، وهو احدى وعشرون

وخمسمائة هجرية ، فنحن في آخر المزاج ، وبدو الخلاص ، فالى الخلاص الكلي وانحلال التراكيب خمسون سنة ، والله أعلم ....

الديصانية :

أصحاب [ابن] ديصان أثبتوا أصلين : نوراً وظلاما ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعا واضطراراً ، فما كان من خير ونفع ، وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام ، وزعموا أن النور حي عالم قادر حساس دراك ، ومنه تكون الحركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز جماد ، لا فعل ولا تمييز ، وزعموا أن الشر يقع منه طباعا وحزقا ، وزعموا أن النور جنس واحد، وكذلك الظلام جنس واحد ، وإن ادراك النور ادراك متفق ، وإن سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد ، فسمعه هو بصره، وبصره هوحواسه، وإنما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب ، لا لأنهما في نفسهما شيئان مختلفان ، وزعموا أن اللون هو الطعم ، وهو الرائحة ، وهو المجسة . وإنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ، ووجده طعما ، لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب ، وكذلك في لون الظلمة وطعمها ومجستها ، وزعموا أن النور بياض كله ، لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحته منه ، وإن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحته منها .

واختلفوا في المزاج ، فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة ، والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ ، فتأذى بها ، وأحب أن يرققها ويلينها ثم يتخلص منها ، وليس ذلك لاختلاف جنسهما ، ولكن كما أن المنشار جنسه حديد، وصفحته لينة ، وأسنانه خشنة ، فاللين في النور ، والخشونة في الظلمة ، وهما جنس واحد ، فتلطف النور بلينه ، حتى يدخل تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة ، فلا يتصور الوصول الى كمال ووجود إلا بلين وخشونة .

وقال بعضهم: بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته،

فاجتهد النور حتى يتخلص منه ، ويدفعها عن نفسه ، فاعتمد عليه ، فلجج فيه ، وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه، فيعتمد على رجله ليخرج ، فيزداد لجوجا فيه ، فاحتاج النور الى زمان ليمالج التخلص منه ، والتفرد بعالمه ·

وقال بعضهم إن النور لما دخل الظلام اختياراً ليصلحها ، ويستخرج منها أجزاء صالحة لعالمه ، فلما دخل تشبث به زمانا ، فصار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً ، ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض ، والحسن البحت ، وفرق بين الفعل الضروري والفعل الاختياري ·

المرقونية :

أثبتوا قديمين أصلين متضادين ، أحدهما النور ، والآخر الظلمة ، وأثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع ، وهو سبب المزاج ، فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع ، وقالوا : الجامع دون النور في الرتبة، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ·

ومنهم من يقول : الامتزاج ، انما حصل بين الظلمة والمعدل ، إذ هو قريب منها ، فامتزج به ليتطيب به ويلتذ بملاذه ، فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحا ، وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل السليم الواقع في شبكة الظلام الرحيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين ، فمن اتبعه فلا يلامس النساء ولم يقرب الزهومات ، أفلت ونجا ، ومن خالفه خسر وهلك ·

قالوا : وإنما أثبتنا المعدل لأن النور الذي هو الله تعالى ، لا يجوز عليه مخالطة الشيطان ، وأيضا فان الضدين يتنافران طبعا ، ويتمانعان ذاتا ونفسا ، فلا بد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام ، فيقع المزاج معه ، وهذا على خلاف ما قاله المانوية ، وإن كان [ابن] ديصان أقدم ، وإنما أخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل ، وهو أيضا

خلاف ما قال زرادشت ، فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين ، لا يجوز أن يكون طبعه وجوهره من أحد الضدين وهو الله عز وجل الذي لا ضد له ولا ند •

وحكى محمد بن شبيب عن الديصانية ، أنهم زعموا آن المعدل هو الانسان الحساس الدراك ، إذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض ، وحكى عنهم أنهم يرون وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراما ، ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الألم •

وحكي عن قوم من الثنوية أن النور والظلمة لم يزالا حيين إلا أن النور حساس عالم ، والظلام جاهل أعمى ، والنور يتحرك حركة مستوية ، والظلام يتحرك حركة عجرفية خرقا معوجة ، فبينا كذلك إذ هجم بعض هامات الظلام على حاشية من حواشي النور ، فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم ، وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين التمرة والجمرة ، وكان سبب المزاج ، ثم إن النور الأعظم دبر في الخلاص ، فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ، ولم يمكنه استخلاصه إلا بهذا التدبير •

المحتوى

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الرابـع :	

من منشوراتنــا

١ ـ مائة أوائل من تراثنا ـ تأليف د· سهيل زكار ـ أحمد غسان سبانو

٢ ـ الكسب للامام محمد بن الحسن الشيباني · تحقيق · د· سهيل زكار

٣ ـ أخبار القرامطة جمع وتحقيق د· سهيل زكار

٤ ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين · تصنيف أحمد بن علي الحريري ـ تحقيق د· سهيل زكار

٥ ـ بلاد الشام في القرن التاسع عشر (روايات معاصرة لحوادث ١٨٦٠ أو مقدماتها في سورية) تحقيق د· سهيل زكار

٦ ـ مائة أوائل من تراثنا (طبعة ثانية معدلة) تأليف د· سهيل زكار

٧ ـ العالم الاسلامي في العصر المملوكي : تأليف برتولد شبولر ـ نقله الى العربية الأستاذ خالد عيسى ، راجعه وقدم له د· سهيل زكار

٨ ـ قاهر العالم (جنكيز خان) تأليف رينيه غروسيه ـ نقله الى العربية الأستاذ خالد عيسى راجعه وقدم لـه د· سهيل زكار

٩ ـ مذكرات الرئيس نكسون (الحرب الحقيقية) نقله الى العربية د· سهيل زكار

١٠ ـ تاريخ دمشق لابن القلانسي : تحقيق د· سهيل زكار

١١ ـ بابوات من الحي اليهودي ـ تأليف يواكيم برنـز · نقلـه الى العربيـة الأستـاذ خالد عيسى راجعه وقدم له د· سهيل زكار

١٢ ـ حطين (مسيرة التحرير من دمشق الى القدس) · تأليف د· سهيل زكار

١٣ ـ آخر أيام غرناطة ـ تحقيق د· رضوان الداية

١٤ ـ الحروب الصليبية (الحملتان الأولى والثانية) في مجلدتين · ترجمة وتحقيق وتقديم د· سهيل زكار

١٥ ـ الانحياز ـ تأليف ستيفن غرين · نقله الى العربية د· سهيل زكار

١٦ ـ مدن الشام في العصر المملوكي (دراسة اجتماعية واقتصادية) تأليف ايرا لابدوس· نقله الى العربية د· سهيل زكار

١٧ ـ المحادثات السرية لهنري كيسنجر ـ دبلوماسية الخطوة خطوة في الشرق الأوسط تأليف ماتي غولان ـ نقله الى العربية د٠ سهيل زكار

١٨ ـ سرقة أمة ـ تأليف وليم بيكر ٠ نقله الى العربية : د٠ سهيل زكار ـ الاستاذ عدنان برنية

١٩ ـ ماني والمانوية (دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها) تأليف جيو وايد نغرين ـ نقله الى العربية والحق به عدداً من الملاحق د٠ سهيل زكار

٢٠ ـ النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية تأليف رياض عيسى

قيد الطباعة

١ ـ الزرادشتيه (الفجر والغسق) تأليف ٠ ر٠ زيهنر ـ نقله الى العربية د٠ سهيل زكار

٢ ـ تاريخ يهود الخزر ـ تأليف م٠ دنلوب (أفضل بحث أكاديمي موثق عن تاريخ امبراطورية الخزر اليهودية التي شغلت دوراً هاماً في تاريخ المسلمين والامبراطورية البيزنطية) ٠ نقله الى العربية د٠ سهيل زكار

٣ ـ تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار
ألفه باللاتينية وليم رئيس أساقفة صور (ت ١١٨٥ م) ومؤرخ بلاط مملكة القدس الصليبية ٠ هو أهم مصدر كتبه الصليبيون عن تاريخهم في الشرق منذ البداية وحتى ما قبل حطين ٠ يحوي من المعلومات ما لا يوجد في مصدر آخر بأية لغة كانت ، وقد جاء بالعربية في أربع مجلدات رفيعة الضبط فيها جميع الاحالات والمقارنات اللازمة ٠ نقله الى العربية د٠ سهيل زكار

قيد الاعداد للنشر

١ ـ التاريخ السري للمغول ووثائق العلاقات المغولية الكاثوليكية
يتحدث عن حياة جنكيز خان كما روتها الكتابات الصينية المعاصرة له ، ويقدم سجلات رحلات السفراء الذين جاؤوا من الفاتيكان وانكلترا وأوربا الى بلاط المغول وسفارات هذا البلاط الى أوربة مترجمة عن الصينية واللاتينية والفرنسية القديمة

٢ ـ عجائب المقدور في أخبار تيمور لابن عرب شاه
أفضل ما عرف حتى الآن عن حياة هذا الفاتح الواسع الشهرة

٣ ـ تاريخ العرب والاسلام منذ ما قبل المبعث وحتى نهاية العصر العثماني في ٧ مجلدات كبار